الشفاء

بتعريف حقوق المصطفى

صلى الله عليه وسلم

تأليف

القاضى أبى الفضل عياض بن موسى

اليحصبي الأندلسى

من علماء القرن السادس الهجرى

الجزء الأول

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ٣٢

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ الْيَحْصُبِيُّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْفَرِدِ بِاسْمِهِ الْأَسْمَى * الْمُخْتَصِّ بِالْعِزِّ الْأَحْمَى * الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ مُنْتَهَى وَلَا وَرَاءَهُ مَرْمَى * الظَّاهِرِ لَا تَخَيُّلًا وَلَا وَهْمًا * الْبَاطِنِ تَقَدُّسًا لَا عَدَمًا * وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا * وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعَمًا عُمًّا * وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عُرْبًا وَعُجْمًا * وَأَزْكَاهُمْ مَحْتِدًا وَمَنْمًى * وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِلْمًا * وَأَوْفَرَهُمْ عِلْمًا وَفَهْمًا * وَأَقْوَاهُمْ يَقِينًا وَعَزْمًا * وَأَشَدَّهُمْ بِهِمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً * زَكَّاهُ رُوحًا وَجِسْمًا * وَحَاشَاهُ عَيْبًا وَوَصْمًا * وَآتَاهُ حِكْمَةً وَحُكْمًا * وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَقُلُوبًا غُلْفًا وَآذَانًا صُمًّا * فَآمَنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ وَنَصَرَهُ مَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُ فِي مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا * وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ عَنْ آيَاتِهِ

مَنْ كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْماً * وَمَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى * صلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً تَنْمُو وَتُنْمَى * وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

(أَمَّا بَعْدُ) أَشْرَقَ اللّٰهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ * وَلَطَفَ لِي وَلَكَ بِمَا لَطَفَ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللّٰهُ بِنُزُلِ قُدْسِهِ * وَأَوْحَشَهُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ بِأُنْسِهِ * وَخَصَّهُمْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمُشَاهَدَةِ عَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ وَآثَارِ قُدْرَتِهِ * بِمَا مَلَأَ قُلُوبَهُمْ حَيْرَةً وَوَلَّهَ عُقُولَهُمْ فِي عَظَمَتِهِ حَيْرَةً * فَجَعَلُوا هَمَّهُمْ بِهِ وَاحِدًا * وَلَمْ يَرَوْا فِي الدَّارَيْنِ غَيْرَهُ مُشَاهِدًا * فَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ يَتَنَعَّمُونَ * وَبَيْنَ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَعَجَائِبِ عَظَمَتِهِ يَتَرَدَّدُونَ * وَبِالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ يَتَعَزَّزُونَ * لَهِجِينَ بِصَادِقِ قَوْلِهِ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * فَإِنَّكَ كَرَّرْتَ عَلَيَّ السُّؤَالَ فِي مَجْمُوعٍ يَتَضَمَّنُ التَّعْرِيفَ بِقَدْرِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ تَوْقِيرٍ وَإِكْرَامٍ وَمَا حُكْمُ مَنْ يُوَفِّ وَاجِبَ عَظِيمِ ذٰلِكَ الْقَدْرِ » أَوْ قَصَّرَ فِي حَقِّ مَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ قُلَامَةَ ظُفْرٍ * وَأَنْ أَجْمَعَ لَكَ مَا لِأَسْلَافِنَا وَأَئِمَّتِنَا فِي ذٰلِكَ مِنْ مَقَالٍ * وَأُبَيِّنَهُ بِتَنْزِيلِ صُوَرٍ وَأَمْثَالٍ * فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللّٰهُ أَنَّكَ حَمَّلْتَنِي مِنْ ذٰلِكَ أَمْرًا إِمْرًا * وَأَرْهَقْتَنِي فِيمَا نَدَبْتَنِي

إِلَيْهِ عُسْرًا ۞ وَأَرْقَيْتَنِي بِمَا كَلَّفْتَنِي مُرْتَقًا صَعْبًا مَلَأَ قَلْبِي رُعْبًا ۞ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي ذٰلِكَ يَسْتَدْعِي تَقْرِيرَ أُصُولٍ وَتَحْرِيرَ فُصُولٍ وَالْكَشْفَ عَنْ غَوَامِضَ وَدَقَائِقَ مِنْ عِلْمِ الْحَقَائِقِ ۞ مِمَّا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ ۞ وَيُضَافُ إِلَيْهِ ۞ أَوْ يَمْتَنِعُ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ ۞ وَمَعْرِفَةُ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ وَالرِّسَالَةِ ۞ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ ۞ وَخَصَائِصِ الدَّرَجَةِ الْعَلِيَّةِ ۞ وَهٰهُنَا مَهَامِهُ فِيحٌ تَحَارُ فِيهَا الْقَطَا ۞ وَتَقْصُرُ بِهَا الْخُطَا ۞ وَمَجَاهِلُ تَضِلُّ فِيهَا الْأَحْلَامُ إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمِ عِلْمٍ وَنَظَرٍ سَدِيدٍ ۞ وَمَدَاحِضُ تَزِلُّ بِهَا الْأَقْدَامُ إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ ٱللهِ وَتَأْيِيدٍ لَكِنِّي لِمَا رَجَوْتُهُ لِي وَلَكَ فِي هٰذَا السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ مِنْ نَوَالٍ وَثَوَابٍ بِتَعْرِيفِ قَدْرِهِ الْجَسِيمِ وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ ۞ وَبَيَانِ خَصَائِصِهِ الَّتِي لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلُ فِي مَخْلُوقٍ ۞ وَمَا يُدَانُ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْحُقُوقِ ۞ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۞ وَلِمَا أَخَذَ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ۞ وَلِمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ ٱللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ الْأَشْعَثِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ

الْحَكَم عَنْ عطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فبَادَرْتُ إِلَى نُكَتٍ سَافِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْغَرَضِ مُؤَدِّيًا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ الْمُفْتَرَضِ اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتِعْجَالٍ لِمَا الْمَرْءُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ بِمَا قَلَّدَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمِحْنَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا فَكَادَتْ تَشْغَلُ عَنْ كُلِّ فَرْضٍ وَنَفْلٍ ؟ وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سُفْلٍ ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَعَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كُلَّهُ فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا وَلَا يُذَمُّ مَحَلُّهُ ، فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى نَضْرَةِ النَّعِيمِ أَوْ عَذَابِ الْجَحِيمِ وَلَكَانَ عَلَيْهِ بِخُوَيْصَتِهِ وَاسْتِنْقَاذِ مُهْجَتِهِ وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ ، جَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى صَدْعَ قُلُوبِنَا وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا وَجَعَلَ جَمِيعَ اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا وَتَوَفُّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنَجِّينَا وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ زُلْفَى ، وَيُحْظِينَا بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَمَّا نَوَيْتُ تَقْرِيبَهُ وَدَرَّجْتُ تَبْوِيبَهُ ، وَمَهَّدْتُ تَأْصِيلَهُ وَخَلَّصْتُ تَفْصِيلَهُ ، وَانْتَحَيْتُ حَصْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ ، تَرْجَمْتُهُ بِالشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى وَحَصَرْتُ الْكَلَامَ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ هَذَا النَّبِيِّ قَوْلًا وَفِعْلًا وَتَوَجَّهَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

(الْبَابُ الأَوَّلُ) فِى ثَنائِهِ تعالى عليْهِ ، وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ وَفيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ .

(الْبَابُ الثَّانى) فِى تَكْمِيلِهِ تعالى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقًا وَخُلُقًا وَقِرانِهِ جَمِيعَ الفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسْقًا وَفِيهِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ فَصْلاً

(الْبَابُ الثَّالِثُ) فِيما وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا ، بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ ، وَمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ فِى الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَفِيهِ اثْنَا عَشَرَ فَصْلاً .

(الْبَابُ الرَّابِعُ) فِيما أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الخَصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ وَفِيهِ ثَلاثُونَ فَصْلاً

(الْقِسْمُ الثَّانى) فِيما يَجِبُ عَلَى الأَنَامِ مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَتَرَتَّبُ القَوْلُ فِيهِ فِى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

(الْبَابُ الأَوَّلُ) فِى فَرْضِ الإِيمَانِ بِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ .

(الْبَابُ الثَّانى) فِى لُزُومِ مَحَبَّتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ .

(الْبَابُ الثَّالِثُ) فِى تَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَلُزُومِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ .

(الْبَابُ الرَّابِعُ) فِى حُكْمِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ وَفَرْضِ

ذلِكَ وَفَضِيلَتِهِ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ .

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ) فِيمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ﷺ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ ، وَيَصِحُّ مِنَ الْأُمُورِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ ، وَهٰذَا الْقِسْمُ أَكْرَمَكَ اللهُ تَعَالَى هُوَ سِرُّ الْكِتَابِ ، وَلُبَابُ ثَمَرِهِ هٰذِهِ الْأَبْوَابِ ، وَمَا قَبْلَهُ لَهُ كَالْقَوَاعِدِ وَالتَّمْهِيدَاتِ ، وَالدَّلَائِلِ عَلَى مَا نُورِدُهُ فِيهِ مِنَ النُّكَتِ الْبَيِّنَاتِ ، وَهُوَ الْحَاكِمُ عَلَى مَا بَعْدَهُ وَالْمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هٰذَا التَّأْلِيفِ وَعْدَهُ وَعِنْدَ التَّقَصِّي لِمَوْعِدَتِهِ ، وَالتَّفَصِّي عَنْ عُهْدَتِهِ ، يَشْرَقُ صَدْرُ الْعَدُوِّ اللَّعِينِ ، وَيُشْرِقُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ ، وَتَمْلَأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحَ صَدْرِهِ ، وَيَقْدُرُ الْعَاقِلُ النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَيَتَحَرَّرُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ :

(الْبَابُ الْأَوَّلُ) فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيَتَشَبَّثُ بِهِ الْقَوْلُ فِي الْعِصْمَةِ وَفِيهِ سِتَّةَ عَشَرَ فَصْلًا .

(الْبَابُ الثَّانِي) فِي أَحْوَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَمَا يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَفِيهِ تِسْعَةُ فُصُولٍ .

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ) فِي تَصَرُّفِ وُجُوهِ الْأَحْكَامِ عَلَى مَنْ تَنَقَّصَهُ أَوْ سَبَّهُ ﷺ وَيَنْقَسِمُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ :

(الْبَابُ الْأَوَّلُ) فِي بَيَانِ مَا هُوَ فِي حَقِّهِ سَبٌّ وَنَقْصٌ مِنْ

تَعْرِيضٍ أَوْ نَصٍّ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ .

(البَابُ الثَّانِى) فِى حُكْمِ شَانِئِهِ وَمُؤْذِيهِ وَمُنْتَقِصِهِ وَعُقُوبَتِهِ وَذِكْرِ اسْتِتَابَتِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَوِرَاثَتِهِ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ وَخَتَمْنَاهُ بِبَابٍ ثَالِثٍ جَعَلْنَاهُ تَكْمِلَةً لِهٰذِهِ المَسْئَلَةِ وَوُصْلَةً لِلْبَابَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ فِى حُكْمِ مَنْ سَبَّ اللّٰهَ تَعَالَى وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَآلَ النَّبِىِّ صَلَّى اللّٰهِ عَلَيهِ وَسَلَمَ وَصَحْبَهُ واخْتُصِرَ الْكَلَامُ فيهِ فِى خَمْسَةِ فُصُولٍ ، وَبِتَمَامِهَا يَنْتَجِزُ الْكِتَابُ ، وَتَتِمُّ الأَقْسَامُ وَالأَبْوَابُ ، وَيَلُوحُ فِى غُرَّةِ الْإِيمَانِ لُمْعَةٌ مُنِيرَةٌ ، وَفِى تَاجِ التَّرَاجِمِ دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ تُزِيحُ كُلَّ لَبْسٍ . وَتُوضِحُ كُلَّ تَخْمِينٍ وَحَدْسٍ ، تَشْفِى صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَتَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتُعْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، وَبِاللّٰهِ تَعَالَى لَا إِلٰهَ سِوَاهُ أَسْتَعِينُ

(القِسْمُ الأَوَّلِ)

(فِى تَعْظِيمِ الْعَلِىِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِىِّ الْمُصْطَفَى ﷺ قَوْلًا وَفِعْلًا)

قَالَ الفَقِيهُ الْقَاضِى الْإِمَامُ أَبُو الفَضْلِ وَفَّقَهُ اللّٰهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ : لَا خَفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ بِتَعْظِيمِ اللّٰهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ

وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُّ
عَنْهُ الأَلْسِنَةُ وَالأَقْلَامُ * فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى
جَلِيلِ نِصَابِهِ ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى
الْتِزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِيجَابِهِ ، فَكَانَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى ثُمَّ
طَهَّرَ وَزَكَّى ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، فَلَهُ
الْفَضْلُ بَدْأً وَعَوْدًا ، وَالْحَمْدُ أُولَى وَأُخْرَى * وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ مِنْ
خَلْقِهِ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ
وَالأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ
بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي
شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ
حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَثِيرًا * حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ
قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَبُو الْفَضْلِ
أَحْمَدُ بْنُ خَيْرُونَ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ
السِّنْجِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْجُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى بْنُ
سَوْرَةَ الْحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا اسْحٰقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا
مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ

لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا ، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هٰذَا ؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى ٱللهِ مِنْهُ ، قَالَ فَارْفَضَّ عَرَقًا .

الباب الأول

(فى ثناءِ الله تعالى عليه وَ إظهارِه عظيمَ قَدْره لَدَيْه)

إِعْلَمْ أَنَّ فِي كِتَابِ ٱللهِ الْعَزِيزِ آياتٍ كَثِيرَةً مُفْصِحَةً بِجَمِيلِ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدِّ مَحَاسِنِهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ ، اُعْتَمَدْنَا مِنْهَا عَلَى مَاظَهَرَ مَعْنَاهُ وَبانَ فَحْوَاهُ . وَجَمَعْنا ذٰلِكَ فِي عَشَرَةِ فُصُولٍ .

(الفصل الأَول)

فيما جاءَ من ذلك مجئَ المدحِ والثناءِ وَتَعدادِ المحاسِن

كقوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » الآية .

قالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْفَسِكُمْ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالضَّمِّ قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ ٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمَ ٱللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْعَرَبَ أَوْ أَهْلَ مَكَّةَ أَوْ جَمِيعَ النَّاسِ عَلَى ٱخْتِلَافِ الْمُفَسِّرِينَ مَنِ ٱلْمُوَاجَهُ بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ أَنَّهُ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مَكَانَهُ ، وَيَعْلَمُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَلَا يَتَّهِمُونَهُ

بِالْكَذِبِ وَتَرْكِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ لِكَوْنِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ إِلَّا وَلَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وِلَادَةٌ أَوْ قَرَابَةٌ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، وَكَوْنِهِ مِنْ أَشْرَفِهِمْ وَأَرْفَعِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ هٰذِهِ نِهَايَةُ الْمَدْحِ، ثُمَّ وَصَفَهُ بَعْدُ بِأَوْصَافٍ حَمِيدَةٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَحَامِدَ كَثِيرَةٍ، مِنْ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَرُشْدِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، وَشِدَّةِ مَا يُعْنِتُهُمْ وَيَضُرُّ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَعِزَّتِهِ عَلَيْهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِمُؤْمِنِيهِمْ. قَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَمِثْلُهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ الآيَةَ» وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ» الآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ» الآيَةَ. وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ أَنْفُسِكُمْ: قَالَ نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ كُلُّهَا نِكَاحٌ. قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَمِائَةِ أُمٍّ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» قَالَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى

أَخْرَجْتُكَ نَبِيًّا . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلِمَ اللّٰهُ تَعَالَى عَجْزَ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ فَعَرَّفَهُمْ ذٰلِكَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ الصَّفْوَ مِنْ خِدْمَتِهِ ، فَأَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَخْلُوقًا مِنْ جِنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ أَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا صَادِقًا ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ ، وَمُوَافَقَتَهُ مُوَافَقَتَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ » وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ : زَيَّنَ اللّٰهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى يَقُولُ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً كَمَا قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ » وَكَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِذَا أَرَادَ اللّٰهُ رَاحِمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا » ، وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ : رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ يَعْنِي لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَقِيلَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بِالْهِدَايَةِ وَرَحْمَةً لِلْمُنَافِقِ بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَرَحْمَةً لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا : هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ،

إِذْ عُوفُوا مِمَّا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ .

وَحُكِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلَامُ : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ ؟ قَالَ نَعَمْ ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) أَيْ بِكَ إِنَّمَا وَقَعَتْ سَلَامَتُهُمْ مِنْ أَجْلِ كَرَامَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : «اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ» الآيَةَ ، قَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ وَابْنُ جُبَيْرٍ : الْمُرَادُ بِالنُّورِ الثَّانِي هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (مَثَلُ نُورِهِ) أَيْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ : الْمَعْنَى اللهُ هَادِي أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا فِي الأَصْلَابِ كَمِشْكَاةٍ صِفَتُهَا كَذَا ، وَأَرَادَ بِالْمِصْبَاحِ قَلْبَهُ وَالزُّجَاجَةِ صَدْرَهُ ، أَيْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ، أَيْ مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ . وَقَوْلُهُ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ، أَيْ تَكَادُ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَبِينُ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلَامِهِ كَهٰذَا الزَّيْتِ ، وَقَدْ قِيلَ فِي هٰذِهِ الآيَةِ غَيْرُ هٰذَا وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَقَدْ

سمَّاهُ اللهُ تعالَى فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هٰذَا الْمَوْضِعِ نُورًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، فَقَالَ تعالَى : قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، وَقَالَ تعالَى : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَمِنْ هٰذَا قَوْلُهُ تعالَى: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ شَرَحَ وَسَّعَ ، وَالْمُرَادُ بِالصَّدْرِ هُنَا الْقَلْبُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا شَرَحَهُ بِنُورِ الإِسْلَامِ ، وَقَالَ سَهْلٌ بِنُورِ الرِّسَالَةِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ مَلَأَهُ حِكَمًا وَعِلْمًا ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَلَمْ يُطَهِّرْ قَلْبَكَ حَتَّى لَا يَقْبَلَ الْوَسْوَاسَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ : قِيلَ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ يَعْنِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَقِيلَ أَرَادَ ثِقْلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقِيلَ أَرَادَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَلَّغَهَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالسُّلَمِيُّ وَقِيلَ عَصَمْنَاكَ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَأَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ ظَهْرَكَ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ : قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ بِالنُّبُوَّةِ ، وَقِيلَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي فِي قَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، وَقِيلَ فِي الْأَذَانِ وَالإِقَامَةِ . قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ : هٰذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ ، وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ، بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ ، وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ الْعِلْمِ وَحَمْلِ الْحِكْمَةِ ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقْلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَبَغَّضَهُ

لِسِيَرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَقِرَانِهِ مَعَ ٱسْمِهِ ٱسْمَهُ ، قَالَ قَتَادَةُ : رَفَعَ ٱللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ . وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ ؟ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي » قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ جَعَلْتُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي ، وَقَالَ أَيْضًا : جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ : لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بِالرِّسَالَةِ إِلَّا ذَكَرَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى مَقَامِ الشَّفَاعَةِ . وَمِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ تَعَالَى أَنْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَٱسْمَهُ بِٱسْمِهِ فَقَالَ تَعَالَى : « وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ — وَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ » فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِوَاوِ الْعَطْفِ الْمُشَرِّكَةِ وَلَا يَجُوزُ جَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ﷺ .

حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى الثِّقَةِ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ

ابنُ عبدِ المؤمن حدثنا أبو بكر بنُ داسة حدثنا أبو داود السجزى حدثنا أبو الوليد الطيالسيُّ حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله ابن يسار عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان»، قال الخطابيُّ أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك، ومثله الحديث الآخر: أن خطيبًا خطب عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما، فقال له النبى ﷺ: بئس خطيب القوم أنت، قم أو قال اذهب. قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية، وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما وقول أبى سليمان أصح لما روى فى الحديث الصحيح أنه قال: ومن يعصهما فقد غوى، ولم يذكر الوقوف على يعصهما: وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعانى فى قوله تعالى: «إن الله وملائكته يصلون على النبى» هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا، فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة، وقدروا الآية: إن الله يصلى

وَمَلائِكَتُهُ يُصَلُّونَ . وَقَدْ رُوِىَ عَنْ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ تَعَالَى : « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ » الآيَتَيْنِ . وَرُوِىَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا يُرِيدُ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : « قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ » فَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ رَغْمًا لَهُمْ . وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِى أُمِّ الْكِتَابِ : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِىُّ : الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخِيَارُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ حَكَاهُ عَنْهُمَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِىُّ وَحَكَى مَكِّىٌّ عَنْهُمَا نَحْوَهُ . وَقَالَ هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَحَكَى أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِىُّ مِثْلَهُ عَنْ أَبِى الْعَالِيَةِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ ، فَقَالَ صَدَقَ وَاللهِ وَنَصَحَ ، وَحَكَى الْمَاوَرْدِىُّ ذَلِكَ فِى تَفْسِيرِ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَحَكَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِىُّ عَنْ بَعْضِهِمْ فِى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » أَنَّهُ مُحَمَّدٌ

صَلَّى ٱللَّهُ عليْهِ وسَلَّمَ ، وقِيلَ الإِسْلامُ ، وقِيلَ شَهادَةُ التَّوْحِيد . وقَالَ سَهْلٌ فِي قوْلِهِ تعالَى : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاتُحْصُوهَا » قالَ نِعْمَتُهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وقالَ تعالَى : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » الآيَتَيْنِ ، أَكْثَرُ الْمُفسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ ، قالَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ ، وَقُرِئَ صَدَقَ بالتَّخْفِيفِ ، وقالَ غيرُهُمُ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ . وقِيلَ أَبُو بَكْرٍ ، وقِيلَ عَلِيٌّ ، وقِيلَ غيرُ هَذا مِنَ الأَقْوالِ . وعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قوْلِهِ تعالَى : أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » قالَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ .

الفصل الثاني

فى وصفه تعالى بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

قَالَ اللهُ تَعالَى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » . الآيَةَ ، جَمَعَ ٱللهُ تَعالَى لَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ضُرُوباً مِنْ رُتَبِ الأُثْرَةِ وَجُمْلَةَ أَوْصَافٍ مِنَ الْمِدْحَةِ ، فَجَعَلَهُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلاغِهِمُ الرِّسَالَةَ وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ ، وَمُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، وَدَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ » حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ حَدَّثَنَا

أَبُو القَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثنا أَبُو الحَسَنِ القَابِسِيُّ حَدَّثنَا أَبُو زَيْدٍ المَرْزَوِيُّ حَدَّثنَا أَبُو عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثنا فُلَيْحٌ حَدَّثنَا هِلَالٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِ بْنَ الْعَاصِ، فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا.

وَذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، فِي بَعْضِ طُرُقِهِ عَنْ ابْنِ إِسْحٰقَ: وَلَا صَخِبٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوَّالٍ لِلْخَنَا، أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أُهْدَى بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ

الْجَمَالَةِ وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النَّكْرَةِ ، وَأُكَثِّرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ ؛ وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . وَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِفَتِهِ فِي التَّوْرَاةِ : عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِالْمَدِينَةِ أَوْ قَالَ طَيْبَةَ ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَقَالَ تَعَالَى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ » الآيَتَيْنِ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ » الآيَةَ . قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَّتَهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ ﷺ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفًا لَيِّنَ الْجَانِبِ ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللهُ سَمْحًا سَهْلًا طَلْقًا بَرًّا لَطِيفًا ، هٰكَذَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ . وَقَالَ تَعَالَى : « وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ : أَبَانَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا ﷺ وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهٰذِهِ الآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ فِي الآيَةِ الْأُخْرَى : « وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ الآيَةَ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَسَطًا أَيْ عُدُولًا خِيَارًا ، وَمَعْنَى هٰذِهِ الآيَةِ ،

وَكَما هَدَيْنَاكُم فَكَذلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيارًا عُدُولًا لِتَشْهَدُوا لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أُمَمِهِمْ وَيَشْهَدَ لَكُمُ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ . قِيلَ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ إِذَا سَأَلَ الأَنْبِيَاءَ هَلْ بَلَّغْتُمْ فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، فَتَقُولُ أُمَمُهُمْ مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَتَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلأَنْبِيَاءِ وَيُزَكِّيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقِيلَ مَعْنَى الآيَةِ أَنَّكُمْ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَكُمْ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَقَالَ تَعَالَى : «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» قَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ قَدَمَ صِدْقٍ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْفَعُ لَهُمْ . وَعَنِ الحَسَنِ أَيْضًا هُوَ مُصِيبَتُهُمْ بِنَبِيِّهِمْ . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هِيَ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ شَفِيعُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ هِيَ سَابِقَةُ رَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا فِي مُحَمَّدٍ ﷺ . وَقَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ : هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ الشَّفِيعُ الْمُطَاعُ وَالسَّائِلُ الْمُجَابُ مُحَمَّدٌ ﷺ حَكَاهُ عَنْهُ السُّلَمِيُّ .

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ

مَكِّيٌّ : قِيلَ هٰذَا افْتِتَاحُ كَلَامٍ بِمَنْزِلَةِ أَصْلَحَكَ اللّٰهُ وَأَعَزَّكَ اللّٰهُ ، وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ أَخْبَرَهُ بِالعَفْوِ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالذَّنْبِ . حَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ مَعْنَاهُ : عَافَاكَ اللّٰهُ يَا سَلِيمَ الْقَلْبِ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ، قَالَ وَلَوْ بَدَأَ النَّبِيَّ ﷺ بِقَوْلِهِ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ لَخِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشَقَّ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَةِ هٰذَا الْكَلَامِ ، لٰكِنِ اللّٰهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّى سَكَنَ قَلْبُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ بِالتَّخَلُّفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الصَّادِقُ فِي عُذْرِهِ مِنَ الْكَاذِبِ وَفِي هٰذَا مِنْ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللّٰهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ وَمِنْ إِكْرَامِهِ إِيَّاهُ وَبِرِّهِ بِهِ مَا يَنْقَطِعُ دُونَ مَعْرِفَةِ غَايَتِهِ نِيَاطُ الْقَلْبِ ، قَالَ نِفْطَوَيْهِ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بِهٰذِهِ الآيَةِ وَحَاشَاهُ مِنْ ذٰلِكَ بَلْ كَانَ مُخَيَّرًا فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الإِذْنِ لَهُمْ ، قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللّٰهُ تَعَالَى : يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُجَاهِدِ نَفْسَهُ الرَّائِضِ بِزِمَامِ الشَّرِيعَةِ خُلُقَهُ ، أَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمُعَاطَاتِهِ وَمُحَاوَرَاتِهِ فَهُوَ عُنْصُرُ الْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَرَوْضَةُ الآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلْيَتَأَمَّلْ هٰذِهِ الْمُلَاطَفَةَ الْعَجِيبَةَ فِي السُّؤَالِ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ الْمُنْعِمِ عَلَى الْكُلِّ الْمُسْتَغْنِي عَنِ الْجَمِيعِ وَيَسْتَثِيرُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَكَيْفَ

ٱبْتَدَأَ بِالْإِكْرَامِ قَبْلَ الْعَتَبِ وَآنَسَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ إِنْ كَانَ ثَمَّ ذَنْبٌ. وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا» قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَاتَبَ اللهُ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الزَّلَّاتِ وَعَاتَبَ نَبِيَّنَا ﷺ قَبْلَ وُقُوعِهِ لِيَكُونَ بِذٰلِكَ أَشَدَّ ٱنْتِهَاءً وَمُحَافَظَةً لِشَرَائِطِ الْمَحَبَّةِ، وَهٰذِهِ غَايَةُ الْعِنَايَةِ. ثُمَّ ٱنْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بِثَبَاتِهِ وَسَلَامَتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَا عَتَبَهُ عَلَيْهِ وَخِيفَ أَنْ يَرْكَنَ إِلَيْهِ فَفِي أَثْنَاءِ عَتْبِهِ بَرَاءَتُهُ وَفِي طَيِّ تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ» الْآيَةَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلٰكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى «فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ» الْآيَةَ وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ حَزِنَ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ مَا يُحْزِنُكَ؟ قَالَ كَذَّبَنِي قَوْمِي، فَقَالَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى الْآيَةَ، فَفِي هٰذِهِ الْآيَةِ مَنْزَعٌ لَطِيفُ الْمَأْخَذِ مِنْ تَسْلِيَتِهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ وَإِلْطَافِهِ فِي الْقَوْلِ بِأَنْ قَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ عِنْدَهُمْ. وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَذِّبِينَ لَهُ مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا وَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ الْأَمِينَ، فَدَفَعَ بِهٰذَا التَّقْرِيرِ ٱرْتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الْكَذِبِ ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ جَاحِدِينَ

ظَالِمِينَ فَقَالَ تَعَالَى وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ وَحَاشَاهُ مِنَ الْوَصْمِ وَطَوَّقَهُمْ بِالْمُعَانَدَةِ بِتَكْذِيبِ الآيَاتِ حَقِيقَةَ الظُّلْمِ ، إِذِ الْجَحْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عَلِمَ الشَّيْءَ ثُمَّ أَنْكَرَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا » ثُمَّ عَزَّاهُ وَآنَسَهُ بِمَا ذُكِرَهُ عَمَّنْ قَبْلَهُ وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: « وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ الآيَةَ فَمَنْ قَرَأَ لَا يُكَذِّبُونَكَ بِالتَّخْفِيفِ فَمَعْنَاهُ لَا يَجِدُونَكَ كَاذِباً. وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَالْكِسَائِيُّ لَا يَقُولُونَ إِنَّكَ كَاذِبٌ ، وَقِيلَ لَا يَحْتَجُّونَ عَلَى كَذِبِكَ وَلَا يُثْبِتُونَهُ ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ فَمَعْنَاهُ لَا يَنْسِبُونَكَ إِلَى الْكَذِبِ، وَقِيلَ لَا يَعْتَقِدُونَ كَذِبَكَ. وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَبِرِّ اللهِ تَعَالَى بِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فَقَالَ يَا آدَمُ يَا نُوحُ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا مُوسَى يَا دَاوُدَ يَا عِيسَى يَا زَكَرِيَّا يَا يَحْيَى ، وَلَمْ يُخَاطِبْ هُوَ إِلَّا : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

الفصل الرابع

فِي قَسَمِهِ تعالى بعظيم قَدْرِهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي هٰذَا أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْلُهُ ضَمُّ الْعَيْنِ مِنَ الْعُمُرِ وَلٰكِنَّهَا فُتِحَتْ لِكَثْرَةِ

الاستعمال ، ومعناه وبقائك يا محمد ، وقيل وعيشك ، وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف . قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره . وقال أبو الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد من غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات ، اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال : فحكى أبو محمد مكي أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر منها أن طه ويس اسمان له ، وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه ﷺ وعن ابن عباس يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من أسماء الله تعالى، وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قدر أنه من أسمائه ﷺ وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده

لِتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَالشَّهَادَةِ بِهِدَايَتِهِ ، أَقْسَمَ ٱللّٰهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيمَانِهِ أَىْ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ . قَالَ النَّقَّاشُ لَمْ يُقْسِمِ اللّٰهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِى كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ يَا سَيِّدُ مَا فِيهِ . وَقَدْ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ . وَقَالَ تَعَالَى لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ قِيلَ لَا أُقْسِمُ بِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْهُ حَكَاهُ مَكِّىٌّ ، وَقِيلَ لَا زَائِدَةٌ أَىْ أُقْسِمُ بِهِ وَأَنْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ حَلَالٌ أَوْ حِلٌّ لَكَ مَافَعَلْتَ فِيهِ عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ وَالْمُرَادُ بِالْبَلَدِ عِنْدَ هٰؤُلَاءِ مَكَّةُ وَقَالَ الْوَاسِطِىُّ أَىْ نَحْلِفُ لَكَ بِهٰذَا الْبَلَدِ الَّذِى شَرَّفْتَهُ بِمَكَانِكَ فِيهِ حَيًّا وَبِبَرَكَتِكَ مَيِّتًا يَعْنِى الْمَدِينَةَ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَمَا بَعْدَهُ يُصَحِّحُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَنَحْوُهُ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ فِى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، قَالَ أَمَّنَهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى بِمُقَامِهِ فِيهَا وَكَوْنِهِ بِهَا فَإِنَّ كَوْنَهُ أَمَانٌ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَوَالِدٍ وَمَاوَلَدَ مَنْ قَالَ أَرَادَ آدَمَ فَهُوَ عَامٌّ وَمَنْ قَالَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَمَاوَلَدَ فَهِىَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَتَضَمَّنُ السُّورَةُ الْقَسَمَ بِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى مَوْضِعَيْنِ . وَقَالَ تَعَالَى الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ هَذِهِ الْحُرُوفُ أَقْسَامٌ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِهَا وَعَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ . الْأَلِفُ هُوَ اللهُ تَعَالَى وَاللَّامُ جِبْرِيلُ وَالمِيمُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى سَهْلٍ وَجَعَلَ مَعْنَاهُ اللهُ أَنْزَلَ جِبْرِيلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْقُرْآنِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَحْتَمِلُ الْقَسَمُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ ثُمَّ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ قِرَانِ اسْمِهِ بِاسْمِهِ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ . وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى قٓ وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ أَقْسَمَ بِقُوَّةِ قَلْبِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم حَيْثُ حَمَلَ الْخِطَابَ وَالْمُشَاهَدَةَ وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ فِيهِ لِعُلُوِّ حَالِهِ وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلْقُرْآنِ وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي تَفْسِيرِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ النَّجْمُ قَلْبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَوَى انْشَرَحَ مِنَ الْأَنْوَارِ ، وَقَالَ انْقَطَعَ عَنْ غَيْرِ اللهِ . وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ : الْفَجْرُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ مِنْهُ تَفَجَّرَ الْإِيمَانُ .

الفصل الخامس

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى جَدُّهُ لَهُ لِتَحَقُّقِ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ قَالَ جَلَّ اسْمُهُ : «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» السُّورَةَ . اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ

السُّورَةِ فَقِيلَ كَانَ تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ لِعُذْرٍ نَزَلَ بِهِ فَتَكَلَّمَتِ امْرَأَةٌ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ، وَقِيلَ بَلْ تَكَلَّمَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَنَزَلَتِ السُّورَةُ، قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَتَنْوِيهِهِ بِهِ وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: الْقَسَمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ دَرَجَاتِ الْمَبَرَّةِ. الثَّانِي: بَيَانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظْوَتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ وَقِيلَ مَا أَهْمَلَكَ بَعْدَ أَنِ اصْطَفَاكَ. الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ أَيْ مَا لَكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا. وَقَالَ سَهْلٌ أَيْ مَا ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَعْطَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا. الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وَهَذِهِ آيَةٌ جَامِعَةٌ لِوُجُوهِ الْكَرَامَةِ وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةِ. قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ: يُرْضِيهِ بِالْفَلَجِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ. وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ آلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَيْسَ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ أَرْجَى مِنْهَا وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ. الْخَامِسُ: مَا عَدَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ

مِنْ نِعَمِهِ وَقَرَّرَهُ مِنْ آلائِهِ قِبَلَهُ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ التَّفَاسِيرِ وَلَا مَالَ لَهُ فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَى، وَيَتِيماً فَحَدَبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ وَآوَاهُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ آوَاهُ إِلَى اللَّهِ، وَقِيلَ يَتِيماً لَا مِثَالَ لَكَ فَآوَاكَ إِلَيْهِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى أَلَمْ يَجِدْكَ فَهَدَى بِكَ ضَالًّا وَأَغْنَى بِكَ عَائِلاً وَآوَى بِكَ يَتِيماً. ذَكَّرَهُ بِهَذِهِ الْمِنَنِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْمَعْلُومِ مِنَ التَّفْسِيرِ لَمْ يُهْمِلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ وَعَيْلَتِهِ وَيُتْمِهِ وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَا وَدَّعَهُ وَلَا قَلَاهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ، السَّادِسُ أَمْرُهُ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ بِنَشْرِهِ، وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ التَّحَدُّثَ بِهَا، وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ عَامٌّ لِأُمَّتِهِ وَقَالَ تَعَالَى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَالنَّجْمِ بِأَقَاوِيلَ مَعْرُوفَةٍ، مِنْهَا النَّجْمُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَمِنْهَا الْقُرْآنُ، وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَالَ هُوَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ» إِنَّ النَّجْمَ هُنَا أَيْضاً مُحَمَّدٌ ﷺ حَكَاهُ السُّلَمِيُّ، وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ الْعِدِّ مَا يَقِفُ دُونَهُ

الْعَدُّ ، وَأَقسَمَ جَلَّ اسْمُهُ عَلَى هِدَايَةِ الْمُصْطَفَى وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى وَصِدْقِهِ فِيمَا تَلاَ ، وَأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَى ، أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ عَنِ اللهِ جِبْرِيلُ ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَى ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَانْتِهَائِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَتَصْدِيقِ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَى ، وَأَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، وَلَمَّا كَانَ مَا كَاشَفَهُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَرُوتِ وَشَاهَدَهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ لاَ تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَاتُ ، وَلاَ تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَدْنَاهُ الْعُقُولُ ، رَمَزَ عَنْهُ تَعَالَى بِالْإِيمَاءِ وَالْكِنَايَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّعْظِيمِ فَقَالَ تَعَالَى : « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلاَمِ يُسَمِّيهِ أَهْلُ النَّقْدِ وَالْبَلاَغَةِ بِالْوَحْيِ وَالْإِشَارَةِ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَبْلَغُ أَبْوَابِ الْإِيجَازِ . وَقَالَ : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » انْحَسَرَتْ الْأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَى ، وَتَاهَتِ الْأَحْلاَمُ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ : اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى إِعْلاَمِ اللهِ تَعَالَى بِتَزْكِيَةِ جُمْلَتِهِ ﷺ وَعِصْمَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ فِي هَذَا الْمَسْرَى ، فَزَكَّى فُؤَادَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ ، فَقَلْبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . وَقَالَ تَعَالَى : « فَلاَ أُقْسِمُ

بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ إِلَى قَوْلِهِ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، لَا أُقْسِمُ أَيْ أُقْسِمُ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، أَيْ كَرِيمٍ عِنْدَ مُرْسِلِهِ ذِي قُوَّةٍ عَلَى تَبْلِيغِ مَا حُمِّلَهُ مِنَ الْوَحْيِ ، مَكِينٍ أَيْ مُتَمَكِّنِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ رَبِّهِ رَفِيعِ الْمَحَلِّ عِنْدَهُ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَيْ فِي السَّمَاءِ ، أَمِينٍ عَلَى الْوَحْيِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى وَغَيْرُهُ : الرَّسُولُ الْكَرِيمُ هُنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، فَجَمِيعُ الْأَوْصَافِ بَعْدُ عَلَى هَذَا لَهُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ جِبْرِيلُ فَتَرْجِعُ الْأَوْصَافُ إِلَيْهِ ، وَلَقَدْ رَآهُ يَعْنِي مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم ، قِيلَ رَأَى رَبَّهُ ، وَقِيلَ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ، أَيْ بِمُتَّهَمٍ ، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالضَّادِ فَمَعْنَاهُ ، مَا هُوَ بِبَخِيلٍ بِالدُّعَاءِ بِهِ وَالتَّذْكِيرِ بِحُكْمِهِ وَبِعِلْمِهِ ، وَهَذِهِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِاتِّفَاقٍ . وَقَالَ تَعَالَى نٓ وَالْقَلَمِ الْآيَاتُ ، أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قَسَمِهِ ، عَلَى تَنْزِيهِ الْمُصْطَفَى مِمَّا غَمَصَتْهُ الْكَفَرَةُ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، وَآنَسَهُ وَبَسَطَ أَمَلَهُ بِقَوْلِهِ مُحْسِنًا خِطَابَهُ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَهَذِهِ نِهَايَةُ الْمَبَرَّةِ فِي الْمُخَاطَبَةِ وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْآدَابِ فِي الْمُحَاوَرَةِ ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ وَثَوَابٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ لَا يَأْخُذُهُ عَدٌّ وَلَا يُمَنُّ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ هِبَاتِهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ ذَلِكَ تَتْمِيمًا لِلتَّمْجِيدِ

بحرْفِ التأْكيدِ فقالَ تعالَى: وَإنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عظيمٍ قيلَ القُرْآنُ وقيلَ الإسْلامُ وقيلَ الطَّبْعُ الكَريمُ، وقيلَ ليْسَ لكَ همَّةٌ إلَّا اللهُ. قالَ الوَاسِطيُّ: أثْنَى عليْهِ بحُسْنِ قبُولهِ لما أسْداهُ إليْهِ منْ نعمهِ وفضَّلَهُ بذلكَ على غيْرهِ لأنَّهُ جبلَهُ على ذلكَ الخُلُقِ فسُبْحانَ اللَّطيفِ الكَريمِ المُحْسنِ الجَوادِ الحَميدِ الَّذي يسَّرَ للخَيْرِ وهدَى إليْهِ، ثُمَّ أثْنَى على فاعلهِ وجازاهُ عليْهِ سُبْحانَهُ ما أغْمرَ نوالَهُ وأوْسعَ أفْضالَهُ ثُمَّ سلَّاهُ عنْ قوْلهمْ بعْدَ هذا بما وعدَهُ بهِ منْ عقابهمْ وتوعَّدهمْ بقوْلهِ فَسَتُبْصرُ ويُبْصرُونَ الثَّلاثَ الآياتِ ثُمَّ عطفَ بعْدَ مدْحهِ على ذمِّ عدُوِّهِ وذِكْرِ سُوءِ خُلُقهِ وعدِّ معايبهِ مُتَوَلِّياً ذلكَ بفضْلهِ ومُنْتَصراً لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فذكرَ بضْعَ عشرَةَ خصْلةً منْ خصالِ الذَّمِّ فيهِ بقوْلهِ تعالَى: «فلا تُطعِ المُكذِّبينَ إلى قوْلهِ ـ أساطيرُ الأوَّلينَ» ثُمَّ ختمَ ذلكَ بالوَعيدِ الصَّادقِ بتمامِ شقائهِ وخاتمةِ بوارهِ بقوْلهِ تعالَى: «سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ» فكانتْ نُصْرةُ اللهِ تعالَى لهُ أتمَّ منْ نُصْرتهِ لنفْسهِ، وردُّهُ تعالَى على عدُوِّهِ أبْلغُ منْ ردِّهِ وأثْبتَ في ديوانِ مجْدهِ.

الفصل السادس

(فيما ورد من قوله تعالى فى جهته ﷺ مورد الشفقة والإكرام)

قالَ تعالَى: «طه ما أنْزلْنا عليْكَ القُرْآنَ لتَشْقَى» قيلَ طه

ٱسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ ، وَقِيلَ هُوَ ٱسْمٌ لِلّٰهِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَا رَجُلُ ، وَقِيلَ يَا إِنْسَانُ ، وَقِيلَ هِيَ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ لِمَعَانٍ . وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ أَرَادَ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي ، وَقِيلَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْوَطْءِ وَالْهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ ٱلْأَرْضِ أَيِ ٱعْتَمِدْ عَلَى ٱلْأَرْضِ بِقَدَمَيْكَ ، وَلَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى » نَزَلَتِ ٱلْآيَةُ فِيمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَلَّفُهُ مِنَ السَّهَرِ وَالتَّعَبِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ . أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ إِجَازَةً وَمِنْ أَصْلِهِ نَقَلْتُ ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَمَوِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خُزَيْمٍ الشَّاشِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ الْأُخْرَى ، فَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ تَعَالَى « طٰه » يَعْنِي طَإِ الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ « مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى » الْآيَةُ . وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هٰذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ ، وَإِنْ جَعَلْنَا طٰه مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَمَا قِيلَ . أَوْ جُعِلَتْ قَسَمًا لَحِقَ الْفَصْلُ بِمَا قَبْلَهُ ، وَمِثْلُ هٰذَا مِنْ نَمَطِ الشَّفَقَةِ وَالْمَبَرَّةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » أَيْ قَاتِلٌ نَفْسَكَ لِذٰلِكَ

غضبًا أَوْ غيظًا أَوْ جزعًا ، ومثْلُهُ قوْلُه تعالى أيضًا : « لعلَّكَ باخِعٌ نفسَكَ أَلَّا يكونوا مُؤْمنين » ثُمَّ قالَ تعالى : « إنْ نشأْ نُنزِّلْ عليهم مِنَ السَّماءِ آيةً فظلَّتْ أعناقُهُمْ لها خاضعين » . ومنْ هٰذا الباب قوْلُهُ تعالى : « فاصْدعْ بما تؤْمرُ وأعْرِضْ عنِ المشركين » إلى قوْلِهِ تعالى : « ولقدْ نعْلمُ أنَّكَ يضيقُ صدْرُكَ بما يقولون » إلى آخرِ السُّورةِ . وقوْلُهُ : « ولقدِ اسْتهزِئَ برُسُلٍ منْ قبْلِكَ » الآيةِ . قالَ مكِّيٌّ : سلَّاهُ تعالى بما ذكرَ ، وهوَّنَ عليْهِ ما يلقاهُ منَ المشركين ، وأعْلمهُ أنَّ منْ تمادَى على ذٰلكَ يحُلُّ بهِ ما حلَّ بمنْ قبْلهُ ، ومثْلُ هٰذهِ التَّسْليةِ قوْلهُ تعالى : « وإنْ يُكذِّبُوكَ فقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ منْ قبْلِكَ » ومنْ هذا قوْلُهُ تعالى : « كذٰلكَ ما أتى الَّذينَ منْ قبْلِهمْ منْ رسولٍ إلَّا قالُوا ساحرٌ أوْ مجْنونٌ » عزَّاهُ اللهُ تعالى بما أخبرَ بهِ عنِ الأُممِ السَّالفةِ ومقالتِها لأنبيائهمْ قبْلهُ ، ومحْنتِهمْ بهمْ ، وسلَّاهُ بذٰلكَ عنْ محْنتهِ بمثْلهِ منْ كفَّارِ مكَّةَ ، وأنَّهُ ليْسَ أوَّلَ منْ لقيَ ذٰلكَ ، ثُمَّ طيَّبَ نفْسَهُ وأبانَ عُذْرهُ بقوْلهِ تعالى : « فتولَّ عنْهُمْ » أيْ أعْرِضْ عنْهُمْ « فما أنْتَ بملُومٍ » أيْ في أداءِ ما بلَّغْتَ وإبْلاغِ ما حُمِّلْتَ ومثْلُهُ قوْلُهُ تعالى : « واصْبرْ لحُكْمِ ربِّكَ فإنَّكَ بأعْيُننا » أيِ اصْبرْ على

أَذَاهُمْ فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ ، سَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِهٰذَا فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هٰذَا الْمَعْنَى .

الفصل السابع

فيما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ - إِلَى قَوْلِهِ - مِنَ الشَّاهِدِينَ » قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ اسْتَخَصَّ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ أَبَانَهُ بِهِ ؛ وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هٰذِهِ الآيَةِ . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَنَعْتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ؛ وَقِيلَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِقَوْمِهِ وَيَأْخُذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ وَقَوْلُهُ ثُمَّ جَاءَكُمْ الْخِطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْمُعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وَيَأْخُذُ الْعَهْدَ بِذٰلِكَ عَلَى قَوْمِهِ ؛ وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ فِي آيٍ تَضَمَّنَتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ » الآيَةُ ، وَقَالَ تَعَالَى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ - إِلَى قَوْلِهِ - شَهِيدًا » . رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ : فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ ، فَقَالَ : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ » الآيَةَ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ : « يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا » قَالَ قَتَادَةُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدَّمًا هُنَا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ . قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ فِي هَذَا تَفْضِيلُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ بَعْثًا . الْمَعْنَى أَخَذَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ ، وَقَالَ تَعَالَى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » الآيَةُ ، قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ مُحَمَّدًا ﷺ لِأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْمُعْجِزَاتُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ فَضِيلَةً أَوْ كَرَامَةً إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِثْلَهَا ، قَالَ بَعْضُهُمْ : وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَ الْأَنْبِيَاءَ بِأَسْمَائِهِمْ

وَخَاطَبَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، وَيَا أَيُّهَا الرَّسُولُ . وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ » ، أَنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، أَيْ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ لَإِبْرَاهِيمَ ، أَيْ عَلَى دِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ ، وَأَجَازَهُ الْفَرَّاءُ ، وَحَكَاهُ عَنْهُ مَكِّيٌّ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ » أَيْ مَا كُنْتَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ : « وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا » الآيَةَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ » الآيَةُ فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ « وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ » وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ مَا يُظْهِرُ مَكَانَتَهُ ﷺ وَدَرْأَتَهُ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ ثُمَّ كَوْنِ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَلَمَّا خَلَتْ مَكَّةُ مِنْهُمْ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ . وَحَكَّمَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . وَفِي الآيَةِ أَيْضًا تَأْوِيلٌ آخَرُ . حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ

حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلِي بْنُ زَوْجُ الْحُرَّةِ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ يُوسُفَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيكُمُ الاِسْتِغْفَارَ وَنَحْوٌ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قَالَ ﷺ :«أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي» قِيلَ مِنَ الْبِدَعِ ، وَقِيلَ مِنَ الاِخْتِلاَفِ وَالْفِتَنِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْأَمَانُ الْأَعْظَمُ مَا عَاشَ وَمَا دَامَتْ سُنَّتُهُ بَاقِيَةً فَهُوَ بَاقٍ فَإِذَا أُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فَانتَظِرُوا الْبَلاَءَ وَالْفِتَنَ ، وَقَالَ اللهُ تَعالى : إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الآيَةَ أَبَانَ اللهُ تَعالى فَضْلَ نَبِيِّهِ ﷺ بِصَلاَتِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِصَلاَةِ مَلاَئِكَتِهِ وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ حَكَى أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَماءِ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ ﷺ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَى هَذَا أَيْ فِي صَلاَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَيَّ وَمَلاَئِكَتِهِ وَأَمْرِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالصَّلاَةُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَمِنَّا لَهُ دُعَاءٌ وَمِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ رَحْمَةٌ وَقِيلَ يُصَلُّونَ يُبَارِكُونَ

وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ عَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَالْبَرَكَةِ وَسَنَذْكُرُ حُكْمَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ حُرُوفِ كهيعص : أَنَّ الْكَافَ مِنْ كَافٍ أَيْ كِفَايَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ قَالَ تَعَالَى : أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَالْهَاءَ هِدَايَتُهُ لَهُ قَالَ : وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَالْيَاءَ تَأْيِيدُهُ ، قَالَ : وَأَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ، وَالْعَيْنَ عِصْمَتُهُ لَهُ ، قَالَ : وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وَالصَّادَ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، وَقَالَ تَعَالَى : « وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ » الآيَةُ ، مَوْلَاهُ أَيْ وَلِيُّهُ ، « وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ » قِيلَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَقِيلَ الْمَلَائِكَةُ ، وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَقِيلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقِيلَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ .

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته ﷺ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا — إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى — يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » تَضَمَّنَتْ هٰذِهِ الآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَنِعْمَتَهُ لَدَيْهِ ، مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ ، فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ بِظُهُورِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ

غيرُ مُؤاخذٍ بما كانَ وَمَا يَكون ، قالَ بعضُهُمْ : أَرادَ غفرانَ ما وَقعَ وَما لَمْ يقعْ أَىْ أَنَّكَ مَغْفورٌ لكَ . وَقالَ مَكِّىٌّ : جَعلَ اللهُ المِنَّةَ سبَبًا لِلْمَغْفرَةِ وَكلٌّ مِنْ عِنْدِهِ لَا إِلٰهَ غيْرُهُ مِنَّةً بعْدَ مِنَّةٍ وَفَضْلًا بعْدَ فضْلٍ ، ثُمَّ قالَ : « وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » قِيلَ بِخُضُوعِ مَنْ تَكَبَّرَ لَكَ ، وَقِيلَ بِفَتْحِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَقِيلَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ فِى الدُّنْيا وَيَنْصُرُكَ وَيَغفرُ لكَ ، فَأَعْلَمَهُ بِتَمامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ بِخُضُوعِ مُتَكَبِّرِى عَدُوِّهِ لَهُ وَفَتْحِ أَهَمِّ الْبلادِ عَلَيْهِ وَأَحَبِّهَا لَهُ ، وَرَفْعِ ذِكْرِهِ وَهِدَايَتِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُبَلِّغَ الْجَنَّةَ والسَّعَادَةَ وَنَصْرِهِ النَّصْرَ الْعَزِيزَ وَمِنَّتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ الَّتِى جَعَلَهَا فِى قُلُوبِهِمْ . وَبِشَارَتِهِمْ بِما لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْدُ وَفَوْزِهِمُ الْعَظِيمِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالسَّتْرِ لِذُنُوبِهِمْ وَهَلَاكِ عَدُوِّهِ فِى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَلَعْنِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ . ثُمَّ قالَ :« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » الآيَةُ ، فَعَدَّ مَحَاسِنَهُ وَخَصَائِصَهُ مِنْ شَهَادَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ لَهُمْ ، وَقِيلَ شَاهِدًا لَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَمُبَشِّرًا لِأُمَّتِهِ بِالثَّوَابِ ، وَقِيلَ بِالْمَغْفِرَةِ وَمُنْذِرًا عَدُوَّهُ بِالْعَذَابِ ، وَقِيلَ مُحَذِّرًا مِنَ الضَّلَالَاتِ لِيُؤْمِنَ بِاللهِ ثُمَّ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى وَيُعَزِّرُوهُ أَىْ يُجِلُّونَهُ ، وَقِيلَ يَنْصُرُونَهُ ، وَقِيلَ يُبَالِغُونَ فِى تَعْظِيمِهِ وَيُوَقِّرُوهُ أَىْ يُعَظِّمُونَهُ ، وَقَرَأَهُ

بعضهم ويعزّزوه بزاءين من العزّ، والأكثر والأظهر أنّ هذا في حقّ محمد ﷺ، ثمّ قال: ويسبّحوه فهذا راجع إلى الله تعالى، قال ابن عطاء: جمع للنبيّ ﷺ في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة، وهي من أعلام المحبّة وتمام النعمة، وهي من أعلام الإختصاص والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة، والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة، وقال جعفر بن محمد: من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحلّ الأعلى وحفظه في المعراج حتّى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحلّ له ولأمّته الغنائم وجعله شفيعاً مشفّعاً وسيّد ولد آدم، وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد، ثمّ قال، «إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله»، يعني بيعة الرضوان، أي إنّما يبايعون الله ببيعتهم إيّاك، «يد الله فوق أيديهم» يريد عند البيعة. قيل قوّة الله وقيل ثوابه، وقيل منّته. وقيل عقده، وهذه استعارات وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إيّاه وعظم شأن المبايع ﷺ وقد يكون من هذا قوله تعالى: «فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ رَمَى » وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فِي بَابِ الْمَجَازِ وَهٰذَا فِي بَابِ الْحَقِيقَةِ ، لِأَنَّ الْقَاتِلَ وَالرَّامِيَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ ٱللّٰهُ ، وَهُوَ خَالِقُ فِعْلِهِ وَرَمْيِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَمَشِيئَتِهِ ؛ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْبَشَرِ تَوْصِيلُ تِلْكَ الرَّمْيَةِ حَيْثُ وَصَلَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَمْلَأْ عَيْنَيْهِ ؛ وَكَذٰلِكَ قَتْلُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ حَقِيقَةٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ الْأُخْرَى أَنَّهَا عَلَى الْمَجَازِ الْعَرَبِيِّ وَمُقَابَلَةِ اللَّفْظِ وَمُنَاسَبَتِهِ ؛ أَيْ مَا قَتَلْتُمُوهُمْ وَمَا رَمَيْتَهُمْ إِذْ رَمَيْتَ وُجُوهَهُمْ بِالْحَصْبَاءِ وَالتُّرَابِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمَى قُلُوبَهُمْ بِالْجَزَعِ ؛ أَيْ مَنْفَعَةَ الرَّمْيِ كَانَتْ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ ؛ فَهُوَ الْقَاتِلُ وَالرَّامِي بِالْمَعْنَى وَأَنْتَ بِالِاسْمِ .

الفصل العاشر

فيما أَظهره ٱللّٰه تعالى فى كتابه العزيز

مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذٰلِكَ سِوَى مَا ٱنْتَظَمَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ؛ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَصَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ سُبْحَانَ وَالنَّجْمِ ؛ وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةُ مِنْ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ مَا شَاهَدَ مِنَ الْعَجَائِبِ ؛ وَمِنْ ذٰلِكَ عِصْمَتُهُ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَٱللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا » الآيَةُ ، وَقَوْلُهُ : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

اللهُ « وَمَا دَفَعَ اللهُ بِهِ عَنْهُ فِي هَـٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحْرِيمِهِمْ لِهُلْـكِهِ وَخُلُوصِهِمْ نَجِيًّا فِي أَمْرِهِ وَالْأَخْذِ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ وَذُهُولِهِمْ عَنْ طَلَبِهِ فِي الْغَارِ ، وَمَا ظَهَرَ فِي ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَنُزُولِ السَّـكِينَةِ عَلَيْهِ وَقِصَّةِ سُرَّاقَةَ بْنِ مَالِكٍ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ فِي قِصَّةِ الْغَارِ ، وَحَدِيثِ الْهِجْرَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْـكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا أَعْطَاهُ ، وَالْـكَوْثَرُ حَوْضُهُ ، وَقِيلَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَقِيلَ الْخَيْرُ الْـكَثِيرُ ، وَقِيلَ الشَّفَاعَةُ ، وَقِيلَ الْمُعْجِزَاتُ الْـكَثِيرَةُ ، وَقِيلَ النُّبُوَّةُ ، وَقِيلَ الْمَعْرِفَةُ ، ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ عَدُوَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ، أَيْ عَدُوَّكَ وَمُبْغِضَكَ ، وَالْأَبْتَرُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ أَوِ الْمُفْرَدُ الْوَحِيدُ أَوِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَقَالَ تَعَالَى :
« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » قِيلَ « السَّبْعُ الْمَثَانِي » السُّوَرُ الطِّوَالُ الْأُوَلُ ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ : أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ سَائِرُهُ ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَبُشْرَى وَإِنْذَارٍ وَضَرْبِ مَثَلٍ وَإِعْدَادِ نِعَمٍ ، وَآتَيْنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرْآنِ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، وَقِيلَ بَلِ اللهُ تَعَالَى اسْتَثْنَاهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ

وَذَخرَهَا لَهُ دُونَ الأَنْبياءِ ، وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي لِأَنَّ الْقِصَصَ تُثَنَّى فِيهِ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي أَكْرَمْنَاكَ بِسَبْعِ كَرَامَاتٍ : الْهُدَى وَالنُّبُوَّةُ وَالرَّحْمَةُ والشَّفَاعَةُ والْوِلَايَةُ وَالتَّعْظِيمُ والسَّكِينَةُ . وَقَالَ «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ » الآيَةُ ، وقَالَ : «ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » وَقَالَ تَعَالَى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » الآيَةُ ، قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ فَهَذِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ ، وَقَالَ تَعَالَى : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » فَخَصَّهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَبَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً كَمَا قَالَ ﷺ بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ ، وَقَالَ تَعَالَى : « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَيْ مَا أَنْفَذَهُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرٍ فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ كَمَا يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَقِيلَ اتِّبَاعُ أَمْرِهِ أَوْلَى مِنَ اتِّبَاعِ رَأْيِ النَّفْسِ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ أَيْ هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالأُمَّهَاتِ حَرُمَ نِكَاحُهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ ، تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً وَلِأَنَّهُنَّ لَهُ أَزْوَاجٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَدْ قُرِئَ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَلَا يُقْرَأُ بِهِ الآنَ لِمُخَالَفَتِهِ الْمُصْحَفَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » الآيَةُ ، قِيلَ فَضْلُهُ الْعَظِيمُ بِالنُّبُوَّةِ ؛ وَقِيلَ

بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْأَزَلِ . وَأَشَارَ الْوَاسِطِيُّ إِلَى أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى احْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ الَّتِي لَمْ يَحْتَمِلْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، الْبَاحِثُ عَنْ تَفَاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ . أَنَّ خِصَالَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ فِي الْبَشَرِ نَوْعَانِ : ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ اقْتَضَتْهُ الْجِبِلَّةُ وَضَرُورَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ وَهُوَ مَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى زُلْفَى ، ثُمَّ هِيَ عَلَى فَنَّيْنِ أَيْضًا : مِنْهَا مَا يَتَخَلَّصُ لِأَحَدِ الْوَصْفَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يَتَمَازَجُ وَيَتَدَاخَلُ . فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ الْمَحْضُ فَمَا لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا اكْتِسَابٌ مِثْلُ مَا كَانَ فِي جِبِلَّتِهِ ، مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ ، وَقُوَّةِ عَقْلِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ وَأَعْضَائِهِ ، وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ وَشَرَفِ نَسَبِهِ ، وَعِزَّةِ قَوْمِهِ كَرَمِ أَرْضِهِ ، وَيَلْحَقُ بِهِ مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنَوْمِهِ ، وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَمَنْكَحِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ . وَقَدْ تَلْحَقُ هَذِهِ الْخِصَالُ الآخِرَةُ بِالْأُخْرَوِيَّةِ إِذَا قُصِدَ بِهَا التَّقْوَى وَمَعُونَةُ الْبَدَنِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهَا ، وَكَانَتْ عَلَى حُدُودِ الضَّرُورَةِ وَقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ . وَأَمَّا الْمُكْتَسَبَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ ،

فَسَائِرُ الأَخْلاقِ الْعَلِيَّةِ وَالآدابِ الشَّرْعِيَّةِ ، مِنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالْعَدْلِ ، وَالزُّهْدِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْعَفْوِ ، وَالْعِفَّةِ وَالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْحَيَاءِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَالصَّمْتِ وَالتُّؤَدَةِ ، وَالْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَالْمُعَاشَرَةِ ، وَأَخَوَاتِهَا وَهِيَ الَّتِي جِمَاعُهَا حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَـذِهِ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ فِي الْغَرِيزَةِ وَأَصْلِ الْجِبِلَّةِ لِبَعْضِ النَّاسِ ، وَبَعْضُهُمْ لَا تَكُونُ فِيهِ فَيَكْتَسِبُهَا وَلَكِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ أُصُولِهَا فِي أَصْلِ الْجِبِلَّةِ شُعْبَةٌ ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ دُنْيَوِيَّةً إِذَا لَمْ يُرَدْ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ ، وَلَكِنَّهَا كُلَّهَا مَحَاسِنُ وَفَضَائِلُ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ ، وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي مُوجِبِ حُسْنِهَا وَتَفْضِيلِهَا .

(فَصْلٌ) قَالَ الْقَاضِي : إِذَا كَانَتْ خِصَالُ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَرَأَيْنَا الْوَاحِدَ مِنَّا يَتَشَرَّفُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا أَوِ اثْنَتَيْنِ إِنِ اتَّفَقَتْ لَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، إِمَّا مِنْ نَسَبٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ حِلْمٍ أَوْ شَجَاعَةٍ أَوْ سَمَاحَةٍ حَتَّى يَعْظُمَ قَدْرُهُ وَيُضْرَبَ بِاسْمِهِ الْأَمْثَالُ وَيَتَقَرَّرَ لَهُ بِالْوَصْفِ بِذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ أَثَرَةٌ وَعَظَمَةٌ . وَهُوَ مُنْذُ عُصُورٍ خَوَالٍ رِمَمٌ بَوَالٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ عَدٌّ وَلَا يُعَبِّرُ عَنْهُ مَقَالٌ وَلَا يُنَالُ

بكسبٍ ولا حيلةٍ إلّا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوّة والرسالة ، والخلّة والمحبّة والاصطفاء والإسراء ، والرؤية والقرب والدنوّ بالوحي والشفاعة ، والوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود والبراق والمعراج ، والبعث إلى الأحمر والأسود بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم ، وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة ، والمكانة عند ذي العرش والطاعة ، ثمّ والأمانة والهداية ورحمة للعالمين ، وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر ، وسماع القول وإتمام النعمة ، والعفو عمّا تقدّم وما تأخّر ، وشرح الصدر ووضع الوزر ، ورفع الذكر وعزّة النصر ، ونزول السكينة والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم ، وتزكية الأمّة والدعاء إلى الله ، وصلاة الله تعالى والملائكة ، والحكم بين الناس بما أراه الله ، ووضع الإصر والأغلال عنهم ، والقسم باسمه وإجابة دعوته ، وتكليم الجمادات العجم ، وإحياء الموتى وإسماع الصمّ ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير القليل وانشقاق القمر ، وردّ الشمس وقلب الأعيان ، والنصر بالرعب ، والاطّلاع على الغيب ، وظلّ الغمام وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام والعصمة من الناس ،

إِلَى مَا لاَ يَحْوِيهِ مُحْتَفِلٌ ، وَلاَ يُحِيطُ بِعِلْمِهِ إِلاَّ مَانِحُهُ ذَلِكَ وَمُفَضِّلُهُ بِهِ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ ، إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ ، وَدَرَجَاتِ الْقُدْسِ ، وَمَرَاتِبِ السَّعَادَةِ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ ، الَّتِي تَقِفُ دُونَهَا الْعُقُولُ ، وَيَحَارُ دُونَ إِدْرَاكِهَا الْوَهْمُ .

(فَصْلٌ) إِنْ قُلْتَ أَكْرَمَكَ اللهُ لاَ خَفَاءَ عَلَى الْقَطْعِ بِالْجُمْلَةِ أَنَّهُ ﷺ أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا وَأَعْظَمُهُمْ مَحَلاًّ ، وَأَكْمَلُهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلاً ؛ وَقَدْ ذَهَبْتَ فِي تَفَاصِيلِ خِصَالِ الْكَمَالِ مَذْهَبًا جَمِيلاً شَوَّقَنِي إِلَى أَنْ أَقِفَ عَلَيْهَا مِنْ أَوْصَافِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْصِيلاً * فَاعْلَمْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ ، وَضَاعَفَ فِي هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حُبِّي وَحُبَّكَ ، أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى خِصَالِ الْكَمَالِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ وَفِي جِبِلَّةِ الْخِلْقَةِ وَجَدْتَهُ ﷺ حَائِزًا لِجَمِيعِهَا ، مُحِيطًا بِشَتَاتِ مَحَاسِنِهَا ، دُونَ خِلاَفٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الأَخْبَارِ لِذَلِكَ ، بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ . أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا وَتَنَاسُبُ أَعْضَائِهِ فِي حُسْنِهَا ، فَقَدْ جَاءَتِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَالْمَشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَأَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنِ أَبِي هَالَةَ وَأَبِي جُحَيْفَةَ وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَأُمِّ مَعْبَدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُعَرِّضِ ابْنِ مُعَيْقِيبٍ وَأَبِي الطُّفَيْلِ وَالْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدٍ وَخُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ وَحَكِيمِ

أُبْن حِزَامٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، مِنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، أَدْعَجَ أَنْجَلَ أَشْكَلَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ ، أَبْلَجَ أَزَجَّ أَقْنَى أَفْلَجَ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ ، وَاسِعَ الْجَبِينِ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ تَمْلَأُ صَدْرَهُ ، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، وَاسِعَ الصَّدْرِ عَظِيمَ الْمَنْكِبَيْنِ ، ضَخْمَ الْعِظَامِ سَائِلَ الْعَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ ، رَحْبَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ ، رَبْعَةَ الْقَدِّ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ ﷺ ، رَجِلَ الشَّعَرِ ، إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ ، أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا ، لَيْسَ بِمُطَهَّمٍ وَلَا مُكَلْثَمٍ ، مُتَمَاسِكَ الْبَدَنِ ضَرْبَ اللَّحْمِ . قَالَ الْبَرَاءُ : مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِى لِمَّةٍ فِى حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأْلَأُ فِى الْجُدُرِ ، وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : كَانَ وَجْهُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ ، فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا ، وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِى بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ : أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْلَاهُ

وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ . وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ أَبِي هَالَةَ : يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي آخِرِ وَصْفِهِ لَهُ : مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ . وَالْأَحَادِيثُ فِي بَسْطِ صِفَتِهِ مَشْهُورَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَا نُطَوِّلُ بِسَرْدِهَا ، وَقَدِ ٱخْتَصَرْنَا فِي وَصْفِهِ نُكَتَ مَا جَاءَ فِيهَا وَجُمْلَةً مِمَّا فِيهِ كِفَايَةٌ فِي الْقَصْدِ إِلَى الْمَطْلُوبِ ، وَخَتَمْنَا هَذِهِ الْفُصُولَ بِحَدِيثٍ جَامِعٍ لِذَٰلِكَ تَقِفُ عَلَيْهِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا نَظَافَةُ جِسْمِهِ وَطِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ ، وَنَزَاهَتُهُ عَنِ الْأَقْذَارِ وَعَوْرَاتِ الْجَسَدِ ، فَكَانَ قَدْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَٰلِكَ بِخَصَائِصَ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ ، ثُمَّ تَمَّمَهَا بِنَظَافَةِ الشَّرْعِ وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ الْعَشْرِ ، وَقَالَ بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ * حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ٱبْنُ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ * وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ ،

قَالَ غَيْرُهُ مَسَّهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا ، يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِ أَنَسٍ فَعَرِقَ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقَهُ ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ . وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ عَنْ جَابِرٍ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِهِ . وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ رَائِحَتَهُ بِلاَ طِيبٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى الْمُزَنِيُّ وَالْحَرْبِيُّ عَنْ جَابِرٍ : أَرْدَفَنِي النَّبِيُّ ﷺ خَلْفَهُ فَالْتَقَمْتُ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بِفَمِي فَكَانَ يَنُمُّ عَلَيَّ مِسْكًا . وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُعْتَنِينَ بِأَخْبَارِهِ وَشَمَائِلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَابْتَلَعَتْ غَائِطَهُ وَبَوْلَهُ وَفَاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ﷺ . وَأَسْنَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ فِي هَذَا خَبَرًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَأْتِي الْخَلاَءَ فَلاَ نَرَى مِنْكَ شَيْئًا مِنَ الْأَذَى ؟ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ : أَوَمَا عَلِمْتِ أَنَّ الْأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلاَ يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ

الْعِلْمِ بِطَهَارَةِ هٰذَيْنِ الْحَدَثَيْنِ مِنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ فِي شَامِلِهِ . وَقَدْ حَكَى الْقَوْلَيْنِ عَنِ الْعُلَمَاءِ فِي ذٰلِكَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَابِقٍ الْمَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ الْبَدِيعِ فِي فُرُوعِ الْمَالِكِيَّةِ ، وَتَخْرِيجِ مَالَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِنْهَا عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ تَفَارِيعِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ وَلَا غَيْرُ طَيِّبٍ ☆ وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ غَسَّلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا ، فَقُلْتُ طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، قَالَ وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ ، وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ حِينَ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ ☆ وَمِنْهُ شُرْبُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ دَمَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَصُّهُ إِيَّاهُ وَتَسْوِيغُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَهُ وَقَوْلُهُ لَهُ لَنْ تُصِيبَهُ النَّارُ ، وَمِثْلُهُ شُرْبُ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الزُّبَيْرِ دَمُ حِجَامَتِهِ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ . وَقَدْ رُوِيَ نَحْوٌ مِنْ هٰذَا عَنْهُ فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهَا : لَنْ تَشْتَكِي وَجَعَ بَطْنِكِ أَبَدًا ، وَلَمْ يَأْمُرْ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِغَسْلِ فَمٍ وَلَا نَهَاهُ عَنْ عَوْدَةٍ ، وَحَدِيثُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي شَرِبَتْ بَوْلَهُ صَحِيحٌ أَلْزَمَ الدَّارَقُطْنِيُّ مُسْلِمًا وَالْبُخَارِيَّ إِخْرَاجَهُ فِي الصَّحِيحِ وَاسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ

بَرَكَةُ . وَاُخْتُلِفَ فِي نَسَبِهَا ، وَقِيلَ هِيَ أُمُّ أَيْمَنَ وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَتْ وَكَانَ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ يُوضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَبَالَ فِيهِ لَيْلَةً ثُمَّ اُفْتَقَدَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَسَأَلَ بَرَكَةَ عَنْهُ فَقَالَتْ : قُمْتُ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُهُ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ ، رَوَى حَدِيثَهَا اُبْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ وُلِدَ مَخْتُونًا مَقْطُوعَ السُّرَّةِ ، وَرُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمِنَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : وَلَدْتُهُ نَظِيفًا مَا بِهِ قَذَرٌ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا : مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَطُّ . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : أَوْصَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُغَسِّلُهُ غَيْرِي فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتِي إِلَّا طُمِسَتْ عَيْنَاهُ . وَفِي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عَنِ اُبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ نَامَ حَتَّى سُمِعَ لَهُ غَطِيطٌ ، فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ، قَالَ عِكْرِمَةُ لِأَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَحْفُوظًا .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا وُفُورُ عَقْلِهِ وَذَكَاءُ لُبِّهِ وَقُوَّةُ حَوَاسِّهِ ، وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَاُعْتِدَالُ حَرَكَاتِهِ ، وَحُسْنُ شَمَائِلِهِ ، فَلَا مِرْيَةَ أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ ، وَسِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَعَ عَجِيبِ شَمَائِلِهِ وَبَدِيعِ سِيَرِهِ ، فَضْلًا عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ ، دُونَ تَعَلُّمٍ سَبَقَ ، وَلَا مُمَارَسَةٍ

تَقَدَّمَتْ وَلَا مُطَالَعَةٍ لِلْكُتُبِ مِنْهُ لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ وَثُقُوبِ فَهْمِهِ لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ ، وَهٰذَا مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرِهِ لِتَحَقُّقِهِ . وَقَدْ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمَالِ الدُّنْيَا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ كَمَا يَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» . وَفِي الْمُوَطَّإِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» . وَنَحْوُهُ عَنْ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِثْلُهُ قَالَتْ : زِيَادَةٌ زَادَهُ اللهُ إِيَّاهَا فِي حُجَّتِهِ ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : «إِنِّي لَأَنْظُرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» وَفِي أُخْرَى : «إِنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ قَفَايَ كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» وَحَكَى بَقِيُّ بْنُ مُخْلَدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى فِي الضَّوْءِ ، وَالْأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ فِي رُؤْيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ ، وَرُفِعَ النَّجَاشِيُّ لَهُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ حِينَ وَصَفَهُ لِقُرَيْشٍ ، وَالْكَعْبَةُ حِينَ

بَنَى مَسْجِدَهُ . وَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً وَهٰذِهِ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْعَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى رَدِّهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالظَّوَاهِرِ تُخَالِفُهُ وَلَا إِحَالَةَ فِي ذٰلِكَ وَهِيَ مِنْ خَوَاصِّ الْأَنْبِيَاءِ وَخِصَالِهِمْ كَمَا أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ مِنْ كِتَابِهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمُقْرِئُ الْفَرْغَانِيُّ حَدَّثَتْنَا أُمُّ الْقَاسِمِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِيهَا حَدَّثَنَا الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَمَّا تَجَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ مَسِيرَةَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ » وَلَا يَبْعُدُ عَلَى هٰذَا أَنْ يَخْتَصَّ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هٰذَا الْبَابِ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ ، وَالْحُظْوَةِ بِمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * وَقَدْ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ صَرَعَ رُكَانَةَ أَشَدَّ أَهْلِ وَقْتِهِ وَكَانَ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَصَارَعَ أَبَا رُكَانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ شَدِيداً وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذٰلِكَ يَصْرَعُهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مارَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَشْيِهِ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ ، وَفِي صِفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ضَحِكَهُ كَانَ تَبَسُّماً إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا ، وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقَلُّعًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا فَصَاحَةُ اللِّسَانِ وَبَلَاغَةُ الْقَوْلِ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بِالمَحَلِّ الأَفْضَلِ ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لاَ يُجْهَلُ ، سَلَاسَةَ طَبْعٍ وَبَرَاعَةَ مَنْزَعٍ ، وَإِيجَازَ مَقْطَعٍ وَنَصَاعَةَ لَفْظٍ وَجَزَالَةَ قَوْلٍ ، وَصِحَّةَ مَعَانٍ وَقِلَّةَ تَكَلُّفٍ ، أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ ، وَعُلِّمَ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا وَيُحَاوِرُهَا بِلُغَتِهَا ، وَيُبَارِيهَا فِي مَنْزَعِ بَلَاغَتِهَا ، حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَنْ شَرْحِ كَلَامِهِ وَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ ، مَنْ تَأَمَّلَ حَدِيثَهُ وَسِيرَهُ عَلِمَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ ، وَلَيْسَ كَلَامُهُ مَعَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ كَكَلَامِهِ مَعَ ذِي الْمِشْعَارِ الْهَمْدَانِيِّ وَطِهْفَةَ النَّهْدِيِّ وَقَطَنِ بْنِ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيِّ وَالأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَوَائِلِ ابْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقْيَالِ حَضْرَمَوْتَ وَمُلُوكِ الْيَمَنِ ، وَانْظُرْ كِتَابَهُ إِلَى هَمْدَانَ أَنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا وَعَزَازَهَا تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَتَرْعَوْنَ عِفَاءَهَا ، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ

وَالأَمَانَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثِّلْبُ وَالنَّابُ وَالْفَصِيلُ وَالْفَارِضُ الدَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحُوَّارِىُّ وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ ، وَقَوْلُهُ لِنَهْدٍ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَحْضِهَا وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ وَافْجُرْ لَهُ الثَّمَدَ وَ بَارِكْ لَهُمْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ كَانَ مُخْلِصًا ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشِّرْكِ وَوَضَائِعُ الْمُلْكِ لَا تُلْطِطْ فِي الزَّكَاةِ وَلَا تُلْحِدْ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَتَعَاقَلْ عَنِ الصَّلَاةِ ☆ وَكَتَبَ لَهُمْ فِي الْوَظِيفَةِ الْفَرِيضَةِ وَلَكُمُ الْفَارِضُ وَالْفَرِيشُ ، وَذُو الْعِنَانِ الرَّكُوبُ وَالْفَلُوُّ الضَّبِيسُ ، لَا يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ وَلَا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ وَلَا يُحْبَسُ دَرُّكُمْ مَا لَمْ تُضْمِرُوا الرِّمَاقَ وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ ، مَنْ أَقَرَّ فَلَهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةِ ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الرِّبْوَةُ . وَمِنْ كِتَابِهِ لِوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ وَالْأَرْوَاعِ الْمَشَابِيبِ ، وَفِيهِ فِي التِّيعَةِ شَاةٌ لَا مُقْوَرَّةُ الْأَلْيَاطِ وَلَا ضِنَاكَ وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمُسُ ، وَمَنْ زَنَى مِنْ بِكْرٍ فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَاسْتَوْفِضُوهُ عَامًا ، وَمَنْ زَنَى مِنْ ثَيِّبٍ فَضَرِّجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ وَلَا تَوْصِيمَ فِي الدِّينِ ، وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللهِ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى الْأَقْيَالِ أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِهِ لِأَنَسٍ فِي الصَّدَقَةِ الْمَشْهُورِ لَمَّا كَانَ كَلَامُ هَؤُلَاءِ عَلَى

هَذَا الْحَنْ وَبَلاغَتِهِمْ عَلَى هَذَا النَّمَطِ ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذِهِ الأَلْفَاظَ اسْتَعْمَلَهَا مَعَهُمْ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلِيُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ ، وَكَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ : فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيَةُ وَالْيَدَ السُّفْلَى هِيَ الْمُنْطَاةُ ، قَالَ فَكَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلُغَتِنَا . وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْعَامِرِيِّ حِينَ سَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : سَلْ عَنْكَ ، أَيْ سَلْ عَمَّا شِئْتَ وَهِيَ لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ . وَأَمَّا كَلَامُهُ الْمُعْتَادُ وَفَصَاحَتُهُ ، وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ وَحِكَمِهِ الْمَأْثُورَةِ ، فَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَجُمِعَتْ فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا الْكُتُبُ ، وَمِنْهَا مَا لَا يُوَازَى فَصَاحَةً وَلَا يُبَارَى بَلَاغَةً ، كَقَوْلِهِ الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَؤُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ * وَقَوْلِهِ : النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا تَرَى لَهُ ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ ، وَمَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ ؛ وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ وَهُوَ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ ؛ وَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ * وَقَوْلِهِ : أَسْلِمْ تَسْلَمْ ؛ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ؛ وَقَوْلِهِ : لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَيَبْخَلُ بِمَا لَا يُغْنِيهِ ؛ وَقَوْلِهِ :

ذوالوجهين لا يكون عند الله وجيها ، ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات ، وقوله : اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ، وخير الأمور أوساطها . وقوله : أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وقوله : الظلم ظلمات يوم القيامة ، وقوله : في بعض دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي ، وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ، إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده ، مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره ؛ وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره . وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ؛ ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها ؛ كقوله : حمى الوطيس ، ومات حتف أنفه ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، والسعيد من وعظ بغيره ، في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني

حِكَمِهَا . وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا رَأَيْنَا الَّذِى هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ وَمَا يَمْنَعُنِى وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِى لِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ . وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّى مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِى بَنِى سَعْدٍ ؛ فَجُمِعَ لَهُ بِذَٰلِكَ ﷺ قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَالَتُهَا ؛ وَنَصَاعَةُ أَلْفَاظِ الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا ؛ إِلَى التَّأْيِيدِ الإِلٰهِى ؛ الَّذِى مَدَدُهُ الْوَحْىُ الَّذِى لَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ بَشَرِىٌّ ؛ وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِى وَصْفِهَا لَهُ : حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ ؛ كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ ؛ وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ حَسَنَ النَّغْمَةِ ﷺ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ ؛ فَمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ؛ وَلَا بَيَانِ مُشْكِلٍ وَلَا خَفِىٍّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نُخْبَةُ بَنِى هَاشِمٍ وَسُلَالَةُ قُرَيْشٍ وَصَمِيمُهَا ؛ وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهُمْ نَفَرًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ؛ وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ وَعَلَى عِبَادِهِ . حَدَّثَنَا قَاضِى الْقُضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَفِىُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِىُّ وَأَبُو إِسْحٰقَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ قَالُوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ عَمْرٍو عَنْ

أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ » . وَعَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا » . وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ؛ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ؛ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَفِي حَدِيثٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ؛ ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ؛ ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ؛ فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ » وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ رُوحُهُ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ

أَلْقَىٰ ذٰلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ ، فقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : فَأَهْبَطَنِي اللّٰهُ إِلَى الأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ وَقَذَفَ بِي فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللّٰهُ تَعَالَى يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ وَالأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ أَبَوَيَّ فَلَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ وَيَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ ، شِعْرُ الْعَبَّاسِ الْمَشْهُورِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مِمَّا فَصَّلْنَاهُ ، فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ : ضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي قِلَّتِهِ ، وَضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الأَحْوَالُ فِيهِ . فَأَمَّا التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفَاقًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ عَادَةً وَشَرِيعَةً كَالْغِذَاءِ وَالنَّوْمِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحُكَمَاءُ تَتَمَادَحُ بِقِلَّتِهِمَا وَتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِمَا ، لِأَنَّ كَثْرَةَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ دَلِيلٌ عَلَى النَّهَمِ وَالْحِرْصِ وَالشَّرَهِ ، وَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ مُسَبِّبٌ لِمَضَارِّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، لِأَدْوَاءِ الْجَسَدِ وَخُثَارَةِ النَّفْسِ وَامْتِلَاءِ الدِّمَاغِ ، وَقِلَّتُهُ دَلِيلٌ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَمِلْكُ النَّفْسِ وَقَمْعُ الشَّهْوَةِ : مُسَبِّبٌ لِلصِّحَّةِ وَصَفَاءِ الْخَاطِرِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ كَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْفُسُولَةِ وَالضَّعْفِ وَعَدَمُ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ ، مُسَبِّبٌ لِلْكَسَلِ وَعَادَةِ الْعَجْزِ وَتَضْيِيعِ الْعُمْرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ . وَالشَّاهِدُ

عَلَى هٰذَا مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِرًا مِنْ كَلَامِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَصَحِيحِ الْحَدِيثِ، وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ هُنَا اخْتِصَارًا وَاقْتِصَارًا عَلَى اشْتِهَارِ الْعِلْمِ بِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخَذَ مِنْ هٰذَيْنِ الْفَنَّيْنِ بِالْأَقَلِّ، هٰذَا مَا لَا يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ، لَاسِيَّمَا بِارْتِبَاطِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْفَهَانِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ أَحْمَدَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ جَابِرٍ حَدَّثَهُ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَامَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»، وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يُمْلَكُ سَهَرُ اللَّيْلِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَفَفٍ ، أَيْ كَثْرَةِ الْأَيْدِي . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا : لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعًا قَطُّ ، وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَايَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَايَتَشَهَّاهُ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبِلَ ، وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ . وَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى هٰذَا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ وَقَوْلِهِ : أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ إِذْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ ﷺ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ لَايَحِلُّ لَهُ ، فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ إِذْ رَآهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَايَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ بِهِ ، فَصَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَاجَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِقَوْلِهِ : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ . وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ : يَابُنَيَّ إِذَا امْتَلَأَتِ الْمَعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ، وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ ؛ وَقَالَ سُحْنُونٌ : لَايَصْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا ، وَالِاتِّكَاءُ هُوَ التَّمَكُّنُ لِلْأَكْلِ وَالتَّقَعْدُدُ فِي الْجُلُوسِ لَهُ كَالْمُتَرَبِّعِ وَشِبْهِهِ مِنْ تَمَكُّنِ الْجِلْسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ ؛ وَالْجَالِسُ عَلَى هٰذِهِ الْهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي الْأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ جُلُوسُهُ لِلْأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُقْعِيًا ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الِاتِّكَاءِ

المَيْلَ عَلَى شِقٍّ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ ، وَكَذٰلِكَ نَوْمُهُ ﷺ كَانَ قَلِيلًا شَهِدَتْ بِذٰلِكَ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ قَالَ ﷺ : « إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي » . وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ اسْتِظْهَارًا عَلَى قِلَّةِ النَّوْمِ لِأَنَّهُ عَلَى الجَانِبِ الأَيْسَرِ أَهْنَأُ لِهُدُوءِ القَلْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الأَعْضَاءِ البَاطِنَةِ حِينَئِذٍ لِمَيْلِهَا إِلَى الجَانِبِ الأَيْسَرِ ، فَتَسْتَدْعِي ذٰلِكَ الاسْتِثْقَالَ فِيهِ وَالطُّولَ ، وَإِذَا نَامَ النَّائِمُ عَلَى الأَيْمَنِ تَعَلَّقَ القَلْبُ وَقَلِقَ فَأَسْرَعَ الإِفَاقَةَ وَلَمْ يَغْمُرْهُ الاسْتِغْرَاقُ .

فَصْلٌ

وَالضَّرْبُ الثَّانِي مَا يَتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ وَالفَخْرُ بِوُفُورِهِ كَالنِّكَاحِ وَالجَاهِ

أَمَّا النِّكَاحُ فَمُتَّفَقٌ فِيهِ شَرْعًا وَعَادَةً فَإِنَّهُ دَلِيلُ الكَمَالِ وَصِحَّةِ الذُّكُورِيَّةِ وَلَمْ يَزَلِ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَتِهِ عَادَةً مَعْرُوفَةً وَالتَّمَادُحُ بِهِ سِيرَةً مَاضِيَةً ، وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَسُنَّةٌ مَأْثُورَةٌ وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَفْضَلُ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً مُشِيرًا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قَالَ ﷺ : « تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الأُمَمَ » وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ وَغَضِّ البَصَرِ اللَّذَيْنِ نَبَّهَ عَلَيْهِمَا ﷺ بِقَوْلِهِ : « مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ » حَتَّى

لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ فِي الزُّهْدِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبدِ اللهِ : قَدْ حُبِّبْنَ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ وَنَحْوُهُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ . وَقَدْ كَانَ زُهَّادُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي كَثِيرِي النِّكَاحِ . وَحُكِيَ فِي ذٰلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللهَ عَزَبًا فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ كَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَهٰذَا يَحْيَىٰ بنُ زَكَرِيَّا عَلَيهِ السَّلَامُ قَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا فَكَيفَ يُثْنِي اللهُ عَليهِ بِالْعَجْزِ عَمَّا تَعُدُّهُ فَضِيلَةً ؟ وَهٰذَا عِيسَى بنُ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلَامُ تَبَتَّلَ مِنَ النِّسَاءِ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَرَّرْتَهُ لَنَكَحَ ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ ثَنَاءَ اللهِ تعالى عَلَى يَحْيَىٰ بِأَنَّهُ حَصُورٌ لَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ كَانَ هَيُوبًا أَوْ لَا ذَكَرَ لَهُ بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هٰذَا حُذَّاقُ الْمُفَسِّرِينَ وَنُقَّادُ الْعُلَمَاءِ ، وَقَالُوا هٰذِهِ نَقِيصَةٌ وَعَيْبٌ وَلَا يَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ أَيْ لَا يَأْتِيهَا كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ مَانِعًا نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَقِيلَ لَيْسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فِي النِّسَاءِ فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ هٰذَا أَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّكَاحِ نَقْصٌ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا مَوْجُودَةً ، ثُمَّ قَمْعُهَا إِمَّا بِمُجَاهَدَةٍ كَعِيسَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ أَوْ بِكِفَايَةٍ مِنَ اللهِ تعالى كَيَحْيَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا مُشْغِلَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ حَاطَّةً

إِلى الدُّنيا ثُمَّ هِيَ فِي حَقِّ مَنْ أُقْدِرَ عَلَيْهَا وَمُلِّكَهَا وَقَامَ بِالْوَاجِبِ فِيهَا وَلَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةٌ عَلْيَاءُ وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ بَلْ زَادَهُ ذَٰلِكَ عِبَادَةً لِتَحْصِينِهِنَّ وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهِنَّ وَاكْتِسَابِهِ لَهُنَّ وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُنَّ ، بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَاهُ هُوَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَا غَيْرِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ فَدَلَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذُكِرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَمْرِ دُنْيَا غَيْرِهِ وَاسْتِعْمَالَهُ لِذَٰلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ بَلْ لِآخِرَتِهِ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي التَّزْوِيجِ وَلِلِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطِّيبِ وَلِأَنَّهُ أَيْضًا مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجِمَاعِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ وَيُحَرِّكُ أَسْبَابَهُ وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ لِأَجْلِ غَيْرِهِ وَقَمْعِ شَهْوَتِهِ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مُشَاهَدَةِ جَبَرُوتِ مَوْلَاهُ وَمُنَاجَاتِهِ وَلِذَٰلِكَ مَيَّزَ بَيْنَ الْحُبَّيْنِ وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ فَقَالَ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ، فَقَدْ يُسَاوِي يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فِي كِفَايَةِ فِتْنَتِهِنَّ وَزَادَ فَضِيلَةً بِالْقِيَامِ بِهِنَّ وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ أُقْدِرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي هَٰذَا وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ وَلِهَٰذَا أُبِيحَ لَهُ مِنْ عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَحْ لِغَيْرِهِ وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ أَنَسٌ وَكُنَّا

تَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ رَجُلًا خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي رَافِعٍ وَعَنْ طَاوُسٍ أُعْطِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجِمَاعِ وَمِثْلُهُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ وَقَالَتْ سَلْمَى مَوْلَاتُهُ طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً عَلَى نِسَائِهِ التِّسْعِ وَتَطَهَّرَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْأُخْرَى وَقَالَ هٰذَا أَطْيَبُ وَأَطْهَرُ وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَإِنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ فِي ظَهْرِ سُلَيْمَانَ مَاءُ مِائَةِ رَجُلٍ وَكَانَ لَهُ ثَلٰثُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَثَلٰثُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ وَحَكَى النَّقَّاشُ وَغَيْرُهُ سَبْعُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَثَلٰثُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى زُهْدِهِ وَأَكْلِهِ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَتَمَّتْ بِزَوْجِ أُورِيَاءَ مِائَةً وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ بِالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَكَثْرَةِ الْجِمَاعِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ ٭ وَأَمَّا الْجَاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ عَادَةً وَبِقَدْرِ جَاهِهِ عِظَمُهُ فِي الْقُلُوبِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لٰكِنْ آفَاتُهُ كَثِيرَةٌ فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ لِعُقْبَى الْآخِرَةِ فَلِذٰلِكَ ذَمَّهُ مَنْ ذَمَّهُ وَمَدَحَ ضِدَّهُ وَوَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَدْحُ الْخُمُولِ وَذَمُّ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ

وَكانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رُزِقَ مِنَ الْحِشْمَةِ وَالمَكانَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعَظَمَةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ عِنْدَ الْجاهِلِيَّةِ وَبَعْدَها وَهُمْ يُكَذِّبُونَ وَيُؤْذُونَ أَصْحابَهُ وَيَقْصِدُونَ أَذاهُ فِي نَفْسِهِ خُفْيَةً حَتَّى إِذا واجَهَهُمْ أَعْظَمُوا أَمْرَهُ وَقَضَوْا حاجَتَهُ وَأَخْبارُهُ فِي ذٰلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُها وَقَدْ كانَ يَبْهَتُ وَيَفْرَقُ لِرُؤْيَتِهِ مَنْ لَمْ يَرَهُ ، كَما رُوِيَ عَنْ قَيْلَةَ أَنَّها لَمَّا رَأَتْهُ أُرْعِدَتْ مِنَ الْفَرَقِ فَقالَ يا مِسْكِينَةُ عَلَيْكِ السَّكِينَةُ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُرْعِدَ فَقالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ الْحَدِيثَ ☆ فَأَمَّا عَظِيمُ قَدْرِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَشَرِيفُ مَنْزِلَتِهِ بِالرِّسالَةِ وَإِنافَةُ رُتْبَتِهِ بِالاصْطِفاءِ وَالْكَرامَةِ فِي الدُّنْيا فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهايَةِ ثُمَّ هُوَ فِي الآخِرَةِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَعَلَى مَعْنَى هٰذا الْفَصْلِ نَظَمْنا هٰذا الْقِسْمَ بِأَسْرِهِ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّالِثُ : فَهُوَ ما تَخْتَلِفُ الْحالاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ وَالتَّفاخُرِ بِسَبَبِهِ وَالتَّفْضِيلِ لِأَجْلِهِ ، كَكَثْرَةِ الْمالِ ، فَصاحِبُهُ عَلَى الْجُمْلَةِ مُعَظَّمٌ عِنْدَ الْعامَّةِ لِاعْتِقادِها تَوَصُّلَهُ بِهِ إِلَى حاجاتِهِ وَتَمَكُّنَ أَغْراضِهِ بِسَبَبِهِ ، وَإِلَّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً فِي نَفْسِهِ ، فَمَتَى كانَ الْمالُ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ وَصاحِبُهُ مُنْفِقًا لَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ وَمُهِمَّاتِ مَنِ اعْتَراهُ وَأَمَّلَهُ وَتَصْرِيفِهِ فِي مَواضِعِهِ مُشْتَرِيًا بِهِ الْمَعالِيَ وَالثَّناءَ الْحَسَنَ وَالْمَنْزِلَةَ

مِنَ الْقُلُوبِ ، كَانَ فَضِيلَةً فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَإِذَا صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَأَنْفَقَهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ ٱللَّهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، كَانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الْكُلِّ بِكُلِّ حَالٍ ، وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُمْسِكاً لَهُ غَيْرَ مُوَجِّهِهِ وُجُوهَهُ حَرِيصًا عَلَى جَمْعِهِ عَادَ كَثْرَتُهُ كَالْعَدَمِ ، وَكَانَ مَنْقَصَةً فِي صَاحِبِهِ وَلَمْ يَقِفْ بِهِ عَلَى جَدَدِ السَّلَامَةِ بَلْ أَوْقَعَهُ فِي هُوَّةِ رَذِيلَةِ الْبُخْلِ وَمَذَمَّةِ النَّذَالَةِ ، فَإِذَا التَّمَدُّحُ بِالْمَالِ وَفَضِيلَتُهُ عِنْدَ مُفَضِّلُهُ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَتَصْرِيفِهِ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ ، فَجَامِعُهُ إِذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعَهُ وَلَا وَجَّهَهُ وُجُوهَهُ غَيْرُ مَلِيءٍ بِالْحَقِيقَةِ ، وَلَا غَنِيٍّ بِالْمَعْنَى وَلَا مُمْتَدَحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ ، بَلْ هُوَ فَقِيرٌ أَبَدًا غَيْرُ وَاصِلٍ إِلَى غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ ، إِذْ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَالِ الْمُوصِلِ لَهَا لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ ، فَأَشْبَهَ خَازِنَ مَالِ غَيْرِهِ وَلَا مَالَ لَهُ ، فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَالْمُنْفِقُ مَلِيٌّ غَنِيٌّ بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ الْمَالِ ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ . فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ : تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَالاً

يُجْبى لِلمُلُوكِ إِلاَّ بَعْضُهُ ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الأَقَالِيم ، فَمَا أَسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً ، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَغْنَى بِهِ غَيْرَهُ وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا يَبِيتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ دِينَارٌ أَرْصِدُهُ لِدَيْنٍ . وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةً فَقَسَمَهَا وَبَقِيَتْ مِنْهَا سِتَّةٌ ، فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّى قَامَ وَقَسَمَهَا وَقَالَ : الآنَ اسْتَرَحْتُ ، وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ وَاقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ وَزَهِدَ فِيمَا سِوَاهُ ، فَكَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ ، فَيَلْبَسُ فِي الْغَالِبِ الشَّمْلَةَ وَالْكِسَاءَ الْخَشِنَ وَالْبُرْدَ الْغَلِيظَ ، وَيَقْسِمُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَقْبِيَةَ الدِّيبَاجِ الْمُخَوَّصَةَ بِالذَّهَبِ ، وَيَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ ، إِذِ الْمُبَاهَاةُ فِي الْمَلابِسِ وَالتَّزَيُّنُ بِهَا لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ وَالْجَلالَةِ ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ النِّسَاءِ ، وَالْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ الثَّوْبِ وَالتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ وَكَوْنُهُ لُبْسَ مِثْلِهِ غَيْرَ مُسْقِطٍ لِمُرُوَّةِ جِنْسِهِ مِمَّا لا يُؤَدِّي إِلَى الشُّهْرَةِ فِي الطَّرَفَيْنِ وَقَدْ ذَمَّ الشَّرْعُ ذٰلِكَ ، وَغَايَةُ الْفَخْرِ فِيهِ فِي الْعَادَةِ عِنْدَ النَّاسِ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى الْفَخْرِ بِكَثْرَةِ الْمَوْجُودِ وَوُفُورِ الْحَالِ ، وَكَذٰلِكَ التَّبَاهِي بِجَوْدَةِ الْمَسْكَنِ وَسَعَةِ الْمَنْزِلِ وَتَكْثِيرِ آلاتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَرْكُوبَاتِهِ ، وَمَنْ مَلَكَ الأَرْضَ وَجُبِيَ إِلَيْهِ مَا فِيهَا وَتَرَكَ ذٰلِكَ زُهْدًا

وَتنزُّهًا فهُوَ حَائزٌ لفضيلةِ الْمَالِيَّةِ ومَالِكٌ لِلفَخرِ بِهٰذهِ الخِصْلةِ إنْ كانتْ فَضِيلَةً زَائِدٌ عَلَيهَا فِي الْفَخرِ وَمُعْرِقٌ فِي الْمَدْحِ بِإِضْرَابِهِ عَنْهَا وَزُهْدِهِ فِي فَانِيهَا وَبَذْلِهَا فِي مَظَانِّهَا .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الْخِصَالُ الْمُكْتَسَبَةُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالآدَابِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ عَلَى تَفْضِيلِ صَاحِبِهَا وَتَعْظِيمِ الْمُتَّصِفِ بِالْخُلُقِ الْوَاحِدِ مِنْهَا فَضْلًا عَمَّا فَوْقَهُ ، وَأَثْنَى الشَّرْعُ عَلَى جَمِيعِهَا وَأَمَرَ بِهَا وَوَعَدَ السَّعَادَةَ الدَّائِمَةَ لِلْمُتَخَلِّقِ بِهَا ، وَوَصَفَ بَعْضَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهُوَ الاعْتِدَالُ فِي قُوَى النَّفْسِ وَأَوْصَافِهَا وَالتَّوَسُّطُ فِيهَا ، دُونَ الْمَيْلِ إِلَى مُنْحَرِفِ أَطْرَافِهَا فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى الانْتِهَاءِ فِي كَمَالِهَا وَالاعْتِدَالِ إِلَى غَايَتِهَا حَتَّى أَثْنَى ٱللَّهُ عَلَيهِ بِذٰلِكَ فَقَالَ تَعَالَى : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ ، وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » قَالَ أَنَسٌ : كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا . وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُهُ ، وَكَانَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مَجْبُولًا عَلَيْهَا فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ ، لَمْ تَحْصُلْ لَهُ بِاكْتِسَابٍ وَلَا رِيَاضَةٍ إِلَّا بِجُودٍ إِلٰهِيٍّ

وَخُصُوصِيَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ ، وَهٰكَذَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَمَنْ طَالَعَ سِيَرَهُمْ مُنْذُ صِبَاهُمْ إِلَى مَبْعَثِهِمْ حَقَّقَ ذٰلِكَ كَمَا عُرِفَ مِنْ حَالِ عِيسَى وَمُوسَى وَيَحْيَى وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بَلْ غُرِزَتْ فِيهِمْ هٰذِهِ الْأَخْلَاقُ فِي الْجِبِلَّةِ وَأُودِعُوا الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فِي الْفِطْرَةِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : أَعْطَى ٱللهُ يَحْيَى الْعِلْمَ بِكِتَابِ ٱللهِ تعالى فِي حَالِ صِبَاهُ . وَقَالَ مَعْمَرٌ : كَانَ ٱبْنَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ فَقَالَ لَهُ الصِّبْيَانُ : لِمَ لَا تَلْعَبُ ؟ فَقَالَ أَلِلَّعِبِ خُلِقْتُ ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ » صَدَّقَ يَحْيَى بِعِيسَى وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ فَشَهِدَ لَهُ أَنَّهُ كَلِمَةُ ٱللهِ وَرُوحُهُ ، وَقِيلَ صَدَّقَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، فَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ إِنِّي أَجِدُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكِ تَحِيَّةً لَهُ . وَقَدْ نَصَّ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى كَلَامِ عِيسَى لِأُمِّهِ عِنْدَ وِلَادَتِهَا إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ لَهَا : لَا تَحْزَنِي عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ مَنْ تَحْتَهَا ، وَعَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُنَادِيَ عِيسَى ، وَنَصَّ عَلَى كَلَامِهِ فِي مَهْدِهِ فَقَالَ : « إِنِّي عَبْدُ ٱللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي » وَقَالَ تَعَالَى : « فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا » وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ حُكْمِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ فِي قَضِيَّةِ الْمَرْجُومَةِ ، وَفِي قِصَّةِ الصَّبِيِّ مَا ٱقْتَدَى بِهِ دَاوُدُ أَبُوهُ . وَقَالَ الطَّبَرِيُّ إِنَّ عُمْرَهُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكَ ٱثْنَا عَشَرَ عَامًا

وَكَذٰلِكَ قِصَّةُ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَأَخْذَهُ بِلِحْيَتِهِ وَهُوَ طِفْلٌ . وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ » أَيْ هَدَيْنَاهُ صَغِيرًا ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ ، وَقَالَ ٱبْنُ عَطَاءٍ ٱصْطَفَاهُ قَبْلَ إِبْدَاءِ خَلْقِهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ ٱللّٰهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا يَأْمُرُهُ عَنِ اللهِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِقَلْبِهِ وَيَذْكُرَهُ بِلِسَانِهِ ، فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ وَلَمْ يَقُلْ أَفْعَلُ فَذٰلِكَ رُشْدُهُ . وَقِيلَ إِنَّ إِلْقَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّارِ وَمِحْنَتَهُ كَانَتْ وَهُوَ ٱبْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَنَّ ٱبْتِلَاءَ إِسْحٰقَ بِالذَّبْحِ كَانَ وَهُوَ ٱبْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَأَنَّ ٱسْتِدْلَالَ إِبْرَاهِيمَ بِالْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ كَانَ وَهُوَ ٱبْنُ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَقِيلَ أَوْحَى ٱللّٰهُ تَعَالَى إِلَى يُوسُفَ وَهُوَ صَبِيٌّ عِنْدَ مَا هَمَّ إِخْوَتُهُ بِإِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ يَقُولُ ٱللّٰهُ تَعَالَى : «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا » الآيَةُ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ .

وَقَدْ حَكَى أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ أَخْبَرَتْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ حِينَ وُلِدَ بَاسِطًا يَدَيْهِ إِلَى الْأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ لَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ الْأَوْثَانُ وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ ، وَلَمْ أَهُمَّ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، فَعَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ لَمْ أَعُدْ ، ثُمَّ يَتَمَكَّنُ الْأَمْرُ لَهُمْ

وَتترَادَفُ نفحَاتُ اللهِ تعالَى عَليهِمْ وَتشرِقُ أَنوارُ المَعارِفِ فِي قُلوبِهِمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الغَايَةِ وَيبلُغُوا باصْطِفاءِ اللهِ تعالَى لَهُمْ بِالنُّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذهِ الخِصَالِ الشَّرِيفَةِ النِّهَايَةَ دُونَ مُمارَسَةٍ وَلَا رياضَةٍ قالَ اللهُ تعالَى: « وَلماَ بَلغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتيناهُ حُكمًا وعِلمًا » . وَقدْ نجدُ غَيْرَهُمْ يُطْبَعُ عَلَى بَعْضِ هٰذهِ الأَخْلاقِ دُونَ جَمِيعِهَا ، وَيُولَدُ عَليهَا فيَسْهُلُ عَليهِ اكْتِسَابُ تمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ اللهِ تعالَى ، كَمَا نُشَاهِدُ مِنْ خلقِهِ بَعْضَ الصِّبْيَانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ أَوِ الشَّهَامَةِ أَوْصِدْقِ اللِّسَانِ أَوِ السَّمَاحَةِ ، وَكمَا نجدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا ؛ فَبِالاكْتِسَابِ يَكْمُلُ نَاقِصُهَا ، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهَدَةِ ، يُسْتَجْلَبُ مَعْدُومُهَا ، وَيَعْتَدِلُ مُنْحَرِفُهَا ؛ وَباخْتِلَافِ هٰذَيْنِ الحَالَيْنِ يَتفَاوَتُ النَّاسُ فِيهَا ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلِهٰذَا قَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا هَلْ هٰذَا الخُلُقُ جِبِلَّةٌ أَوْمُكْتَسَبَةٌ . وَحَكَى الطَّبَرِيُّ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ : أَنَّ الخُلُقَ الحَسَنَ جِبِلَّةٌ وَغَرِيزَةٌ فِي العَبْدِ ، وَحَكَاهُ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَالحَسَنِ ؛ وَبِهِ قَالَ : هُوَ وَالصَّحِيحُ هُوَمَا أَصَّلْنَاهُ . وَقَدْ رَوَى سَعْدٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ الخِلَالِ يُطْبَعُ عَلَيْهَا المُؤْمِنُ إِلَّا الخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ » ؛ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي حَدِيثِهِ : وَالجُرْأَةُ وَالجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ ؛ وَهَذِهِ الأَخْلَاقُ المَحْمُودَةُ وَالخِصَالُ

الْجَمِيلَةُ الشَّرِيفَةُ كَثِيرَةٌ ؛ وَلَـكِنَّنَا نَذْكُرُ أُصُولَهَا ؛ وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ ﷺ بِهَا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ .

(فَصْلٌ) أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا ، وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا ، فَالْعَقْلُ الَّذِى مِنْهُ يَنْبَعِثُ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ ، وَيَتَفَرَّعُ مِنْ هٰذَا ثُقُوبُ الرَّأْىِ وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ ، وَالإِصَابَةُ وَصِدْقُ الظَّنِّ وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ ، وَمَصَالِحُ النَّفْسِ ، وَمُجَاهَـدَةُ الشَّهْوَةِ ، وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَاُقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ وَتَجَنُّبُ الرَّذَائِلِ ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَكَانِهِ مِنْهُ ﷺ وَبُلُوغِهِ مِنْهُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِى لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ ، وَإِذْ جَلَالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذٰلِكَ ، وَمِمَّا تَفَرَّعَ مِنْهُ مُتَحَقِّقَةٌ عِنْدَ مَنْ تَتَبَّعَ مَجَارِىَ أَحْوَالِهِ وَاُطِّرَادِ سِيَرِهِ ، وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ وَبَدَائِعَ سِيَرِهِ ، وَحِكَمَ حَـدِيثِهِ ، وَعِلْمَهُ بِمَا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْـكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ ، وَحِكَمِ الْحُكَمَاءِ وَسِيَرِ الأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا ، وَضَرْبِ الأَمْثَالِ وَسِيَاسَاتِ الأَنَامِ ، وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ ، وَتَأْصِيلِ الآدَابِ النَّفِيسَةِ وَالشِّيَمِ الْحَمِيدَةِ ، إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِى اُتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ صَلَّى اللّٰهُ عليه وَسَلَّمَ فِيهَا قُدْوَةً ، وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةً ، كَالْعِبَادَةِ وَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ ، وَالْفَرَائِضِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ ، مِمَّا سَنُبَيِّنُهُ فِى مُعْجِزَاتِهِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى ، دُونَ تَعْلِيمٍ وَلَا مُدَارَسَةٍ وَلَا مُطَالَعَةِ

كُتبِ مَنْ تقدَّمَ وَلاَ الْجُلُوسِ إِلَى عُلَمَائِهِمْ ، بَلْ نَبِيٌّ أُمِّيٌّ لَمْ يُعْرَفْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَٰلِكَ حَتَّى شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ ، وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَعَلَّمَهُ وَأَقْرَأَهُ ، يُعْلَمُ ذَٰلِكَ بِالْمُطَالَعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ حَالِهِ ضَرُورَةً ، وَ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ عَلَى نُبُوَّتِهِ نَظَرًا ، فَلاَ نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الْأَقَاصِيصِ وَآحَادِ الْقَضَايَا إِذْ مَجْمُوعُهَا مَالاَ يَأْخُذُهُ حَصْرٌ وَلاَ يُحِيطُ بِهِ حِفْظٌ جَامِعٌ ، وَبِحَسَبِ عَقْلِهِ كَانَتْ مَعَارِفُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَائِرِ مَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى، وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ ، وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ مَلَكُوتِهِ ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : « وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ ، وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفٍ يُحِيطُ بِذَٰلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الْحِلْمُ وَالِاحْتِمَالُ وَالْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُكْرَهُ وَبَيْنَ هَٰذِهِ الْأَلْقَابِ فَرْقٌ ، فَإِنَّ الْحِلْمَ : حَالَةُ تَوَقُّرٍ وَثَبَاتٍ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرِّكَاتِ ، وَالِاحْتِمَالَ : حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الْآلاَمِ وَالْمُؤْذِيَاتِ ، وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ ، وَأَمَّا الْعَفْوُ : فَهُوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ ، وَهَٰذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ ٱللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَعَالَى : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ » الْآيَةَ . رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَٰذِهِ الْآيَةُ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَنْ

تأويلها ، فقال له : حتى أسأل العالم ، ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد : إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقال له : واصبر على ما أصابك الآية . وقال تعالى : «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل» وقال :«وليعفوا وليصفحوا» الآية وقال تعالى : «ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور» . ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله ، وأن كل حليم قد عرفت منه زلة ، وحفظت عنه هفوة ، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا * حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيي ابن يحيي حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ماخير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها . وروى أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقًا شديدًا ، وقالوا لو دعوت عليهم ؟ فقال : إني لم أبعث لعانًا ولكني بعثت

دَاعِيًا وَرَحْمَةً ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، وَلَوْ دَعَوْتَ عَلَيْنَا مِثْلَهَا لَهَلَكْنَا مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا ، فَلَقَدْ وُطِئَ ظَهْرُكَ وَأُدْمِيَ وَجْهُكَ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُكَ فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا خَيْرًا فَقُلْتَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ : انْظُرْ مَا فِي هٰذَا الْقَوْلِ مِنْ جِمَاعِ الْفَضْلِ وَدَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ النَّفْسِ ، وَغَايَةِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ ، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السُّكُوتِ عَنْهُمْ حَتَّى عَفَا عَنْهُمْ ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَدَعَا وَشَفَعَ لَهُمْ ، فَقَالَ اغْفِرْ أَوِ اهْدِ ، ثُمَّ أَظْهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ لِقَوْمِي ، ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُمْ بِجَهْلِهِمْ فَقَالَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : اعْدِلْ فَإِنَّ هٰذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ ، لَمْ يَزِدْهُ فِي جَوَابِهِ أَنْ بَيَّنَ لَهُ مَا جَهِلَهُ ، وَوَعَظَ نَفْسَهُ . وَذَكَّرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، وَنَهَى مَنْ أَرَادَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ . وَلَمَّا تَصَدَّى لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ لِيَفْتِكَ بِهِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْتَبِذٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قَائِلًا وَالنَّاسُ قَائِلُونَ فِي غَزَاةٍ فَلَمْ يَنْتَبِهْ

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ وَالسَّيْفُ صُلْتًا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ اللهُ ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِن يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ، وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فَتَرَكَهُ وَعَفَا عَنْهُ . فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِن عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ ☆ وَمِن عَظِيمِ خَبَرِهِ فِي العَفْوِ عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّتْهُ فِي الشَّاةِ بَعدَ اعتِرَافِهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرِّوَايَةِ ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ بْنَ الأَعْصَمِ إِذْ سَحَرَهُ ؛ وَقَدْ أُعلِمَ بِهِ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنْ مُعَاقَبَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ لَمْ يُؤَاخِذْ عَبْدَ بْنَ أُبَيٍّ وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جِهَتِهِ قَوْلًا وَفِعلًا ؛ بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ : لَا ؛ لِئَلَّا يُتَحَدَّثَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ . وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كُنتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيهِ بُرْدٌ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ؛ فَجَبَذَهُ أَعْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَثَّرَتْ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ فِي صَفْحَةِ عَاتِقِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ : احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ ؛ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ : الْمَالُ مَالُ اللهِ وَأَنَا عَبْدُهُ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ مَا فَعَلْتَ بِي ؛ قَالَ لَا ؛ قَالَ لِمَ ؟ قَالَ لِأَنَّكَ لَا تُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ

أَمرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَى بعيرٍ شَعيرٌ وَعَلَى الآخرِ تمرٌ قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عَنْهَا : ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمها قَطُّ مالَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، وَما ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ ، وَما ضَرَبَ خَادِمًا وَلاَ امْرَأَةً ، وَجِيءَ إِلَيْهِ بِرَجُلٍ فَقِيلَ هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ تُرَاعَ لَنْ تُرَاعَ ، وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلَّطْ عَلَيَّ . وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا عَلَيْهِ فَجَبَذَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَأَغْلَظَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطْلٌ ، فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ وَشَدَّدَ لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَبَسَّمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا وَهُوَ كُنَّا إِلَى غَيْرِ هٰذَا مِنْكَ أَحْوَجَ يَا عُمَرُ ، تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلَاثٌ ، وَأَمَرَ عُمَرُ يَقْضِيهِ مالَهُ وَيَزِيدُهُ عِشْرِينَ صَاعًا لِمَا رَوَّعَهُ ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَا بَقِيَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلاَ تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ إِلَّا حِلْمًا ، فَاخْتَبَرْتُهُ بِهَذَا ، فَوَجَدْتُهُ كَمَا وُصِفَ . وَالْحَدِيثُ عَنْ حِلْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَبْرِهِ وَعَفْوِهِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ

أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ ، وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا فِي الصَّحِيحِ وَالْمُصَنَّفَاتِ الثَّابِتَةِ إِلَى مَا بَلَغَ مُتَوَاتِرًا مَبْلَغَ الْيَقِينِ ، مِنْ صَبْرِهِ عَلَى مُقَاسَاةِ قُرَيْشٍ وَأَذَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُصَابَرَةِ الشَّدَائِدِ الصَّعْبَةِ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ أَظْفَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ ، وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي اسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ وَإِبَادَةِ خَضْرَائِهِمْ ، فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ عَفَا وَصَفَحَ ، وَقَالَ مَا تَقُولُونَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فَقَالَ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ » الآيَةَ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ . وَقَالَ أَنَسٌ هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ التَّنْعِيمِ صَلَاةَ الصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُخِذُوا ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » الآيَةَ . وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ وَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ جَلَبَ إِلَيْهِ الْأَحْزَابَ وَقَتَلَ عَمَّهُ وَأَصْحَابَهُ وَمَثَّلَ بِهِمْ ، فَعَفَا عَنْهُ وَلَاطَفَهُ فِي الْقَوْلِ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ ، وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ . وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْعَدَ النَّاسِ غَضَبًا وَأَسْرَعَهُمْ رِضًى ﷺ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالسَّمَاحَةُ وَمَعَانِيهَا

مُتقَارِبَةٌ . وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهَا بِفُرُوقٍ ، فَجَعَلُوا الْكَرَمَ الإِنْفَاقَ بِطِيبِ النَّفْسِ فِيمَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ وَنَفْعُهُ ، وَسَمَّوْهُ أَيْضًا جُرْأَةً وَهُوَ ضِدُّ النَّذَالَةِ ، وَالسَّمَاحَةُ التَّجَافِي عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ بِطِيبِ نَفْسٍ وَهُوَ ضِدُّ الشَّكَاسَةِ ، وَالسَّخَاءُ سُهُولَةُ الإِنْفَاقِ وَتَجَنُّبُ اكْتِسَابِ مَا لَا يُحْمَدُ وَهُوَ الْجُودُ وَهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ ، فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَازَى فِي هٰذِهِ الأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَلَا يُبَارَى ، بِهٰذَا وَصَفَهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ ☆

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ وَأَبُو إِسْحٰقَ الْبَلْخِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَسَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِثْلُهُ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدَ مَا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ . وَعَنْ أَنَسٍ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى فَاقَةً ،

وَأَعْطَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى صَفْوَانَ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ، وَهٰذِهِ كَانَتْ خُلُقُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ . وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَرَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سَبَايَاهَا وَكَانَتْ سِتَّةَ آلافٍ ، وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ مَالَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ وَحُمِلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَسَمَهَا فَمَا رَدَّ سَائِلاً حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلٰكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا كَلَّفَكَ اللّٰهُ مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذٰلِكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللّٰهِ : أَنْفِقْ وَلاَ تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً ، فَتَبَسَّمَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهٰذَا أُمِرْتُ . ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ . وَذُكِرَ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ (يُرِيدُ طَبَقًا) وَأَجْرٍ زُغْبٍ (يُرِيدُ قِثَّاءً) فَأَعْطَانِي مِلْءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا . قَالَ أَنَسٌ : كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ . وَالْخَبَرُ بِجُودِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ ، فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِصْفَ وَسْقٍ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ ، فَأَعْطَاهُ وَسْقًا ، وَقَالَ

نِصْفُهُ قَضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ ، فَالشَّجَاعَةُ : فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادُهَا لِلعَقْلِ . وَالنَّجْدَةُ : ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ ، وَكَانَ ﷺ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِى لَا يُجْهَلُ ، قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُمَاةُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ ، وَمَا شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ ، وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ * حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ لِي حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْفَقِيهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحٰقَ سَمِعَ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ : أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : لَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ، وَزَادَ غَيْرُهُ : أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قِيلَ فَمَا رُؤِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَغْلَتِهِ ، وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ الْعَبَّاسِ قَالَ : فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الْكُفَّارِ وَأَنَا

آخذٌ بلجامها أكُفُّها إرادةَ أنْ لاتسْرِعَ وأبُوسُفيانَ آخذٌ بركابهِ ، ثُمَّ نادَى ياَلَلْمُسْلمينَ الْحديثَ . وَقيلَ كانَ رُسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا غَضِبَ وَلاَ يغْضَبُ إلاَّ للهِ لَمْ يَقُمْ لغضبهِ شَيْءٌ . وَقالَ ابْنُ عُمرَ : مَا رأَيتُ أَشْجَعَ وَلاأَنْجَدَ وَلا أَجْوَدَ وَلاأَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . وَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنَّا كُنَّا إذَا حَمِيَ البأْسُ (وَيُرْوَى اشْتَدَّ البأْسُ) وَاحْمرَّتِ الْحدَقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إلَى العَدُوِّ مِنْهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلَى الْعَدُوِّ، وَكانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يوْمَئِذٍ بَأْسًا ، وَقِيلَ كَانَ الشُّجَاعُ هُوَ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ ﷺ إذَادَنَا الْعَدُوُّ لِقُرْبهِ مِنْهُ . وَعَنْ أَنَسٍ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إلَى الصَّوْتِ ، وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ : مَا لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صلى عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً إلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ ، وَلَمَّا رَآهُ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ يَقُولُ أَيْنَ مُحَمَّدٌ لانَجَوْتُ إنْ نَجَا ، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِينَ

أَفْتَدِي يَوْمَ بَدْرٍ عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرْقًا مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ : أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمَّا رَآهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَدَّ أُبَيٌّ عَلَى فَرَسِهِ عَلَيْهِ ﷺ ،فَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَكَذَا ، أَيْ خَلُّوا طَرِيقَهُ ، وَتَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ فَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرُوا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا ، وَقِيلَ بَلْ كَسَرَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ يَقُولُ : قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ مَا بِي بِجَمِيعِ النَّاسِ لَقَتَلَهُمْ ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : أَنَا أَقْتُلُكَ ، وَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي ، فَمَاتَ بِسَرِفَ فِي قُفُولِهِمْ إِلَى مَكَّةَ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الْحَيَاءُ وَالْإِغْضَاءُ فَالْحَيَاءُ : رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ فِعْلِ مَا يُتَوَقَّعُ كَرَاهِيَتُهُ ، أَوْ مَا يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْرٌ مِنْ فِعْلِهِ . وَالْإِغْضَاءُ : التَّغَافُلُ عَمَّا يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ » الْآيَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمِ

ابنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى أَنَسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَطِيفَ الْبَشَرَةِ رَقِيقَ الظَّاهِرِ ، لَا يُشَافِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُهُ حَيَاءً وَكَرَمَ نَفْسٍ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُهُ لَمْ يَقُلْ مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ كَذَا ، وَلَكِنْ يَقُولُ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَصْنَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ كَذَا ، يَنْهَى عَنْهُ وَلَا يُسَمِّي فَاعِلَهُ . وَرَوَى أَنَسٌ : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيهِ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا ، وَكَانَ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هٰذَا وَيُرْوَى يَنْزِعُهَا ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحِ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَّاشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَقَدْ حُكِيَ مِثْلُ هٰذَا الْكَلَامِ عَنِ التَّوْرَاةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ سَلَّامٍ وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ . وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثْبِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يُكَنِّي

عَمَّا اُضْطُرَّهُ الْكَلَامُ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا : مَا رَأَيْتُ فَرَجَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَطُّ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا حُسْنُ عِشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ ، وَبَسْطُ خُلُقِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ ، فَبِحَيْثُ انْتَشَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي وَصْفِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً . حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ الْأَنْمَاطِيُّ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحٰقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ النَّحَّاسِ حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مَرْوَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : زَارَنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَذَكَرَ قِصَّةً فِي آخِرِهَا ، فَلَمَّا أَرَادَ الْاِنْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَارًا وَطَّأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ يَا قَيْسُ اصْحَبْ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : ارْكَبْ ، فَأَبَيْتُ ، فَقَالَ : إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ ، فَانْصَرَفْتُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : ارْكَبْ أَمَامِي

فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدَّمِهَا . وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُنَفِّرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ ، يَتَعَهَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ ، لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، بِهٰذَا وَصَفَهُ ٱبْنُ أَبِي هَالَةَ قَالَ : وَكَانَ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ ، وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ . وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » وَقَالَ تَعَالَى : « ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » الْآيَةَ . وَكَانَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعًا وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَدَمْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلاَ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلاَّ قَالَ لَبَّيْكَ . وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ ، وَكَانَ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ ، وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ . قَالَ أَنَسٌ : مَا الْتَقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الآخِذُ ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ ، وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ ، لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقُ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ ، يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى ، وَيُكَنِّي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ ، وَلاَ يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ ، وَيُرْوَى بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ . وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلاَّ خَفَّفَ صَلَاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّماً وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا مَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظْ أَوْ يَخْطُبْ

وَقَالَ عَبْدُاللهِ بنُ الْحَارِثِ : مارَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ أَنَسٍ : كَانَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِآنِيَةٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ يُرِيدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الشَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ : « عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » وَقَالَ تَعَالَى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » قَالَ بَعْضُهُمْ : مِنْ فَضْلِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ فَقَالَ : بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، وَحَكَى نَحْوَهُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ ابنُ فُورَكَ ٭ حَدَّثَنَا الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الْخُشَنِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُالْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ ابْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَنْبَأَنَا يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةً وَذَكَرَ حُنَيْنًا . قَالَ : فَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ

أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ : وَٱللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ . وَرُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا فَأَعْطَاهُ ثُمَّ قَالَ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا ، وَلَا أَجْمَلْتَ ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُّوا ، ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ﷺ وَزَادَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ ، وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ ، قَالَ نَعَمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوِ الْعَشِيُّ جَاءَ ، فَقَالَ ﷺ : إِنَّ هٰذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكَذَلِكَ ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَجَزَاكَ ٱللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ هٰذَا مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ . وَرُوِيَ

عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ » .

وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ ﷺ تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ » وَخَبَرُ : صَلَاةِ اللَّيْلِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْوِصَالِ وَكَرَاهَتِهِ دُخُولَ الْكَعْبَةِ لِئَلَّا تَتَعَنَّتَ أُمَّتُهُ وَرَغْبَتِهِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبَّهُ وَلَعْنَهُ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ . وَمِنْ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ دَعَا رَبَّهُ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلَاةً وَطَهُورًا وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَلَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . وَرَوَى ابْنُ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ

تُطِيعكَ ، فقَالَ أُؤَخِّرَ عَنْ أُمَّتِى لعَلَّ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا : مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ . كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا . وَعَنْ عَائِشَةَ . أَنَّهَا رَكِبَتْ بَعِيرًا وَفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْكِ الرِّفْقَ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا خُلُقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِى الْوَفاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ فَحَدَّثَنَا الْقَاضِى أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِقِرَاءَتِى عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ النَّحَّاسِ حَدَّثَنَا ابْنُ الأَعْرَابِىِّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِى الْحَمْسَاءِ قَالَ : بَايَعْتُ النَّبِىَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِى مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِى مَكَانِهِ ، فَقَالَ يَافَتَى : لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَىَّ أَنَا هٰهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ . وَعَنْ أَنَسٍ : كَانَ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا أُتِىَ بِهَدِيَّةٍ قَالَ اذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلَانَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ

صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا ، وَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُهَا فَارْتَاحَ إِلَيْهَا ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ فَهَشَّ لَهَا وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ . وَوَصَفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ . وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ غَيْرَ أَنَّ لَهُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا » وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأُمَامَةَ ابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا . وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَفَدَ وَفْدٌ لِلنَّجَاشِيِّ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْدُمُهُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ ، فَقَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ . وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ وَتَعَرَّفَتْ لَهُ ، بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، وَقَالَ لَهَا : إِنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكَرَّمَةً مُحَبَّبَةً أَوْ مَتَّعْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلَى قَوْمِكِ ؟ فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا ، فَمَتَّعَهَا . وَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ مَنْ هٰذِهِ ؟ قَالُوا أُمُّهُ

الَّتِي أَرْضَعَتْهُ . وَعَنْ عَمْرُو بن السَّائِبِ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جالِسًا يَوْمًا فَأَقبلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فوضعَ لَهُ بَعْضَ ثوْبِهِ فقعدَ عليه، ثُمَّ أَقبلَتْ أُمُّهُ فوضعَ لهَا شِقَّ ثوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخرِ فَجلستْ عليهِ ثُمَّ أَقبلَ أَخوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فقامَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ يبعثُ إِلَى ثويْبَةَ مَوْلَاةِ أَبِي لَهَبٍ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ فلما ماتَتْ سَأَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قرابتِها فقيلَ لا أَحَدٌ . وفي حديثِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ : أَبْشِرْ فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ ﷺ عَلَى عُلُوِّ مَنْصَبِهِ وَرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ ، فكانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا وَأَعْدَمَهُمْ كِبْرًا . وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، فقالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ : فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ ، إِنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ * حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْعَوَّادِ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا ابْنُ دَاسَةَ حدثنا أَبُو دَاوُدَ حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ

أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ عَنْ أَبِي الْعَدَبَّسِ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا فَقُمْنَا لَهُ، فَقَالَ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ وَيُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطًا بِهِمْ، حَيْثُمَا انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ جَلَسَ. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ جَاءَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ اجْلِسِي يَا أُمَّ فُلَانَ فِي أَيِّ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكِ، قَالَ فَجَلَسَتْ فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ، قَالَ وَكَانَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنِخَةِ فَيُجِيبُ، قَالَ وَحَجَّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تُسَاوِي

أَرْبعَةَ دراهِمَ . فقَالَ : اللّهمَّ اجْعلْهُ حجًّا مبْرُورًا لا رياءَ فيهِ ولا سُمْعَة ، هٰذا وقدْ فُتِحتْ علَيْهِ الأرْضُ وأهْدَى في حجِّهِ ذٰلكَ مائةَ بدَنةٍ ، ولمَّا فُتِحتْ علَيهِ مـكّةُ ودخلَها بجيُوشِ المُسْلمينَ طأطأَ علَى رحْلهِ رأْسَهُ حتَّى كادَ يمسُّ قادمتَهُ تواضعًا لِلّهِ تعالَى ۞ ومنْ تواضُعهِ ﷺ قوْلُهُ لا تُفضِّلُونِي علَى يُونُسَ بنِ متَّى ولا تفضِّلُوا بيْنَ الأنْبياءِ ولا تُخيِّرُونِي علَى مُوسَى ، ونحْنُ أحقُّ بالشَّكِّ منْ إبرَاهيمَ ولوْ لبثْتُ مالبثَ يُوسُفَ في السِّجْنِ لأجبْتُ الدَّاعيَ . وقالَ للّذي قالَ لهُ يا خيْرَ البريَّةِ ذاكَ إبرَاهيمُ . وسيأْتِي الـكلامُ علَى هـذهِ الأحاديثِ بعْدَ هٰذا إنْ شاءَ اللّهُ تعالَى .

وعَنْ عائشَةَ والحسَنِ وأبِي سعيدٍ وغيْرِهمْ في صفتهِ وبعْضُهُمْ يزيدُ علَى بعْضٍ ، كانَ في بيْتهِ في مهْنةِ أهْلهِ يفْلي ثوْبهُ ويحْلبُ شاتهُ ويرْقعُ ثوبهُ ويخْصفُ نعْلهُ ، ويخْدمُ نفْسهُ ويقُمُّ البيْتَ ، ويعقلُ البعيرَ ويعْلفُ ناضحهُ ، ويأْكلُ معَ الخادمِ ويعْجنُ معهَا ، ويحْملُ بضاعتَهُ منَ السُّوقِ ۞ وعنْ أنسٍ رضيَ اللّهُ عنهُ : إنْ كانتِ الأمَةُ منْ إماءِ أهْلِ المدينَةِ لتأْخُذُ بيدِ رسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ علَيْهِ وسلَّمَ فتنْطلقُ بهِ حيثُ شاءتْ حتَّى تقْضيَ حاجتَهَا . ودخلَ علَيهِ رجُلٌ فأصابتهُ منْ هيْبتهِ رعْدةٌ فقالَ لهُ : هوِّنْ عليكَ فإنِّي لسْتُ بملكٍ

إِنَّمَا أَنَا ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : دَخَلْتُ السُّوقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ ، وَقَالَ لِلْوَزَّانِ زِنْ وَأَرْجِحْ ، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ، قَالَ فَوَثَبَ إِلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَبِّلُهَا فَجَذَبَ يَدَهُ ، وَقَالَ هَذَا تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ؛ ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ ؛ فَقَالَ صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا عَدْلُهُ ﷺ وَأَمَانَتُهُ وَعِفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ : فَكَانَ ﷺ آمَنَ النَّاسِ وَأَعْدَلَ النَّاسِ وَأَعَفَّ النَّاسِ وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ ؛ اعْتَرَفَ لَهُ بِذَٰلِكَ مُحَادُّوهُ وَعِدَاهُ ؛ وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينَ . قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ : كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ ؛ وَقَالَ تَعَالَى : «مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَارَبَتْ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ وَذَٰلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ، فَقَالُوا هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ . وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ : كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَقَالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ : وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ . حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ

الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونٍ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى أَبْنُ زَوْجِ الْحُرَّةِ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْجُوبٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ ابْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحٰقَ عَنْ نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ » الْآيَةَ . وَرَوَى غَيْرُهُ لَا نُكَذِّبُكَ وَمَا أَنْتَ فِينَا بِمُكَذَّبٍ . وَقِيلَ إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْحَكَمِ : لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا ، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ صَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ . وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ . وَسَأَلَ هِرَقْلُ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ فَقَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قَالَ لَا ، وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثُ لِقُرَيْشٍ : قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ : مَا لَمَسَتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ لَا يَمْلِكُ رِقَّهَا . وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ فِي وَصْفِهِ ﷺ : أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً . وَقَالَ

فِي الصَّحِيحِ . وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ : قَسَّمَ كِسْرَى أَيَّامَهُ فَقَالَ : يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ ، وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ . قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ، وَلَكِنْ نَبِيُّنَا ﷺ جَزَّأَ نَهَارَهُ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ . جُزْءًا لِلَّهِ ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ . ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ . فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ : أَبْلِغُوا حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغِي ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغَهَا آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ . وَعَنِ الْحَسَنِ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَأْخُذُ أَحَدًا بِقَرْفِ أَحَدٍ وَلاَ يُصَدِّقُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ . وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ بِرِسَالَتِهِ . قُلْتُ لَيْلَةً لِغُلاَمٍ كَانَ يَرْعَى مَعِي : لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا

يَسْمُرُ الشَّبَابُ . فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ لِعُرْسِ بَعْضِهِمْ . فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ فَضُرِبَ عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ أَهُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا وَقَارُهُ ﷺ وَصَمْتُهُ وَتُؤَدَتُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَحُسْنُ هَدْيِهِ * فَحَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ إِجَازَةً وَعَارَضْتُ بِكِتَابِهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الدِّلَائِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْوَرَّاقُ حَدَّثَنَا اللُّؤْلُؤِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سَلَّامٍ حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وُهَيْبٍ سَمِعْتُ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ لَا يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ . وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ احْتَبَى بِيَدَيْهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَبِيًا . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ تَرَبَّعَ وَرُبَّمَا جَلَسَ الْقُرْفُصَاءَ وَهُوَ فِي حَدِيثِ قَيْلَةَ ، وَكَانَ كَثِيرَ السُّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ يُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا وَكَلَامُهُ فَصْلًا لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ ، وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ

التَّبَسُّم تَوْقِيرًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ . إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمِ الطَّيْرُ ، وَفِي صِفَتِهِ : يَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا يُعْرَفُ فِي مِشْيَتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ وَلَا وَكِلٍ أَيْ غَيْرُ ضَجِرٍ وَلَا كَسْلَانَ . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ ، قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ : كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ : عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّفَكُّرِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ . وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ الطِّيبَ وَالرَّائِحَةَ الْحَسَنَةَ وَيَسْتَعْمِلُهَا كَثِيرًا وَيَحُضُّ عَلَيْهِمَا ، وَيَقُولُ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . وَمِنْ مُرُوءَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي وَالْأَمْرُ بِالسِّوَاكِ وَإِنْقَاءِ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ وَاسْتِعْمَالِ خِصَالِ الْفِطْرَةِ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هَذِهِ السِّيرَةِ مَا يَكْفِي وَحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا ، وَقَدْ

سِيقَتْ إِلَيْهِ بِجَذَافِيرِهَا وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوحُهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا * حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي وَالْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَاشَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ وَلَوْ شَاءَ لَأَعْطَاهُ اللهُ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : مَا شَبِعَ آلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا . وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : وَلَقَدْ مَاتَ وَمَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي وَقَالَ لِي : إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ لِي بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهَبًا فَقُلْتُ لَا يَارَبِّ أَجُوعُ يَوْمًا

وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِى أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِى أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِى عَلَيْكَ . وَفِى حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَـذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا وَتَـكُونُ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ ؟ فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا جِبْرِيلُ : إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : ثَبَّتَكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمْـكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ نَارًا إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : هَلَكَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ . وَعَنْ عَائِشَةَ وَأَبِى أُمَامَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوُهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ هُوَ وَأَهْلُهُ اللَّيَالِى الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا لَا يَجِدُونَ عَشَاءً . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُوَانٍ وَلَا فِى سُـكُرُّجَةٍ وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا قَطُّ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا : إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الَّذِى يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ . وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ فِرَاشُ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى بَيْتِهِ مِسْحًا نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ ، فَثَنَيْنَاهُ

لَهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مَا فَرَشْتُمُوا لِيَ اللَّيْلَةَ ؟ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ رُدُّوهُ بِحَالِهِ فَإِنَّ وَطْأَتَهُ مَنَعَتْنِي اللَّيْلَةَ صَلَاتِي ، وَكَانَ يَنَامُ أَحْيَانًا عَلَى سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِي جَنْبِهِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعًا قَطُّ وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ وَكَانَتِ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعًا يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الْأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَرَغَدَ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ وَأَقُولُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ ، فَيَقُولُ يَا عَائِشَةُ : مَالِي وَلِلدُّنْيَا إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصَّرَ بِي غَدًا دُونَهُمْ وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَتِي وَأَخِلَّائِي ، قَالَتْ فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ وَطَاعَتُهُ لَهُ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَاهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَابُلُسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حَدَّثَنَا

أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » زَادَ فِي رِوَايَتِنَا عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلّٰهِ ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ » رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ وَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ نَفْسِهِ وَهُوَ أَصَحُّ ، وَفِي حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ وَفِي رِوَايَةٍ كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ✡ وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ دِيمَةً وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ يُطِيقُ ، وَقَالَتْ كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ✡ وَنَحْوُهُ عَنِ

ٱبن عبَّاسٍ وَأُمِّ سلمةَ وَأَنسٍ وقالَ : كُنتَ لا تشاءُ أَنْ تراهُ فِي ٱللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ مُصَلِّيًا وَلاَ نائمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ نائمًا . وَقالَ عوفُ بنُ مالكٍ . كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَاسْتَاكَ ثُمَّ توضَّأَ ثُمَّ قامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ مَعَهُ فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبقرةَ فلا يمرُّ بآيةِ رَحْمةٍ إِلاَّ وقفَ فَسَأَلَ وَلاَ يمرُّ بآيةِ عذابٍ إِلاَّ وَقفَ فتعوَّذَ ثمَّ رَكعَ فمكثَ بِقدرِ قيامِهِ يقُولُ : سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِياءِ وَالْعظمةِ ثُمَّ سَجدَ وَقالَ مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ قرأَ آلَ عِمْرَانَ ثُمَّ سُورةً سُورةً يفعلُ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَعَنْ حُذَيفةَ مِثْلُهُ وَقالَ سَجَدَ نَحْوًا مِنْ قِيامِهِ وَجلسَ بَيْنَ السَّجْدتَيْنِ نَحْوًا مِنْهُ ، وَقالَ حَتَّى قرأَ الْبقرةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّساءَ وَالْمائِدةَ . وَعَنْ عائشةَ قالَتْ : قامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بآيةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ أَتيتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ ٱلْمِرْجَلِ . قالَ ٱبْنُ أَبِي هالَةَ كانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ دائِمَ الْفِكْرةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحةٌ . قالَ ﷺ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ فِي الْيَوْمِ مِائةَ مرَّةٍ وَرُوِيَ سَبْعِينَ مرَّةً وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ سُنَّتِهِ فقالَ المعرفةُ رَأْسُ مالِي وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي وَالْحُبُّ أَساسِي وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي وَذِكْرُ اللهِ أَنِيسِي وَالثِّقةُ كَنْزِي وَالْحُزْنُ رَفِيقِي وَالْعِلْمُ سِلاحِي وَالصَّبْرُ رِدائِي وَالرِّضاءُ

غَنِيمَتِي وَالْعَجْزُ فَخْرِي وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي وَالْيَقِينُ قُوتِي وَالصِّدْقُ شَفِيعِي وَالطَّاعَةُ حَسْبِي وَالْجِهَادُ خُلُقِي وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَثَمَرَةُ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

(فَصْلٌ) اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ وَشَرَفِ النَّسَبِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَجَمِيعُ الْمَحَاسِنِ هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ ، لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ ، وَالْكَمَالُ وَالتَّمَامُ الْبَشَرِيُّ وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ ، وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » وَقَالَ : « وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » وَقَدْ قَالَ ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ : « عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ » . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : رَأَيْتُ مُوسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجُلٌ أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ كَثِيرُ خِيلَانِ الْوَجْهِ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : مُبَطَّنٌ مِثْلُ السَّيْفِ ، قَالَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ .

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صِفَةِ مُوسَىٰ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»، وَيُرْوَى فِي ثَرْوَةٍ: أَيْ كَثْرَةٍ وَمَنَعَةٍ. وَحَكَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ قَتَادَةَ وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي حَدِيثِ هِرَقْلَ وَسَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ وَكَذَٰلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَنْسَابِ قَوْمِهَا، وَقَالَ تَعَالَى فِي أَيُّوبَ: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ». وَقَالَ تَعَالَى: «يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ — إِلَى قَوْلِهِ — وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ — إِلَى الصَّالِحِينَ» وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ» الْآيَتَيْنِ. وَقَالَ فِي نُوحٍ: «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا»، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ إِلَى الصَّالِحِينَ»، وَقَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ — إِلَى مَادُمْتُ حَيًّا. وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ» الْآيَةَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ مُوسَىٰ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا مَا يُرَى مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً» الْحَدِيثَ. وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ:

فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا . الآيَة . وَقَالَ فِي وَصْفِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ : إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، وَقَالَ : « إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . وَقَالَ : فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، وَقَالَ : وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا — إِلَى قوله — فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ، فوصفهم بِأَوْصَافٍ جَمَّةٍ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْهُدَى وَالاجْتِبَاءِ وَالْحُكْمِ وَالنُّبُوَّةِ وَقَالَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ، وَحَلِيمٍ . وَقَالَ : « وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، إِلَى أَمِينٍ » . وَقَالَ : « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ » . وَقَالَ فِي إِسْمَاعِيلَ : إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ الآيَتَيْنِ . وَفِي مُوسَى : إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا . وَفِي سُلَيْمَانَ : نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . وَقَالَ : وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ — إِلَى الْأَخْيَارِ . وَفِي دَاوُدَ : إِنَّهُ أَوَّابٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ . وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ : اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ . وَفِي مُوسٰى : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا . وَقَالَ تَعَالَى عَنْ شُعَيْبٍ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَقَالَ : مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ . وَقَالَ : وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَقَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ الآيَةِ . قَالَ سُفْيَانُ هُوَ الْحُزْنُ الدَّائِمُ فِي آيٍ

كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم ، وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله ﷺ : « إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي » ، وفي حديث أنس : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . وروى أن سليمان كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعاً وتواضعاً لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير ، وأوحي إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين ، وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي ، وقيل ليوسف : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم : « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده » ، قال الله تعالى : « وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد » ، وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت المال . وقال ﷺ : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم

يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » ، وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَفْتَرِشُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَيَمْزِجُ شَرَابَهُ بِالدُّمُوعِ وَلَمْ يُرَ ضَاحِكًا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ وَلَا شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ يَزَلْ بَاكِيًا حَيَاتَهُ كُلَّهَا . وَقِيلَ بَكَى حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعِهِ وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدُّمُوعُ فِي خَدِّهِ أُخْدُودًا ، وَقِيلَ كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ فَيَسْمَعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فَيَزْدَادُ تَوَاضُعًا ، وَقِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوِ اتَّخَذْتَ حِمَارًا ؟ قَالَ أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ ، وَكَانَ يَلْبَسُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ ، أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نَامَ ، وَكَانَ أَحَبَّ الْأَسَامِي إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ مِسْكِينٌ ، وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ كَانَتْ تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهُزَالِ . وَقَالَ ﷺ : « لَقَدْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْقَمْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ » وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخِنْزِيرٍ لَقِيَهُ : اذْهَبْ بِسَلَامٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي الْمَنْطِقَ بِسُوءٍ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَانَ طَعَامُ يَحْيَى الْعُشْبَ ، وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى اتَّخَذَ الدَّمْعُ مَجْرًى فِي خَدِّهِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْوَحْشِ لِئَلَّا يُخَالِطَ النَّاسَ . وَحَكَى الطَّبَرِيُّ عَنْ وَهْبٍ أَنَّ مُوسَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ وَكَانَ يَأْكُلُ فِي نُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ وَيَكْرَعُ فِيهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ تَوَاضُعًا لِلَّهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَـٰذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ، فَلَا نُطَوِّلُ بِهَا وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا تَجِدُهُ فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهَلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا .

(فَصْلٌ) قَدْ أَتَيْنَاكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَجِيدَةِ وَخِصَالِ الْكَمَالِ الْعَدِيدَةِ ، وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَبْنَا مِنَ الْآثَارِ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَالْأَمْرُ أَوْسَعُ ، فَمَجَالُ هٰذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُمْتَدٌّ يَنْقَطِعُ دُونَ نَفَادِهِ الْأَدِلَّاءُ ، وَبَحْرُ عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ ، وَلٰكِنَّا أَتَيْنَا فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ وَالْمَشْهُورِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ ، وَاقْتَصَرْنَا فِي ذَلِكَ بِقُلٍّ مِنْ كُلٍّ وَغَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ ، وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هٰذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ لِجَمْعِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا وَإِدْمَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيَرِهِ وَفَضَائِلِهِ ، وَنَصِلُهُ بِتَنْبِيهٍ لَطِيفٍ عَلَى غَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ ٭ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو

الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ التَّمِيمِيُّ فِيمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ أَخْبَرَكُمُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ وَالشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمُحَمَّدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنُ جَعْفَرٍ الْوَخْشِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ابْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ الْحَسَنِ الْخُزَاعِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنُ سَوْرَةَ الْحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا جُمَيْعُ بْنُ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْعِجْلِيُّ إِمْلَاءً مِنْ كِتَابِهِ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنْ ابْنٍ لِأَبِي هَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ وَقَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خُذَادَاذَا الْكَرَجِيِّ الْبَاقِلَّانِيِّ قَالَ وَأَجَازَ لَنَا الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ ابْنُ خَيْرُونٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ الْحَسَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ شَاذَانَ بْنُ حَرْبِ بْنُ مِهْرَانَ الْفَارِسِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ بْنُ جَعْفَرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ

ابْنُ أَبِي طَالِبٍ المعْرُوفُ بابنِ أَخِي طَاهِرٍ العَلَوِيّ قَالَ حَدَّثنا إِسْمَاعِيلُ
ابنُ مُحَمَّدِ بنُ إِسْحَاقَ بنُ جَعْفَرِ بْنُ مُحَمَّدِ بنُ عَلِيِّ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثنِي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بنُ مُحَمَّدِ بْنُ عَلِيِّ بنُ الْحُسَيْنِ
عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بن عَلِيٍّ
عَنْ عَلِيِّ بنِ الْحُسَيْنِ قَالَ قَالَ الْحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ سَأَلْتُ
خَالِي هِنْدَ بنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ
وَكَانَ وَصَّافًا وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ قَالَ :
كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْمًا مُفَخَّمًا ، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ
تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ ،
عَظِيمَ الْهَامَةِ رَجِلَ الشَّعَرِ إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ
شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ . أَزْهَرَ اللَّوْنِ وَاسِعَ الْجَبِينِ ، أَزَجَّ
الْحَوَاجِبِ سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ أَقْنَى الْعِرْنِينِ
لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ وَيَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ أَدْعَجَ سَهْلَ
الْخَدَّيْنِ ضَلِيعَ الْفَمِ أَشْنَبَ مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ كَأَنَّ عُنُقَهُ
جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ بَادِنًا مُتَمَاسِكًا ، سَوَاءَ الْبَطْنِ
وَالصَّدْرِ مُشِيحَ الصَّدْرِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ
أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ ،

عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ مَاسِوَى ذٰلِكَ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ ، أَوْ قَالَ سَائِنَ الْأَطْرَافِ وَسَائِرَ الْأَطْرَافِ ، سَبْطَ الْعَصَبِ خُمْصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعًا وَيَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا ، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا ، خَافِضَ الطَّرْفِ ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ ، قُلْتُ صِفْ لِي مَنْطِقَهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ طَوِيلَ السُّكُوتِ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ فَصْلًا لَا فُضُولَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ ، دَمِثًا لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمَهِينِ يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَذُمُّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ ، وَلَا يُقَامُ لِغَضَبِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا ، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا ، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَّبَهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْيُسْرَى وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ

عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ ، قَالَ الْحَسَنُ فَكَتَمْتُهَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَمَانًا ثُمَّ حَدَّثْتُهَا فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا . قَالَ الْحُسَيْنُ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ . فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ : جُزْءًا لِلَّهِ ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْءَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا ، فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ وَقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَالْأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ ، وَيَقُولُ : لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي حَاجَتَهُ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ ، قَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ : يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً يَعْنِي فُقَهَاءَ ، قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا مِمَّا يَعْنِيهِمْ

وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ وَيُحَذِّرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ مُعْتَدِلَ الْأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ لَا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ وَلَا يُوَطِّنُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَٰلِكَ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ، مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ . قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى . وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى : صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ ، وَلَا تُثَنَّى فَلَتَاتُهُ ، وَهَٰذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ غَيْرِ •

الرِّوَايَتَيْنِ يَتَعَاطَفُونَ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ ، يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ وَيُرْفِدُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَرْحَمُونَ الْغَرِيبَ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ : الرِّيَاءِ ، وَالْإِكْثَارِ ، وَمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ : كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا وَلَا يُعَيِّرُهُ ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا ، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرَغَ ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي الْمَنْطِقِ وَيَقُولُ : إِذَا رَأَيْتُمْ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ ، وَلَا يَطْلُبُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ . هُنَا انْتَهَى حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ ، وَزَادَ الْآخَرُ : قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ ، قَالَ : كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ : عَلَى الْحِلْمِ ، وَالْحَذَرِ ، وَالتَّقْدِيرِ ، وَالتَّفَكُّرِ ☆ فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ ،

وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى ، وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ ، وَجُمِعَ لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ : أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ ، وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ ، وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِمَا جَمَعَ لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . انْتَهَى الْوَصْفُ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ .

(فَصْلٌ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ هَذَا الْحَدِيثِ وَمُشْكِلِهِ) ، قَوْلُهُ الْمُشَذَّبُ : أَيْ الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ ، لَيْسَ بِالطُّولِ الْمُمَغَّطِ وَالشَّعْرُ الرَّجِلُ الَّذِي كَأَنَّهُ مُشِطَ فَتَكَسَّرَ قَلِيلًا لَيْسَ بِسَبْطٍ وَلَا جَعْدٍ ، وَالْعَقِيقَةُ شَعْرُ الرَّأْسِ أَرَادَ إِنِ انْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا فَرَقَهَا وَإِلَّا تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً وَيُرْوَى عَقِيصَتُهُ ، وَأَزْهَرُ اللَّوْنِ نَيِّرُهُ ، وَقِيلَ أَزْهَرُ حَسَنٌ ، وَمِنْهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ زِينَتُهَا ، وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْآدَمِ وَالْأَمْهَقُ ، هُوَ النَّاصِعُ الْبَيَاضِ ، وَالْآدَمُ الْأَسْمَرُ اللَّوْنِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَيْ فِيهِ حُمْرَةٌ ، وَالْحَاجِبُ الْأَزَجُّ الْمُقَوَّسُ الطَّوِيلُ الْوَافِرُ الشَّعْرِ ، وَالْأَقْنَى السَّائِلُ الْأَنْفِ الْمُرْتَفِعُ وَسَطُهُ ، وَالْأَشَمُّ الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ ؛ وَالْقَرْنُ اتِّصَالُ شَعْرِ الْحَاجِبَيْنِ وَضِدُّهُ الْبَلَجُ . وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَصْفُهُ : بِالْقَرْنِ ، وَالْأَدْعَجُ

الشَّدِيدُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ . وَفِى الْحَدِيثِ الآخَرِ: أَشْكَلُ الْعَيْنِ وَأَسْجَرُ الْعَيْنِ وَهُوَ الَّذِى فِى بَيَاضِهَا حُمْرَةٌ ، وَالضَّلِيعُ الْوَاسِعُ وَالشَّنَبُ رَوْنَقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا ، وَقِيلَ رِقَّتُهَا وَتَحْزِيزٌ فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِى أَسْنَانِ الشَّبَابِ وَالْفَلَجُ فَرْقٌ بَيْنَ الثَّنَايَا وَدَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ خَيْطُ الشَّعَرِ الَّذِى بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ بَادِنٌ ذُو لَحْمٍ وَمُتَمَاسِكٌ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ يُمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِى الْحَدِيثِ الآخَرِ : لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا بِالْكَلْثَمِ ، أَىْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِى اللَّحْمِ وَالْمُكَلْثَمُ الْقَصِيرُ الذَّقَنِ ، وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ. أَىْ مُسْتَوِيهِمَا ،مُشِيحُ الصَّدْرِ إِنْ صَحَّتْ هٰذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِى أَشَاحَ ، أَىْ أَنَّهُ كَانَ بَادِىَ الصَّدْرِ وَلَمْ يَكُنْ فِى صَدْرِهِ قَعَسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ قَبْلُ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ أَىْ لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ وَلَا مُفَاضِ الْقَطْنِ ، وَلَعَلَّ اللَّفْظَ مَسِيحُ بِالسِّينِ وَفَتْحِ الْمِيمِ بِمَعْنَى عَرِيضٍ ، كَمَا وَقَعَ فِى الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى ، وَحَكَاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ ، وَالْكَرَادِيسُ رُءُوسُ الْعِظَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِى الْحَدِيثِ الآخَرِ : جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ وَالْمُشَاشُ رُءُوسُ الْمَنَاكِبِ وَالْكَتَدُ مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ وَشَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ لَحِيمُهُمَا وَالزَّنْدَانِ عَظْمَانِ وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ أَىْ طَوِيلُ الْأَصَابِعِ . وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِىِّ أَنَّهُ

رُوِىَ . سَائِلُ الأَطْرَافِ ، أَوْ قَالَ سَائِنُ بالنُّونِ ، قَالَ وَهُمَا بِمعنًى تُبْدَلُ اللَّامُ مِنَ النُّونِ إِنْ صَحَّتْ الرِّوَايَةُ بِهَا . وَأَمَّا عَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى وَسَائِرُ الأَطْرَافِ فإِشَارَةٌ إِلى فَخَامَةِ جَوارِحِهِ كَمَا وَقعتْ مُفَصَّلَةً فِي الْحَدِيثِ وَرَحْبُ الرَّاحَةِ أَىْ وَاسِعُهَا وَقِيلَ كَنَّى بِهِ عَنْ سِعَةِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ وَخُمْصَانُ الأَخْمَصَيْنِ ، أَىْ مُتَجَافِى أَخْمَصِ الْقَدَمِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِى لاتَنَالُهُ الأَرْضُ مِنْ وَسَطِ الْقَدَمِ وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ أَىْ أَمْلَسُهُمَا وَلِهٰذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ خِلَافُ هٰذَا قَالَ فِيهِ : إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ ، وَهٰذَا يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ ، وَبِهِ قَالُوا سُمِّىَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ أَىْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْمَصُ ، وَقِيلَ مَسِيحٌ : لَالَحْمَ عَلَيْهَا ، وَهٰذَا أَيْضًا يُخَالِفُ قَوْلَهُ شَثْنُ الْقَدَمَيْنِ ، وَالتَّقَلُّعُ رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ ، وَالتَّكَفُّؤُ الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَشْىِ وَقَصْدِهِ وَالْهَوْنُ الرِّفْقُ وَالْوَقَارُ وَالذَّرِيعُ الْوَاسِعُ الْخَطْوِ ، أَىْ أَنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ خَطْوَهُ خِلَافَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ وَكُلُّ ذٰلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ ، كَمَا قَالَ : كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَقَوْلُهُ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ أَىْ لِسَعَةِ فَمِهِ وَالْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِهٰذَا وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الْفَمِ ، وَأَشَاحَ مَالَ وَانْقَبَضَ ، وَحَبُّ الْغَمَامِ الْبَرَدُ ، وَقَوْلُهُ فَيَرُدُّ ذٰلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ

أَيْ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوَصِّلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتُوَصِّلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ ، وَقِيلَ يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ثُمَّ يُبْدِلُهَا فِي مَا يُبْدِلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالعَامَّةِ وَيَدْخُلُونَ رُوَّادًا أَيْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ وَلَا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ قِيلَ عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَيْ فِي الغَالِبِ وَالأَكْثَرِ وَالعَتَادُ العُدَّةُ وَالشَّيْءُ الحَاضِرُ المُعَدُّ وَالمُوَازَرَةُ المُعَاوَنَةُ ، وَقَوْلُهُ لَا يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ ، أَيْ لَا يَتَّخِذُ لِمُصَلَّاهُ مَوْضِعًا مَعْلُومًا . وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هٰذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هٰذَا الحَدِيثِ ، وَصَابَرَهُ أَيْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ أَيْ لَا يُذْكَرُونَ فِيهِ بِسُوءٍ وَلَا تُثْنَى فَلَتَاتُهُ أَيْ لَا يَتَحَدَّثُ بِهَا أَيْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَحَدٍ سُتِرَتْ وَيَرْفِدُونَ يُعِينُونَ وَالسَّخَّابُ الكَثِيرُ الصِّيَاحِ وَقَوْلُهُ وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ قِيلَ مُقْتَصِدٍ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِهِ وَقِيلَ إِلَّا مِنْ مُسْلِمٍ ، وَقِيلَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ عَلَى يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ، وَيَسْتَفِزُّهُ يَسْتَخِفُّهُ ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْهُوسُ العَقِبِ أَيْ قَلِيلُ لَحْمِهَا وَأَهْدَبُ الأَشْفَارِ أَيْ طَوِيلُ شَعْرِهَا .

الباب الثالث

فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ

وَمَنْزِلَتِهِ وَمَا خَصَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لَاخِلَافَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَشَرِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَٰلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَقَدِ ٱقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى صَحِيحِهَا وَمُنْتَشِرِهَا ، وَحَصَرْنَا مَعَانِيَ مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي ٱثْنَي عَشَرَ فَصْلًا .

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ) فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذِكْرِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالِاصْطِفَاءِ وَرِفْعَةِ الذِّكْرِ وَالتَّفْضِيلِ وَسِيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ وَمَاخَصَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَزَايَا الرُّتَبِ وَبَرَكَةِ ٱسْمِهِ الطَّيِّبِ . أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ إِذْنًا بِلَفْظِهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْفَرْغَانِيُّ حَدَّثَتْنَا أُمُّ الْقَاسِمِ بِنْتُ أَبِي بَكْرِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهَا حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ عَقِيلٍ عَنْ يَحْيٰي وَهُوَ ٱبْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ يَحْيٰي الْحِمَّانِيِّ حَدَّثَنَا قَيْسٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عِبَايَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قِسْمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : أَصْحَابُ لْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ أَثْلَاثًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثُلُثًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ

ثُمَّ جَعَلَ الْأَثْلَاثَ قبائِلَ فجعلَنِي مِنْ خَيْرِهَا قبيلَةً ، وَذَلِكَ قولُهُ تعالى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الآية ، فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ وَلَا فخرَ ، ثُمَّ جعلَ القبائِلَ بُيُوتًا فجعلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالَى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ . الآيَةَ . وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ قَالَ : وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ؛ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : « أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ » . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْهُ ﷺ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا ؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْهُ ، فَارْفَضَّ عَرَقًا . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْهُ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَبَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ ، وَإِلَى هٰذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذٰلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّـ ... ـورِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبَبًا ... لِعِصْمَةِ النَّارِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَبُو ذَرٍّ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا وَفِي بَعْضِهَا سِتًّا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ،

وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ . وَفِي رِوَايَةٍ : بَدَلُ هٰذِهِ الْكَلِمَةِ « وَقِيلَ لِي سَلْ تُعْطَهْ » وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « وَعُرِضَ عَلَيَّ أُمَّتِي فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ » وفِي رِوَايَةٍ : « بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ » قِيلَ السُّودُ الْعَرَبُ ، لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِهِمْ الأُدْمَةُ فَهُمْ مِنَ السُّودِ والْحُمْرُ الْعَجَمُ ، وَقِيلَ الْبِيضُ وَالسُّودُ مِنَ الأُمَمِ ، وَقِيلَ الْحُمْرُ الإِنْسُ والسُّودُ الْجِنُّ . وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ ، وفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ : وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ ﷺ : « إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا » .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ لَا نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَعُلِّمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ » . وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ : « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ » وَمِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى سَلْ يَا مُحَمَّدُ فَقُلْتُ مَا أَسْأَلُ يَا رَبِّ ؟ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَاصْطَفَيْتَ نُوحًا وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي يُنَادَى بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طَهُورًا لَكَ وَلِأُمَّتِكَ ، وَغَفَرْتُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا ، وَخَبَّأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ وَلَمْ أَخْبَأْهَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ » وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ رَوَاهُ حُذَيْفَةُ « بَشَّرَنِي — يَعْنِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ — أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعِي مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ ، وَأَعْطَانِي أَنْ لَا تَجُوعَ أُمَّتِي وَلَا تُغْلَبَ وَأَعْطَانِي النَّصْرَ وَالْعِزَّةَ وَالرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْرًا ، وَطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الْمَغَانِمَ ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » مَعْنَى هَذَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ : بَقَاءُ مُعْجِزَتِهِ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَسَائِرُ

مُعْجزَاتِ الأَنْبِيَاءِ ذَهَبَتْ لِلْحِينِ وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا الْحَاضِرُ لَهَا ، وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ يَقِفُ عَلَيْهَا قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عِيَانًا لَا خَبَرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَفِيهِ كَلَامٌ يَطُولُ هٰذَا نُخْبَتُهُ ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِيهِ ، وَفِيمَا ذُكِرَ فِيهِ سِوَى هٰذَا آخِرَ بَابِ الْمُعْجِزَاتِ .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : كُلُّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ رُفَقَاءَ مِنْ أُمَّتِهِ وَأُعْطِيَ نَبِيُّكُمْ ﷺ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَجِيبًا مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَعَمَّارٌ . وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » . وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَعِدَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « إِنَّ اللّٰهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا فَمَا فَضْلُهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ؟ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ : وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ الْآيَةَ ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الْآيَةَ ، قَالُوا فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَالَ : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الْآيَةَ ، وَقَالَ

لِمُحَمَّدٍ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ الآيَةَ .

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ؟ وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ نَعَمْ : « أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، يَعْنِي قَوْلَهُ (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا) — وَبَشَّرَ بِي عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا إِذْ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثَلَاثَةُ رِجَالٍ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٍ ثَلْجًا فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، قَالَ فِي غَيْرِ هَٰذَا الْحَدِيثِ مِنْ نَحْرِي إِلَى مَرَاقِّ بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ ، قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثُمَّ تَنَاوَلَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ، وَأَمَرَّ الآخَرُ يَدَهُ عَلَى مَفْرِقِ صَدْرِي فَالْتَأَمَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ قَلْبٌ وَكِيعٌ أَيْ شَدِيدٌ فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ

قَالَ زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ دَعْهُ عَنْكَ فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا ، قَالَ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ : ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ ، وَفِي بَقِيَّةِ هٰذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلائِكَتَهُ ، قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ : فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ وَلَّيَا عَنِّي فَكَأَنَّمَا أَرَى الأَمْرَ مُعَايَنَةً » .

وَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ وَأَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ آدَمَ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَيُرْوَى وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، فَقَالَ لَهُ اللهُ : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ رَأَيْتُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، وَيُرْوَى مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ ، وَهٰذَا عِنْدَ قَائِلِهِ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : فَقَالَ آدَمُ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي إِنَّهُ لآخِرُ النَّبِيِّينَ

مِنْ ذرِّيتكَ ولَوْلاَهُ مَا خَلقْتُكَ . قَالَ وكَانَ آدمُ يُكَنَّى بأَبِي مُحمّدٍ وَقيلَ بأَبِي الْبَشَرِ ، ورُوِىَ عَنْ سُرَيْجِ بْنِ يُونُس أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ لِلّٰهِ مَلاَئكَةً سَيَّاحِينَ عِبادَتُهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِكْرَامًا مِنْهُمْ لمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَرَوَى ابْنُ قَانِعٍ الْقَاضِى عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : « لَمَّا أُسْرِىَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ » . وَفِي التَّفْسِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا » قَالَ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ : عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ، عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ ، عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، أَنَا اللّٰهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدِى وَرَسُولِى .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمَا : عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ إِنِّى أَنَا اللّٰهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ لاَ أُعَذِّبُ مَنْ قَالَهَا ، وَذُكِرَ أَنَّهُ وُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ وَسَيِّدٌ أَمِينٌ . وَذَكَرَ السَّمَنْطَارِىُّ أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلاَدِ خُرَاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَعَلَى الآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ . وَذَكَرَ الأَخْبَارِيُّونَ أَنَّ بِبِلاَدِ الْهِنْدِ وَرْدًا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالأَبْيَضِ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ . وَرُوِىَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ

عَنْ أَبيهِ : إِذَا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَلَا لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ فِي سَمَاعِهِ وَابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ عَنْ مَالِكٍ سَمِعتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ اسْمُ مُحَمَّدٍ إِلَّا نَمَى وَرُزِقُوا وَرُزِقَ جِيرَانُهُمْ، وَعنهُ ﷺ : مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلَاثَةٌ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ وَحَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ : « وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا » الآيةَ ، قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ يَامَعْشَرَ أَهْلِ الإِيمَانِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلًا ، وَفَضَّلَ نِسَائِي عَلَى نِسَائِكُمْ تَفْضِيلًا » الْحَدِيثُ .

(فَصْلٌ) فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَالرُّؤْيَةِ وَإِمَامَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ الرِّفْعَةِ مِمَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ وَشَرَحَتْهُ صِحَاحُ الأَخْبَارِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » الآيَةَ . وَقَالَ تَعَالَى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى — إِلَى

قَوْلِهِ — لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِى صِحَّةِ الْإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ إِذْ هُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ وَجَاءَتْ بِتَفْصِيلِهِ وَشَرْحِ عَجَائِبِهِ وَخَوَاصِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ، رَأَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ أَكْمَلَهَا وَنُشِيرَ إِلَى زِيَادَةٍ مِنْ غَيْرِهِ يَجِبُ ذِكْرُهَا .

حَدَّثَنَا الْقَاضِى الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ وَالْفَقِيهُ أَبُو بَحْرٍ بِسَمَاعِى عَلَيْهِمَا وَالْقَاضِى أَبُو عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ﷺ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا

لِي بِخَيرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ أَنتَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَي بْنِ زَكَرِيَّا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِمَا فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الثَّالِثَةِ فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الْخَامِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ السَّادِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ ، قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّٰهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ؛ فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى

مُوسى ، فقَالَ مَا فرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ، حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحَيْتُ مِنْهُ ».

قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللهُ جَوَّدَ ثَابِتٌ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ مَاشَاءَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأَصْوَبَ مِنْ هَذَا، وَقَدْ خَلَّطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ تَخْلِيطًا كَثِيرًا لَا سِيَّمَا مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ مَجِيءَ الْمَلَكِ لَهُ وَشَقَّ بَطْنِهِ وَغَسْلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ وَقَبْلَ الْوَحْيِ ، وَقَدْ قَالَ شَرِيكٌ فِي حَدِيثِهِ وَذَلِكَ

قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَلا خِلَافَ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْوَحْيِ . وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَقِيلَ قَبْلَ هٰذَا : وَقَدْ رَوَى ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ أَيْضًا مَجِيءَ جِبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ ظِئْرِهِ وَشَقَّهُ قَلْبَهُ تِلْكَ الْقِصَّةَ مُفْرَدَةً مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ كَمَا رَوَاهُ النَّاسُ فَجَوَّدَ فِي الْقِصَّتَيْنِ وَفِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى كَانَ قِصَّةً وَاحِدَةً ، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ عُرِجَ مِنْ هُنَاكَ فَأَزَاحَ كُلَّ إِشْكَالٍ أَوْهَمَهُ غَيْرُهُ ، وَقَدْ رَوَى يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطِسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ » فَذَكَرَ الْقِصَّةَ . وَرَوَى قَتَادَةُ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ عَنْ أَنَسٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَفِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَزِيَادَةٌ وَنَقْصٌ وَخِلَافٌ فِي تَرْتِيبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمٰوَاتِ . وَحَدِيثُ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَتْقَنُ وَأَجْوَدُ ، وَقَدْ وَقَعَتْ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ زِيَادَاتٌ نَذْكُرُ مِنْهَا نُكَتًا مُفِيدَةً فِي غَرَضِنَا ، مِنْهَا فِي حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ وَفِيهِ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ لَهُ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ

إلا آدمُ وإبراهيمُ فقالا له: والابن الصالح وفيه من طريق ابن عبّاس: ثمّ عرج بي حتى ظهرتُ بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس ثمّ انطلق بي حتّى أتيتُ سدرة المنتهى فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي قال ثمّ أُدخلتُ الجنّة.

وفي حديث مالك بن صعصعة: فلمّا جاوزتُه يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك؟ قال ربّ هذا غلامٌ بعثته بعدي يدخل من أمّته الجنّة أكثر ممّا يدخل من أمّتي. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاةُ فأممتهم، فقال قائلٌ يا محمّدُ: هذا مالكٌ خازنُ النار فسلّمْ عليه، فالتفتُّ فبدأني بالسلام. وفي حديث أبي هريرة: ثمّ سار حتّى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرةٍ فصلّى مع الملائكة فلمّا قُضيت الصلاةُ قالوا يا جبريلُ من هذا معك؟ قال هذا محمّدٌ رسولُ الله خاتمُ النبيّين، قالوا وقد أُرسل إليه؟ قال نعم، قالوا حيّاه الله من أخٍ وخليفةٍ فنعم الأخُ ونعم الخليفةُ، ثمّ لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربّهم وذكر كلام كلِّ واحدٍ منهم وهم إبراهيمُ وموسى وعيسى وداودُ وسليمانُ، ثمّ ذكر كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال وإنّ محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم أثنى على ربّه عزّ وجلّ، فقال كلّكم أثنى على ربّه

وَأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بِهٰذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : وَانْتَهَىٰ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا . قَالَ تَعَالَى : « إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ » قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ . فَقِيلَ لِي هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا ، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةُ الْخَلْقِ فَغَشِيَهَا نُورٌ وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ ، قَالَ فَهُوَ قَوْلُهُ : إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ سَلْ : فَقَالَ

إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً عَظِيماً وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكاً عَظِيماً وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى: قَدِ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً وَحَبِيبًا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَانِ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الْآخِرُونَ وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَآخِرَهُمْ بَعْثًا وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا . وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْحِمَاتُ . وَقَالَ: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى الْآيَتَيْنِ . رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ وَفِي حَدِيثِ شَرِيكٍ: أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ قَالَ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ قَالَ ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ فَقَالَ مُوسَى لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ

أَحَدٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالأَنْبِيَاءِ بِبَيْتِ المَقْدِسِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَقُمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرَيِ الطَّائِرِ فَقَعَدَ فِي وَاحِدَةٍ وَقَعَدْتُ فِي الأُخْرَى فَنَمَتْ حَتَّى سَدَّتِ الخَافِقَيْنِ وَلَوْ شِئْتُ لَمَسَسْتُ السَّمَاءَ وَأَنَا أُقَلِّبُ طَرْفِي وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حِلْسٌ لَاطِئٌ فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللهِ عَلَيَّ وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الأَعْظَمَ وَلُطَّ دُونِي الحِجَابُ وَفُرْجَةُ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتُ ، ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ » ، وَذَكَرَ البَزَّارُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَذَانَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا البُرَاقُ فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ اُسْكُنِي فَوَاللهِ مَا رَكِبَكِ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرَّحْمَانَ تَعَالَى ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الحِجَابِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَأَقْرَبُ الخَلْقِ مَكَانًا وَإِنَّ هَذَا المَلَكُ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فَقَالَ المَلَكُ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فَقِيلَ لَهُ مِنْ

وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ أَنَا أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الْأَذَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ . وَقَالَ ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رِوَايَة : أَكْمَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللَّهُ : مَا فِي هٰذَا ٱلْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ الْحِجَابِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَا فِي حَقِّ الْخَالِقِ فَهُمُ الْمَحْجُوبُونَ وَالْبَارِي جَلَّ ٱسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا يَحْجُبُهُ إِذِ ٱلْحُجُبُ إِنَّمَا تُحِيطُ بِمُقَدَّرٍ مَحْسُوسٍ ، وَلٰكِنْ حُجُبُهُ عَلَى أَبْصَارِ خَلْقِهِ وَبَصَائِرِهِمْ وَإِدْرَاكَاتِهِمْ بِمَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ وَمَتَى شَاءَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، فَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحِجَابُ وَإِذَا خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ حُجِبَ بِهِ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ عَنِ الِاطِّلَاعِ عَلَى مَا دُونَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ وَجَبَرُوتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُ جِبْرِيلَ عَنِ الْمَلَكِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِ إِنَّ هٰذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هٰذِهِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هٰذَا الْحِجَابَ لَمْ

يَخْتَصَّ بِالذَّاتِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كَعْبٍ فِي تَفْسِيرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، قَالَ إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ وَعِنْدَهَا يَجِدُونَ أَمْرَ اللهِ لَا يُجَاوِزُهَا عِلْمُهُمْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ الَّذِي يَلِي الرَّحْمَانَ فَيُحْمَلُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَانِ أَوْ أَمْرًا مَا مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ أَوْ مَبَادِي حَقَائِقِ مَعَارِفِهِ مِمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ أَيْ أَهْلَهَا، وَقَوْلُهُ فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ سَمِعَ فِي هٰذَا الْمَوْطِنِ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَلٰكِنْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَيْ وَهُوَ لَا يَرَاهُ ، حَجَبَ بَصَرَهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فِي غَيْرِ هٰذَا الْمَوْطِنِ بَعْدَ هٰذَا أَوْ قَبْلَهُ رُفِعَ الْحِجَابُ عَنْ بَصَرِهِ حَتَّى رَآهُ وَاللهُ أَعْلَمُ .

(فَصْلٌ) ثُمَّ اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ هَلْ كَانَ إِسْرَاؤُهُ بِرُوحِهِ أَوْ جَسَدِهِ عَلَى ثَلَاثِ مَقَالَاتٍ : فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامٍ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ وَوَحْيٌ ، وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ وَحُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ خِلَافُهُ . وَإِلَيْهِ أَشَارَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى . « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » وَمَا حَكَوْا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : مَا فَقَدْتُ

جَسَدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلُهُ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، وَقَوْلُ أَنَسٍ: وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَذَكَرَ القِصَّةَ ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالجَسَدِ وَفِي اليَقَظَةِ ، وَهٰذَا هُوَ الحَقُّ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وَحُذَيْفَةَ وَعُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَبِي حَبَّةَ البَدْرِيِّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالضَّحَّاكِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ المُسَيَّبِ وَابْنِ شِهَابٍ وَابْنِ زَيْدٍ وَالحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ وَمَسْرُوقٍ وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَابْنِ جُرَيْجٍ ، وَهُوَ دَلِيلُ قَوْلِ عَائِشَةَ وَهُوَ قَوْلُ الطَّبَرِيِّ وَابْنِ حَنْبَلٍ وَجَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالمُحَدِّثِينَ وَالمُتَكَلِّمِينَ وَالمُفَسِّرِينَ .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : كَانَ الإِسْرَاءُ بِالجَسَدِ يَقَظَةً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَإِلَى السَّمَاءِ بِالرُّوحِ ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى » فَجَعَلَ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى غَايَةَ الإِسْرَاءِ الَّذِي وَقَعَ التَّعَجُّبُ فِيهِ بِعَظِيمِ القُدْرَةِ وَالتَّمَدُّحِ بِتَشْرِيفِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهِ وَإِظْهَارِ الكَرَامَةِ لَهُ بِالإِسْرَاءِ إِلَيْهِ ، قَالَ هٰؤُلَاءِ : وَلَوْ كَانَ الإِسْرَاءُ بِجَسَدِهِ إِلَى زَائِدٍ عَلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى لَذَكَرَهُ فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي المَدْحِ ، ثُمَّ

اُخْتَلَفَتْ هٰذِهِ الْفِرْقَتَانِ هَلْ صَلَّى بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَمْ لَا ، فَفِى حَدِيثِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ فِيهِ وَأَنْكَرَ ذٰلِكَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَقَالَ : وَاللّٰهِ مَازَالَ عَنْ ظَهْرِ الْبُرَاقِ حَتَّى رَجَعَا ، قَالَ الْقَاضِى وَفَّقَهُ اللّٰهُ : وَالْحَقُّ مِنْ هٰذَا وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِى الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الْآيَةُ وَصَحِيحُ الْأَخْبَارِ وَالِاعْتِبَارِ وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا عِنْدَ الِاسْتِحَالَةِ ، وَلَيْسَ فِى الْإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالِ يَقَظَتِهِ اسْتِحَالَةٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَنَامًا لَقَالَ بِرُوحِ عَبْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ بِعَبْدِهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلَا مُعْجِزَةٌ وَلَمَا اسْتَبْعَدَهُ الْكُفَّارُ وَلَا كَذَّبُوهُ فِيهِ وَلَا ارْتَدَّ بِهِ ضُعَفَاءُ مَنْ أَسْلَمَ ، وَافْتَتَنُوا بِهِ إِذْ مِثْلُ هٰذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لَا يُنْكَرُ بَلْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبَرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالِ يَقَظَتِهِ إِلَى مَاذُكِرَ فِى الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِى رِوَايَةِ أَنَسٍ أَوْ فِى السَّمَاءِ عَلَى مَارَوَى غَيْرُهُ ، وَذِكْرِ مَجِىءِ جِبْرِيلَ لَهُ بِالْبُرَاقِ ، وَخَبَرِ الْمِعْرَاجِ ، وَاسْتِفْتَاحِ السَّمَاءِ فَيُقَالُ وَمَنْ مَعَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَلِقَائِهِ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا وَخَبَرِهِمْ مَعَهُ وَتَرْحِيبِهِمْ بِهِ وَشَأْنِهِ فِى فَرْضِ الصَّلَاةِ وَمُرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَىٰ فِى ذٰلِكَ وَفِى بَعْضِ هٰذِهِ الْأَخْبَارِ ، فَأَخَذَ يَعْنِى جِبْرِيلَ بِيَدِى فَعَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ

إلى قوله ثُمَّ عرج بِي حَتَّى ظهرتُ بمُسْتَوًى أَسْمعُ فيه صريفَ الأَقلام ، وأَنَّهُ وصل إلى سدْرةِ المنْتَهى ، وأَنَّهُ دخل الجنَّةَ ورأى فيها ماذكره.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ : هِيَ رُؤْيا عَيْنٍ رآها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا رُؤْيا منامٍ ، وعن الحسنِ فيه : بَيْنا أَنا نائمٌ في الحِجْرِ جاءَني جبْريلُ فهمزني بعقِبِهِ فقمتُ فجلستُ فلمْ أرَ شيْئًا فعُدتُ لِمضْجعِي ذكرَ ذلك ثلاثًا فقالَ في الثَّالثةِ : فأَخذ بعضُدي فجرَّني إلى بابِ المسْجدِ فإذا بدابَّةٍ وذكر خبر البُراقِ . وعنْ أُمِّ هانِيءٍ ما أُسرِي برسُولِ اللهِ ﷺ إلاَّ وهُوَ في بيْتي تلْكَ اللَّيْلَةَ صلَّى العِشاءَ الآخرةَ ونام بيْننا فلمَّا كانَ قُبَيْلَ الفجْرِ أَهبَّنا رسُولُ اللهِ ﷺ فلمَّا صلَّى الصُّبْحَ وصلَّيْنا قالَ يا أُمَّ هانِيءٍ لقَدْ صلَّيتُ معَكُمُ العِشاءَ الآخرةَ كما رأَيْتِ بهذا الوادي ثُمَّ جئْتُ بيْتَ المقْدسِ فصلَّيْتُ فيه ثُمَّ صلَّيتُ الغداةَ معكُمُ الآنَ كما ترَوْنَ وهذا بيِّنٌ في أَنَّهُ بجسمِهِ . وعنْ أَبي بكرٍ منْ روايةِ شدَّادِ بنِ أَوْسٍ عنْهُ أَنَّهُ قالَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ليْلةَ أُسْرِيَ بهِ : طلبْتُكَ يا رسُولَ اللهِ البارحةَ في مكانِكَ فلمْ أَجِدْكَ ؟ فأَجابهُ أَنَّ جبْريلَ عليْهِ السَّلامُ حملَني إلى المسْجدِ الأَقْصى . وعنْ عُمرَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : صلَّيتُ ليْلةَ أُسرِيَ بي في مُقدَّمِ المسْجدِ ثُمَّ دخلْتُ الصَّخْرةَ فإذا بملَكٍ قائمٍ معهُ آنيةٌ ثلاثٌ وذكرَ الحديثَ

وَهٰذِهِ التَّصْرِيحَاتُ ظَاهِرَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ فَتُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا . وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَشَرَحَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي . وَعَنْ أَنَسٍ : أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه : لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَنَحْوُهُ عَنْ جَابِرٍ ، وَقَدْ رَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنه فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلَتْ عَنْ جَانِبِهَا .

(فَصْلٌ) فِي إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ إِنَّهَا نَوْمٌ ، احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ » فَسَمَّاهَا رُؤْيَا ، قُلْنَا قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ » يَرُدُّهُ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي النَّوْمِ أَسْرَى وَقَوْلُهُ : فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، يُؤَيِّدُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ وَإِسْرَاءٌ بِشَخْصٍ إِذْ لَيْسَ فِي الْحُلْمِ فِتْنَةٌ وَلَا يُكَذِّبُ بِهِ أَحَدٌ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذٰلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنَ الْكَوْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَقْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ ، عَلَى أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي هٰذِهِ الْآيَةِ : فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ

فِي قَضِيَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَا وَقَعَ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذٰلِكَ ، وَقِيلَ غَيْرُ هٰذَا . وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ قَدْ سَمَّاهَا فِي الْحَدِيثِ مَنَامًا وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، وَقَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ نَائِمٌ وَقَوْلُهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ إِذْ قَدْ يَحْتَمِلُ أَنَّ أَوَّلَ وُصُولِ الْمَلَكِ إِلَيْهِ كَانَ وَهُوَ نَائِمٌ أَوْ أَوَّلَ حَمْلِهِ وَالْإِسْرَاءِ بِهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَلَعَلَّ قَوْلَهُ اسْتَيْقَظْتُ بِمَعْنَى أَصْبَحْتُ أَوِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمٍ آخَرَ بَعْدَ وُصُولِهِ بَيْتَهُ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَسْرَاهُ لَمْ يَكُنْ طُولَ لَيْلِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي بَعْضِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ قَوْلُهُ اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِمَا كَانَ غَمَرَهُ مِنْ عَجَائِبِ مَا طَالَعَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَامَرَ بَاطِنَهُ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فَلَمْ يَسْتَفِقْ وَيَرْجِعْ إِلَى حَالِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَوَجْهٌ ثَالِثٌ أَنْ يَكُونَ نَوْمُهُ وَاسْتِيقَاظُهُ حَقِيقَةً عَلَى مُقْتَضَى لَفْظِهِ وَلٰكِنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ وَقَلْبُهُ حَاضِرٌ وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ، وَقَدْ مَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِشَارَاتِ إِلَى نَحْوٍ مِنْ هٰذَا قَالَ تَغْمِيضُ عَيْنَيْهِ لِئَلَّا يَشْغَلَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ عَنِ اللهِ تَعَالَى ، وَلَا يَصِحُّ هٰذَا أَنْ يَكُونَ فِي وَقْتِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ

وَلَعَلَّهُ كانَتْ لَهُ فِي هٰـذَا الْإِسْرَاءِ حَالَاتٌ . وَوَجْهٌ رَابِـعٌ وَهُوَ أَنْ يُعَبِّرُ بِالنَّوْمِ هٰهُنَا عَنْ هَيْئَةِ النَّائِمِ مِنَ الِاضْطِجَاعِ وَيُقَوِّيهِ قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ هَمَّامٍ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ وَرُبَّمَا قَالَ مُضْطَجِـعٌ ، وَفِي رِوَايَةِ هُدْبَةَ عَنْهُ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْـرِ مُضْطَجِـعٌ ، وَقَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى بَيْنَا النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَيَـكُونُ سَمَّى هَيْئَتَهُ بِالنَّوْمِ لِمَا كانَتْ هَيْئَةَ النَّائِمِ غَالِبًا ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَاتِ مِنَ النَّوْمِ وَذِكْرِ شَقِّ الْبَطْنِ وَدُنُوِّ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ الْوَاقِعَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكٍ عَنْ أَنَسٍ فَهِيَ مُنْـكَرَةٌ مِنْ رِوَايَتِهِ إِذْ شَقُّ الْبَطْنِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي صِغَرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَلِأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَالْإِسْرَاءُ بِإِجْمَاعٍ كانَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ فَهَذَا كُلُّهُ يُوهِنُ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ مَعَ أَنَّ أَنَسًا قَدْ بَيَّنَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ أَنَّهُ إِنَّمَا رَوَاهُ عَنْ غَيْرِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ مَرَّةً عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ : لَعَـلَّهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَلَى الشَّـكِّ ، وَقَالَ مَرَّةً : كانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ .

وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ : مَا فَقَدْتُ جَسَدَهُ ، فَعَائِشَةُ لَمْ تُحَدِّثْ بِهِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَـكُنْ حِينَئِذٍ زَوْجَهُ وَلَا فِي سِنِّ مَنْ يَضْبِطُ ، وَلَعَلَّهَا

لمْ تكنْ وُلدتْ بعدُ على الخلافِ في الإسراءِ متى كانَ فإنَّ الإسراءَ كانَ في أوّلِ الإسلامِ على قولِ الزُّهريِّ ومنْ وافقهُ بعدَ المبعثِ بعامٍ ونصفٍ ، وكانتْ عائشةُ في الهجرةِ بنتَ نحوِ ثمانيةِ أعوامٍ ، وقدْ قيلَ كانَ الإسراءُ لخمسٍ قبلَ الهجرةِ ، وقيلَ قبلَ الهجرةِ بعامٍ والأشبهُ أنّهُ لخمسٍ : والحجّةُ لذلكَ تطولُ وليستْ منْ غرضِنا فإذا لمْ تشاهدْ ذلكَ عائشةُ دلَّ على أنّها حدّثتْ بذلكَ عنْ غيرِها فلمْ يُرجّحْ خبرُها على خبرِ غيرِها ، وغيرُها يقولُ خلافَهُ ممّا وقعَ نصًّا في حديثِ أمِّ هانئٍ وغيرِهِ ، وأيضًا فليسَ حديثُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها بالثابتِ والأحاديثُ الأُخرُ أثبتُ لسْنا نعني حديثَ أمِّ هانئٍ وما ذكرتْ فيهِ خديجةُ ، وأيضًا فقدْ رُوىَ في حديثِ عائشةَ ما فقدتُ ولمْ يدخلْ بها النبيُّ ﷺ إلّا بالمدينةِ وكلُّ هذا يُوهِّنُهُ بلِ الّذي يدلُّ عليهِ صحيحُ قولِها أنّهُ بجسدِهِ لإنكارِها أنْ تكونَ رؤياهُ لربِّهِ رؤيا عينٍ ولوْ كانتْ عندَها منامًا لمْ تُنْكرْهُ ، فإنْ قيلَ فقدْ قالَ تعالى : « ما كذبَ الفؤادُ ما رأى » فقدْ جعلَ ما رآهُ للقلبِ وهذا يدلُّ على أنّهُ رؤيا نومٍ ووحيٌ لا مشاهدةُ عينٍ وحسٍّ ، قلْنا يقابلُهُ قولُهُ تعالى : « ما زاغَ البصرُ وما طغى » فقدْ أضافَ الأمرَ للبصرِ ، وقدْ قالَ أهلُ التفسيرِ في قولِهِ تعالى : ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ، أيْ لمْ يُوهِمِ القلبُ

الْعَيْنَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ بَلْ صَدَقَ رُؤْيَتَهَا وَقِيلَ مَا أَنْكَرَ قَلْبُهُ مَا رَأَتْهُ عَيْنُهُ

(فَصْلٌ) وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا فَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ. قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَّابٍ الْفَقِيهُ قَالَا حَدَّثَنَا الْقَاضِي يُونُسُ بْنُ مُغِيثٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصِّقِلِّيُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، ثَلَاثٌ مَنْ حَدَّثَكَ بِهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» الآيَةَ: وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ وَاخْتُلِفَ عَنْهُ. وَقَالَ بِإِنْكَارِ هٰذَا وَامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْهُ أَنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ: وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْهُ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ: وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحٰقَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؟ فَقَالَ نَعَمْ . وَالْأَشْهَرُ عَنهُ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ رُوِيَ ذَلِكَ عَنهُ مِنْ طُرُقٍ ، وَقَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى اُخْتَصَّ مُوسَى بِالْكَلَامِ ، وَإِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَةِ وَحُجَّتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : قِيلَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ، فَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ وَكَلَّمَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ .

وَحَكَى أَبُو الْفَتْحِ الرَّازِيُّ وَأَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ الْحِكَايَةَ عَنْ كَعْبٍ ، وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَّا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فَنَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ، فَكَبَّرَ كَعْبٌ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ، وَقَالَ إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى فَكَلَّمَهُ مُوسَى وَرَآهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ وَرَوَى شَرِيكٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ قَالَ : رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ . وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي وَلَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي . وَرَوَى مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رَأَيْتُ رَبِّي وَذَكَرَ كَلِمَةً ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ

فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى الْحَدِيثَ ۞ وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ، وَحَكَاهُ أَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ عَنْ عِكْرِمَةَ . وَحَكَى بَعضُ الْمُتَكَلِّمِينَ هٰذَا الْمَذْهَبَ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ وَحَكَى ٱبْنُ إِسْحٰقَ أَنَّ مَرْوَانَ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؟ فَقَالَ نَعَمْ: وَحَكَى النَّقَّاشُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ أَنَّهُ قَالَ أَنَا أَقُولُ بِحَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ بِعَيْنِهِ : رَآهُ رَآهُ حَتَّى ٱنْقَطَعَ نَفَسُهُ ، يَعْنِي نَفَسَ أَحْمَدَ. وَقَالَ أَبُو عُمَرَ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : رَآهُ بِقَلْبِهِ وَجَبُنَ عَنِ الْقَوْلِ بِرُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا بِالأَبْصَارِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لَا أَقُولُ رَآهُ وَلَا لَمْ يَرَهُ ، وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ وَابْنِ مَسْعُودٍ ، فَحُكِيَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ رَآهُ بِقَلْبِهِ ، وَعَنِ الْحَسَنِ وَٱبْنِ مَسْعُودٍ رَأَى جِبْرِيلَ . وَحَكَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : رَآهُ ، وَعَنِ ٱبْنِ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . قَالَ شَرَحَ صَدْرَهُ لِلرُّؤْيَةِ ، وَشَرَحَ صَدْرَ مُوسَى لِلْكَلَامِ ، وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : أَنَّهُ رَأَى اللهَ تَعَالَى بِبَصَرِهِ وَعَيْنَيْ رَأْسِهِ . وَقَالَ كُلُّ آيَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَهَا نَبِيُّنَا ﷺ وَخُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِتَفْضِيلِ الرُّؤْيَةِ . وَوَقَفَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا فِي هٰذَا

وَقَالَ لَيْسَ عَلَيهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَلَـكِنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَـكُونَ، قَالَ الْقَاضِى أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ : وَالْحَقُّ الَّذِى لَا امْتِرَاءَ فِيهِ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعالَى فِى الدُّنْيَا جَائِزَةٌ عَقْلًا وَلَيْسَ فِى الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهَا ، وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا فِى الدُّنْيَا سُؤَالُ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ لَهَا ، وَمُحَالٌ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ وَمَا لَا يَجُوزُ عَلَيـهِ بَلْ لَمْ يَسْأَلْ إِلَّا جَائِزًا غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ ، وَلَـكِنْ وُقُوعُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِى لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ فَقَالَ لَهُ اللهُ تَعَـالَى : لَنْ تَرَانِى ، أَىْ لَنْ تُطِيقَ وَلَا تَحْتَمِلَ رُؤْيَتِى ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ مَثَلًا مِمَّـا هُوَ أَقْوَى مِنْ بِنْيَةِ مُوسَى وَأَثْبَتُ وَهُوَ الْجَبَلُ وَكُلُّ هٰذَا لَيْسَ فِيهِ مَا يُحِيلُ رُؤْيَتَهُ فِى الدُّنْيَا بَلْ فِيهِ جَوَازُهَا عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَيْسَ فِى الشَّرْعِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى اسْتِحَالَتِهَـا وَلَا امْتِنَاعِهَا إِذْ كُلُّ مَوْجُودٍ فَرُؤْيَتُهُ جَائِزَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ ، وَلَا حُجَّةَ لِمَنِ اسْتَدَلَّ عَلَى مَنْعِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، لِاخْتِلَافِ التَّأْوِيلَاتِ فِى الْآيَةِ ، وَإِذْ لَيْسَ يَقْتَضِى قَوْلُ مَنْ قَالَ فِى الدُّنْيَا الِاسْتِحَالَةَ . وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهٰذِهِ الْآيَةِ نَفْسِهَا عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ وَعَدَمِ اسْتِحَالَتِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ ، وَقَدْ قِيلَ لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْـكُفَّارِ ، وَقِيلَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ : لَا تُحِيطُ بِهِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ قِيلَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الْمُبْصِرُونَ وَكُلُّ هٰذِهِ التَّأْوِيلَاتِ لَا تَقْتَضِى مَنْعَ الرُّؤْيَةِ وَلَا اسْتِحَالَتَهَا ، وَكَـذَلِكَ

لا حُجَّةَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ تعالَى: لَنْ تَرَانِى، وَقَوْلُهُ: تُبْتُ، إِلَيْكَ لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَلأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى الْعُمُومِ، وَلأَنَّ مَنْ قَالَ مَعْنَاهَا لَنْ تَرَانِى فِى الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ تَأْوِيلٌ وَأَيْضًا فَلَيْسَ فِيهِ نَصُّ الِامْتِنَاعِ وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِى حَقِّ مُوسَى، وَحَيْثُ تَتَطَرَّقُ التَّأْوِيلَاتُ وَتَتَسَلَّطُ الِاحْتِمَالَاتُ فَلَيْسَ لِلْقَطْعِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ. وَقَوْلُهُ: تُبْتُ إِلَيْكَ، أَىْ مِنْ سُؤَالِى مَنْ لَمْ تُقَدِّرْهُ لِى.

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهُذَلِىُّ فِى قَوْلِهِ: لَنْ تَرَانِى، أَىْ لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يُطِيقَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىَّ فِى الدُّنْيَا وَأَنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَىَّ مَاتَ.

وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَا مَعْنَاهُ: أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِى الدُّنْيَا مُمْتَنِعَةٌ لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَقُوَاهُمْ، وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةً عَرَضًا لِلْآفَاتِ وَالْفَنَاءِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَةِ فَإِذَا كَانَ فِى الْآخِرَةِ وَرُكِّبُوا تَرْكِيبًا آخَرَ وَرُزِقُوا قُوًى ثَابِتَةً بَاقِيَةً، وَأَتَمَّ أَنْوَارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ قَوُوا بِهَا عَلَى الرُّؤْيَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هٰذَا لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللّٰهُ قَالَ: لَمْ يُرَ فِى الدُّنْيَا لِأَنَّهُ بَاقٍ وَلَا يُرَى الْبَاقِى بِالْفَانِى فَإِذَا كَانَ فِى الْآخِرَةِ وَرُزِقُوا أَبْصَارًا بَاقِيَةً رُؤِىَ الْبَاقِى بِالْبَاقِى، وَهٰذَا كَلَامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الِاسْتِحَالَةِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ ضَعْفُ الْقُدْرَةِ، فَإِذَا قَوَّى اللّٰهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الرُّؤْيَةِ لَمْ تَمْتَنِعْ فِى حَقِّهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا ذُكِرَ

فِي قُوَّةِ بَصَرِ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ وَنُفُوذِ إِدْرَاكِهِمَا بِقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ مُنِحَاهَا لِإِدْرَاكِ مَا أَدْرَكَاهُ وَرُؤْيَةِ مَا رَأَيَاهُ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ فِي أَثْنَاءِ أَجْوِبَتِهِ عَنِ الآيَتَيْنِ مَا مَعْنَاهُ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى اللهَ فَلِذٰلِكَ خَرَّ صَعِقًا، وَأَنَّ الْجَبَلَ رَأَى رَبَّهُ فَصَارَ دَكًّا بِإِدْرَاكٍ خَلَقَهُ اللهُ لَهُ، وَاسْتَنْبَطَ ذٰلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ ذٰلِكَ مِنْ قَوْلِهِ. وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، وَتَجَلِّيهِ لِلْجَبَلِ هُوَ ظُهُورُهُ لَهُ حَتَى رَآهُ عَلَى هٰذَا الْقَوْلِ. وَقَالَ جَعْفَرُ ابْنُ مُحَمَّدٍ شَغَلَهُ بِالْجَبَلِ حَتَّى تَجَلَّى وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمَاتَ صَعِقًا بِلَا إِفَاقَةٍ، وَقَوْلُهُ هٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى رَآهُ وَقَدْ وَقَعَ لِبَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْجَبَلِ أَنَّهُ رَآهُ وَبِرُؤْيَةِ الْجَبَلِ لَهُ اسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ بِرُؤْيَةِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا لَهُ إِذْ جَعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى الْجَوَازِ وَلَا مِرْيَةَ فِي الْجَوَازِ إِذْ لَيْسَ فِي الآيَاتِ نَصٌّ فِي الْمَنْعِ، وَأَمَّا وُجُوبُهُ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ قَاطِعٌ أَيْضًا وَلَا نَصٌّ إِذِ الْمُعَوَّلُ فِيهِ عَلَى آيَتَيِ النَّجْمِ وَالتَّنَازُعُ فِيهِمَا مَأْثُورٌ وَالِاحْتِمَالُ لَهُمَا مُمْكِنٌ وَلَا أَثَرَ قَاطِعٌ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذٰلِكَ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ خَبَرٌ عَنِ اعْتِقَادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجِبُ الْعَمَلُ

باعْتِقَادِ مُضَمَّنِهِ ، وَمِثْلُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ ، وَحَدِيثُ مُعَاذٍ مُحْتَمِلٌ لِلتَّأْوِيلِ وَهُوَ مُضْطَرِبُ الإِسْنَادِ وَالمَتْنِ ، وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الآخَرُ مُخْتَلِفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ فَرُوِيَ : نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ . وَحَكَى بَعْضُ شُيُوخِنَا أَنَّهُ رُوِيَ : نُورَانِيٌّ أَرَاهُ ، وَفِي حَدِيثِهِ الآخَرِ سَأَلْتُهُ فَقَالَ : رَأَيْتُ نُورًا وَلَيْسَ يُمْكِنُ الاحْتِجَاجُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى صِحَّةِ الرُّؤْيَةِ فَإِنْ كَانَ الصَّحِيحُ رَأَيْتُ نُورًا ، فَهُوَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ اللهَ تَعَالَى وَإِنَّمَا رَأَى نُورًا مَنَعَهُ وَحَجَبَهُ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَإِلَى هٰذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُ : نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ، أَيْ كَيْفَ أَرَاهُ مَعَ حِجَابِ النُّورِ الْمُغْشِي لِلْبَصَرِ ، وَهٰذَا مِثْلُ مَا فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ حِجَابُهُ النُّورُ . وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ : لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وَلٰكِنْ رَأَيْتُهُ بِقَلْبِي مَرَّتَيْنِ ، وَتَلَا : ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، وَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الإِدْرَاكِ الَّذِي فِي الْبَصَرِ فِي الْقَلْبِ أَوْ كَيْفَ شَاءَ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، فَإِنْ وَرَدَ حَدِيثٌ نَصٌّ بَيِّنٌ فِي الْبَابِ اُعْتُقِدَ وَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ ، إِذْ لَا اسْتِحَالَةَ فِيهِ وَلَا مَانِعٌ قَطْعِيٌّ يَرُدُّهُ ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ لِلّٰهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ : فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الأَحَادِيثُ ، فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُوحِيَ هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى

جِبْرِيلَ وَجِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شُذُوذًا مِنْهُمْ . فَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَالَ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ وَنَحْوُهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ ، وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الإِسْرَاءِ . وَحُكِيَ عَنِ الأَشْعَرِيِّ وَحَكَوْهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ ، وَذَكَرَ النَّقَّاشُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ : دَنَا فَتَدَلَّى ، قَالَ فَارَقَنِي جِبْرِيلُ فَانْقَطَعَتِ الأَصْوَاتُ عَنِّي فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ يَا مُحَمَّدُ ادْنُ ادْنُ ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ فِي الإِسْرَاءِ نَحْوٌ مِنْهُ ، وَقَدِ احْتَجُّوا فِي هٰذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ » ، فَقَالُوا هِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَتَكْلِيمِ مُوسَى ، وَبِإِرْسَالِ الْمَلَائِكَةِ كَحَالِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَأَكْثَرِ أَحْوَالِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الثَّالِثُ قَوْلُهُ وَحْيًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ تَقْسِيمِ صُوَرِ الْكَلَامِ إِلَّا الْمُشَافَهَةُ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ ، وَقَدْ قِيلَ الْوَحْيُ هُنَا هُوَ مَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ عَنْ عَلِيٍّ فِي حَدِيثِ الإِسْرَاءِ مَا هُوَ أَوْضَحُ فِي سَمَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَلَامِ اللَّهِ مِنَ الآيَةِ فَذَكَرَ فِيهِ : فَقَالَ الْمَلَكُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقِيلَ لِي مِنْ وَرَاءِ

الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ أَنَا أَكْبَرُ ، وَقَالَ فِي سَائِرِ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ، وَيَجِيءُ الْكَلَامُ فِي مُشْكِلِ هَٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي الْفَصْلِ بَعْدَ هَٰذَا مَعَ مَا يُشْبِهُهُ وَفِي أَوَّلِ فَصْلٍ مِنَ الْبَابِ مِنْهُ وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنِ اخْتَصَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ جَائِزٌ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلًا وَلَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ قَاطِعٌ يَمْنَعُهُ فَإِنْ صَحَّ فِي ذَٰلِكَ خَبَرٌ اعْتُمِدَ عَلَيْهِ وَكَلَامُهُ تَعَالَى لِمُوسَى كَائِنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ نَصَّ عَلَى ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ وَأَكَّدَهُ بِالْمَصْدَرِ دَلَالَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ وَرَفَعَ مَكَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِسَبَبِ كَلَامِهِ وَرَفَعَ مُحَمَّدًا فَوْقَ هَٰذَا كُلِّهِ حَتَّى بَلَغَ مُسْتَوًى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ هَٰذَا أَوْ يَبْعُدُ سَمَاعُ الْكَلَامِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَظَاهِرِ الْآيَةِ مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ مِنْ قَوْلِهِ : « دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الدُّنُوَّ وَالتَّدَلِّيَ مُنْقَسِمٌ مَا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَوْ مُخْتَصٌّ بِأَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ أَوْ مِنَ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ الرَّازِيُّ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا فَتَدَلَّى مِنْ رَبِّهِ ، وَقِيلَ مَعْنَى دَنَا قَرُبَ وَتَدَلَّى زَادَ فِي الْقُرْبِ ، وَقِيلَ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَيْ قَرُبَ

وَحَكى مَكِّىٌّ وَالْمَاوَرْدِىُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ الرَّبُّ دَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ فَتَدَلَّى إِلَيْهِ أَىْ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ . وَحَكى النَّقَّاشُ عَنِ الحَسَنِ قَالَ دَنَا مِنْ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَدَلَّى فَقَرُبَ مِنْهُ فَأَرَاهُ ما شَاءَ أَنْ يُرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ . قالَ وَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ هُوَ مُقدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ تَدلَّى الرَّفْرَفُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيلَةَ الْمِعْرَاجِ فَجَلَسَ عَلَيهِ ثُمَّ رُفِعَ فَدَنَا مِنْ رَبِّهِ ، قَالَ فَارَقَنِي جِبْرِيلُ وَانْقَطَعَتْ عَنِّى الْأَصْوَاتُ وَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ . وَعَنْ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحِ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ إِلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَيهِ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَى إِلَيهِ خَمْسِينَ صَلاةً وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ ، وَقالَ جَعفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ . وَقَالَ جعفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَالدُّنُوُّ مِنَ اللهِ لاحَدَّ لَهُ وَمِنَ الْعِبادِ بِالْحُدُودِ ، وَقَالَ أَيْضًا انْقَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُوِّ أَلاَ تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلَ عَنْ دُنُوِّهِ وَدَنَا مُحَمَّدٌ إِلى مَا أَوْدَعَ قَلْبَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ فَتَدَلَّى بِسُكُونِ قَلْبِهِ إِلى مَا أَدْنَاهُ وَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الشَّكُّ وَالارْتِيَابُ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ : اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ هُنَا مِنَ اللهِ أَوْ إِلَى اللهِ فَلَيْسَ بِدُنُوِّ مَكَانٍ وَلاَ

قُرْبِ مَدًى بَلْ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ لَيْسَ بِدُنُوِّ حَدٍّ وَإِنَّمَا دُنُوُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ وَقُرْبُهُ مِنْهُ إِبَانَةُ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ وَإِشْرَاقُ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ وَمُشَاهَدَةُ أَسْرَارِ غَيْبِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُ مَبَرَّةٌ وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ وَإِكْرَامٌ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ نُزُولَ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ. قَالَ الْوَاسِطِيُّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ دَنَا جَعَلَ ثَمَّ مَسَافَةً بَلْ كُلُّ مَا دَنَا بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بُعْدًا يَعْنِي عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ إِذْ لَا دُنُوَّ لِلْحَقِّ وَلَا بُعْدَ، وَقَوْلُهُ: قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللهِ تَعَالَى لَا إِلَى جِبْرِيلَ عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ وَلُطْفِ الْمَحَلِّ وَإِيضَاحِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعِبَارَةً عَنْ إِجَابَةِ الرَّغْبَةِ وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ وَإِظْهَارِ التَّحَفِّي وَإِنَافَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ اللهِ لَهُ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ وَتَعْجِيلُ الْمَأْمُولِ.

(فصل)

فى ذكر تفضيله ﷺ فى القيامة بخصوص الكرامة

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْحُسَيْنِ قَالَا أَخْبَرَنَا

أَبُو يَعْلَى حَدَّثنَا السِّنْجِيُّ حَدَّثنَا أَبْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا التِّرمِذِيُّ حَدَّثنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ حَدَّثنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ لَيْثٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا ، لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ » وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ زَحْرٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي لَفْظِ هٰذَا الْحَدِيثِ : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أُبْلِسُوا لِوَاءُ الْكَرَمِ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ » وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا نَبِيٌّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ » وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْه ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما . أَنَا

حَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُهَا فَيَدْخُلُهَا مَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ » . وَعَنْ أَنَسٍ : أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَدْرُونَ لِمَ ذَٰلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَطْمَعُ أَنْ أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى فِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ قَالَ . إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَيَقُولُ أَنْتَ دَعْوَتِي وَذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِكَ ، وَأَمَّا عِيسَى فَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ بَنُو عَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَأَنَّ عِيسَى أَخِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ . قَوْلُهُ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هُوَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَلَٰكِنْ أَشَارَ ﷺ لِانْفِرَادِهِ فِيهِ بِالسُّودَدِ وَالشَّفَاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ إِذْ لَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي ذَٰلِكَ فَلَمْ يَجِدُوا سِوَاهُ ، وَالسَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَلْجَأُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَكَانَ حِينَئِذٍ سَيِّدًا مُنْفَرِدًا مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ لَمْ يُزَاحِمْهُ أَحَدٌ فِي ذَٰلِكَ وَلَا ادَّعَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : لِمَنِ الْمُلْكُ

الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، وَالْمُلْكُ لَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَـكِنْ فِي الآخِرَةِ انْقَطَعَتْ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ لِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ لَجَأَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ جَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّفَاعَةِ فَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي الْأُخْرَى دُونَ دَعْوَى وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا » وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ نَحْوُهُ وَقَالَ : طُولُهُ مَا بَيْنَ عُمَانَ إِلَى أَيْلَةَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ . وَعَنْ ثَوْبَانَ مِثْلُهُ وَقَالَ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ وَفِي رِوَايَةِ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ : كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ ، وَقَالَ أَنَسٌ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ كَمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ . وَرَوَى حَدِيثَ الْحَوْضِ أَيْضًا أَنَسٌ وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَابْنُ عُمَرَ وَعُقْبَةُ ابْنُ عَامِرٍ وَحَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ الْخُزَاعِيُّ وَالْمُسْتَوْرِدُ وَأَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَأَبُو أُمَامَةَ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ زَيْدٍ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ وَسُوَيْدُ بْنُ جَبَـلَةَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ وَابْنُ بُرَيْدَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَعَبْدُ اللهِ الصُّنَابِحِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَالْبَرَاءُ وَجُنْدُبٌ وَعَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ بِنْتَا أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرَةَ وَخَوْلَةُ قَيْسٍ وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي تَفْضِيلِهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ) جَاءَتْ بِذَلِكَ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَاخْتُصَّ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ بِحَبِيبِ اللهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ وَحَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ سَمَاعًا عَلَيْهِ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ . وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَالَ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً ، وَقَالَ آخَرُ : مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا ، وَقَالَ آخَرُ فَعِيسَى

كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ ، وَقَالَ آخَرُ آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَعِيسَى رُوحُ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : إِنِّي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ أَنْتَ حَبِيبُ الرَّحْمٰنِ . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ الْخُلَّةِ وَأَصْلِ اشْتِقَاقِهَا ، فَقِيلَ الْخَلِيلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى اللهِ الَّذِي لَيْسَ فِي انْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ اخْتِلَالٌ ، وَقِيلَ الْخَلِيلُ الْمُخْتَصُّ وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصْلُ الْخُلَّةِ الِاسْتِصْفَاءُ وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ لِأَنَّهُ يُوَالِي فِيهِ وَيُعَادِي فِيهِ وَخُلَّةُ اللهِ لَهُ نَصْرُهُ وَجَعْلُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَقِيلَ الْخَلِيلُ أَصْلُهُ الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ الْمُنْقَطِعُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخَلَّةِ وَهِيَ الْحَاجَةُ فَسُمِّيَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ لِأَنَّهُ قَصَرَ حَاجَتَهُ عَلَى رَبِّهِ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ بِهَمِّهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ قِبَلَ غَيْرِهِ إِذْ جَاءَهُ

جبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيقِ لِيُرْمَى بِهِ فِي النَّارِ فقَالَ أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فلاَ . وَقَالَ أَبُو بكرٍ بنُ فُورَكٍ الْخُلَّةُ صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي تُوجِبُ الاخْتِصَاصَ بتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصْلُ الْخُلَّةِ الْمَحَبَّةُ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ وَالْإِلْطَافُ وَالتَّرْفِيعُ وَالتَّشْفِيعُ ، وَقَدْ بَيَّنَ ذٰلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ » فَأَوْجَبَ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ لاَ يُؤَاخَذَ بِذُنُوبِهِ قَالَ هٰذَا وَالْخُلَّةُ أَقْوَى مِنَ الْبُنُوَّةِ لِأَنَّ الْبُنُوَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا الْعَدَاوَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : « إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » الآيَةَ ، وَلاَ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَدَاوَةٌ مَعَ خُلَّةٍ ، فَإِذَا تَسْمِيَةُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامِ بِالْخُلَّةِ إِمَّا بِانْقِطَاعِهِمَا إِلَى اللهِ وَوَقْفِ حَوَائِجِهِمَا عَلَيْهِ وَالانْقِطَاعِ عَمَّنْ دُونَهُ وَالْإِضْرَابِ عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ أَوْ لِزِيَادَةِ الاخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمَا وَخَفِيِّ أَلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا وَمَا خَالَلَ بَوَاطِنَهُمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلٰهِيَّتِهِ وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ؛ أَوْ لِاسْتِصْفَائِهِ لَهُمَا وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا حُبٌّ لِغَيْرِهِ ، وَلِهٰذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْخَلِيلُ مَنْ لاَ يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : وَلَوْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، لٰكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ . وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَيُّهُمَا أَرْفَعُ دَرَجَةً

الْخُلَّةُ أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ ؟ فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سَوَاءً فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ، لَكِنَّهُ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ وَمُحَمَّدًا بِالْمَحَبَّةِ ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ : دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ وَاُحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﷺ : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ يَتَّخِذْهُ ، وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَحَبَّةَ لِفَاطِمَةَ وَأَبْنَيْهَا وَأُسَامَةَ وَغَيْرِهِمْ وَأَكْبَرُهُمْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ أَرْفَعَ مِنَ الْخُلَّةِ لِأَنَّ دَرَجَةَ الْحَبِيبِ نَبِيِّنَا أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَيْلُ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحِبَّ وَلَكِنْ هٰذَا فِي حَقِّ مَنْ يَصِحُّ الْمَيْلُ مِنْهُ وَالِانْتِفَاعُ بِالْوَفْقِ وَهِيَ دَرَجَةُ الْمَخْلُوقِ ، فَأَمَّا الْخَالِقُ فَمُنَزَّهٌ عَنِ الْأَغْرَاضِ فَمَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ تَمْكِينُهُ مِنْ سَعَادَتِهِ وَعِصْمَتُهُ وَتَوْفِيقُهُ وَتَهْيِئَةُ أَسْبَابِ الْقُرْبِ وَإِفَاضَةُ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ وَقُصْوَاهَا كَشْفُ الْحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ بِبَصِيرَتِهِ فَيَكُونُ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ : فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هٰذَا سِوَى التَّجَرُّدِ لِلّٰهِ وَالِانْقِطَاعِ إِلَى اللّٰهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ غَيْرِ اللّٰهِ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ لِلّٰهِ وَإِخْلَاصِ الْحَرَكَاتِ لِلّٰهِ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، بِرِضَاهُ يَرْضَى وَبِسَخَطِهِ يَسْخَطُ ، وَمِنْ هٰذَا عَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْخُلَّةِ بِقَوْلِهِ :

قَدْ تَخَلَّلْتُ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّى ... وَبِذَا سُمِّىَ الْخَلِيلُ خَلِيلَا
فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِى ... وَإِذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الْغَلِيلَا

فَإِذَا مَزِيَّةُ الْخُلَّةِ وَخُصُوصِيَّةُ الْمَحَبَّةِ حَاصِلَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُنْتَشِرَةُ الْمُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ مِنَ الْأُمَّةِ وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ الآيَةَ ، حَكَى أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ الْكُفَّارُ إِنَّمَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ غَيْظًا لَهُمْ وَرَغْمًا عَلَى مَقَالَتِهِمْ هٰذِهِ الآيَةَ : قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ ، فَزَادَهُ شَرَفًا بِأَمْرِهِمْ بِطَاعَتِهِ وَقَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ عَلَى التَّوَلِّى عَنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ . وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ فَوْرَكٍ عَنْ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَامًا فِى الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ يَطُولُ جُمْلَةُ إِشَارَاتِهِ إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْخُلَّةِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِى إِلَى مَا بَعْدَهُ ، فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ الْخَلِيلُ يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ مِنْ قَوْلِهِ : « وَكَذٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ » وَالْحَبِيبُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : « فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » وَقِيلَ الْخَلِيلُ الَّذِى تَكُونُ مَغْفِرَتُهُ فِى حَدِّ الطَّمَعِ مِنْ قَوْلِهِ : « وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى » وَالْحَبِيبُ الَّذِى مَغْفِرَتُهُ

فِي حَدِّ الْيَقِينِ مِنْ قَوْلِهِ : لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ الآيَة . وَالْخَلِيلُ قَالَ : وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ : يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ، فَابْتُدِئَ بِالْبِشَارَةِ قَبْلَ السُّؤَالِ وَالْخَلِيلُ قَالَ فِي الْمِحْنَةِ : حَسْبِيَ اللَّهُ ، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ، وَالْخَلِيلُ قَالَ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ، أُعْطِيَ بِلَا سُؤَالٍ . وَالْخَلِيلُ قَالَ : وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ . وَالْحَبِيبَ قِيلَ لَهُ : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ . وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَنْبِيهٌ عَلَى مَقْصَدِ أَصْحَابِ الْمَقَالِ مِنْ تَفْضِيلِ الْمَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا .

فَصْلٌ

فِي تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام الْمَحْمُودِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ الْجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ بِخَطِّهِ . حَدَّثَنَا سِرَاجُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو أَحْمَدَ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانٍ حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًى كُلُّ أُمَّةٍ

تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ لَنَا يَا فُلَانُ اشْفَعْ لَنَا حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَٰلِكَ يَوْمٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ : عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ، فَقَالَ هِيَ الشَّفَاعَةُ . وَرَوَى كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ فَذَٰلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » . وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ ، قَالَ فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وُعِدَهُ . وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْهُ ﷺ : أَنَّهُ قِيَامُهُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ . وَنَحْوُهُ عَنْ كَعْبٍ وَالْحَسَنِ : وَفِي رِوَايَةٍ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ . وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَقَائِمٌ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ قِيلَ وَمَا هُوَ قَالَ ذَٰلِكَ يَوْمٌ يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ الْحَدِيثَ . وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ ﷺ : « خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ وَلَٰكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ » . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ

فِي الشَّفَاعَةِ ؟ فقَالَ شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللّٰهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ لِسَانَهُ قَلْبُهُ . وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : « أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ، فَسَأَلْتُ ٱللّٰهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ » وَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَجْمَعُ ٱللّٰهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حَيْثُ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا سُكُوتًا لاَ تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، فَيُنَادَى مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَكَ وَإِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ ، قَالَ فَذٰلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ ٱللّٰهُ . وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَبْقَى آخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لِزُمْرَةِ الْجَنَّةِ مَا نَفَعَكُمْ إِيمَانُكُمْ فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضِجُّونَ فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَسْأَلُونَ آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَكُلٌّ يَعْتَذِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَيَشْفَعُ لَهُمْ فَذٰلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . وَنَحْوُهُ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا وَمُجَاهِدٍ وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ ٱللّٰهِ لِيَزِيدَ الْفَقِيرِ سَمِعْتُ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللّٰهُ

فِيهِ ؟ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ يَعْنِي مِنَ النَّارِ ، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَهَنَّمِيِّينَ . وَعَنْ أَنَسٍ نَحْوُهُ وَقَالَ : فَهٰذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ ، وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ قَالَ ﷺ : يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ أَوْ قَالَ فَيُلْهَمُونَ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهُ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ مَالَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُونَ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ ؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ زَادَ بَعْضُهُمْ أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا بَلَغَنَا أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ

وَلَا يَرْغَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، نَفْسِي نَفْسِي ، قَالَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ : وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَقَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ نَفْسِي نَفْسِي لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَإِنَّهُ عَبْدٌ آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ، قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَقَتْلَهُ النَّفْسَ ، نَفْسِي نَفْسِي وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَخِرُّ سَاجِدًا وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ يُلْهِمُنِيهَا اللَّهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَيُقَالُ

يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَٰلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ هَٰذَا الْفَصْلَ ، وَقَالَ مَكَانَهُ : ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ ، فَأَقُولُ يَارَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَقَالَ فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ قَالَ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ وَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ ، وَقَالَ فِيهِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَأَفْعَلُ ، وَذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ فَيُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ ، فَأَقُولُ يَارَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ لَيْسَ ذَٰلِكَ إِلَيْكَ وَلَٰكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لَأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ قَالَ فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ فَأَقُولُ يَارَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ☆ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَحُذَيْفَةَ مِثْلُهُ قَالَ فَيَأْتُونَ

مُحَمَّدًا فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتَأْتِي الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتَي الصِّرَاطِ ، وَذَكَرَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَشْفَعُ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ أَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ ثُمَّ كَالرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ وَنَبِيُّكُمْ ﷺ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى يَجْتَازَ النَّاسُ وَذَكَرَ آخِرَهُمْ جَوَازًا الْحَدِيثَ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ : « يُوضَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَبْقَى مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مُنْتَصِبًا ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ فَأَقُولُ يَارَبِّ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ فَيُدْعَى بِهِمْ فَيُحَاسَبُونَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى أَنَّ خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ » وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادٍ النُّمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَمَعِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَخْرَ فَآتِي فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ مَنْ هٰذَا ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا » وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ ، وَمِنْ

رِوَايَةِ أُنَيْسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَأَشْفَعَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكْثَرَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَجَرٍ وَشَجَرٍ » فَقَدِ اجْتَمَعَ مِنَ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ هٰذِهِ الْآثَارِ أَنَّ شَفَاعَتَهُ ﷺ وَمَقَامَهُ الْمَحْمُودَ مِنْ أَوَّلِ الشَّفَاعَاتِ إِلَى آخِرِهَا مِنْ حِينِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِلْحَشْرِ وَتَضِيقُ بِهِمُ الْحَنَاجِرُ وَيَبْلُغُ مِنْهُمُ الْعَرَقُ وَالشَّمْسُ وَالْوُقُوفُ مَبْلَغَهُ وَذٰلِكَ قَبْلَ الْحِسَابِ ، فَيَشْفَعُ حِينَئِذٍ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ ، ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ وَيُحَاسَبُ النَّاسُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ وَهٰذَا الْحَدِيثُ أَتْقَنُ فَيَشْفَعُ فِي تَعْجِيلِ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ . ثُمَّ يَشْفَعُ فِيمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَدَخَلَ النَّارَ مِنْهُمْ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ ، ثُمَّ فِيمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَيْسَ هٰذَا لِسِوَاهُ ﷺ ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمُنْتَشِرِ الصَّحِيحِ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَعْنَاهُ دَعْوَةٌ أُعْلِمَ أَنَّهَا تُسْتَجَابُ لَهُمْ وَيُبْلَغُ فِيهَا مَرْغُوبُهُمْ ، وَإِلَّا فَكَمْ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْهُمْ مِنْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ وَلِنَبِيِّنَا ﷺ مِنْهَا مَا لَا يُعَدُّ ، لٰكِنْ حَالُهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِهَا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ وَضُمِنَتْ لَهُمْ إِجَابَةُ دَعْوَةٍ فِيمَا شَاؤُهُ يَدْعُونَ بِهَا عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْإِجَابَةِ . وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ وَأَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ : لِكُلِّ

نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَنَحْوُهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ أَنَسٍ مِثْلُ رِوَايَةِ ابْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمَذْكُورَةُ مَخْصُوصَةً بِالْأُمَّةِ مَضْمُونَةَ الْإِجَابَةِ وَإِلَّا فَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ لِأُمَّتِهِ أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أُعْطِيَ بَعْضَهَا وَمُنِعَ بَعْضَهَا وَادَّخَرَ لَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ وَخَاتِمَةِ الْمِحَنِ وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ، جَزَاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا.

فصل في تفضيله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ

في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ وَالْفَقِيهُ أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِمَا قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ حَدَّثَنَا النَّمَرِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ التَّمَّارُ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ وَحَيْوَةَ وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

« إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وفى حديث آخر عن أبى هريرة : الوسيلة أعلى درجة فى الجنة . وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا أسير فى الجنة إذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ ، قلت لجبريل ما هذا ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكا » وعن عائشة وعبد الله ابن عمرو مثله قال : ومجراه على الدر والياقوت ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج . وفى رواية عنه : فإذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتى ، وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا قال : الكوثر الخير الذى أعطاه الله إياه . وقال سعيد بن جبير : والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله . وعن حذيفة فيما ذكر ﷺ عن ربه : وأعطانى الكوثر نهرًا من الجنة يسيل فى حوضى . وعن ابن عباس فى قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، قال : ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن . وفى رواية أخرى وفيه ما ينبغى من الأزواج والخدم .

(فَصْلٌ) فإنْ قُلْتَ إذا تقرَّرَ مِنْ دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ الأَثَرِ وَإجْمَاعِ الأُمَّةِ كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْبَشرِ وأَفْضَلَ الأَنبياءِ فَمَا مَعْنَى الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ كَقَوْلِهِ فيما حَدَّثَنَاهُ الأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا السَّمَرْقَنْدِيُّ حَدَّثَنَا الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مُثَنًّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ حَدَّثَنِي ابنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى وَفِي غَيْرِ هٰذَا الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ يَعْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ الْحَدِيث. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْيَهُودِيِّ الَّذِي قَالَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَقَالَ تَقُولُ ذٰلِكَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ابنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ. وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى، وَفِي حَدِيثِهِ الآخَرِ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ. فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هٰذِهِ الأَحَادِيثِ تأْوِيلاتٍ:

(أَحدُهَا) أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كانَ قَبْلَ أَنْ يعلمَ أَنَّهُ سيِّدُ وَلَدِ آدمَ فَنَهَى عَنِ التَّفْضِيلِ إِذْ يحْتَاجُ إِلَى توْقِيفٍ ، وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلاَ عِلْمٍ فقدْ كَذَبَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لاَ أَقُولُ إِنَّ أَحدًا أَفْضَلُ مِنْهُ لاَ يقْتَضِي تفْضِيلَهِ هُوَ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفٌّ عَنِ التَّفْضِيلِ . (الْوَجْهُ الثَّانِي) أَنَّهُ قَالَهُ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ التَّكَبُّرِ وَالْعُجْبِ وَهَذَا لاَ يَسْلَمُ مِنَ الاِعْتِرَاضِ . (الْوَجْهُ الثَّالِثُ) أَلاَّ يُفَضِّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلاً يُؤَدِّي إِلَى تَنَقُّصِ بَعْضِهِمْ أَوِ الْغَضِّ مِنْهُ لاَ سِيَّمَا فِي جهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، إِذْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ لِئَلاَّ يقَعَ فِي نَفْسِ مَنْ لاَ يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةٌ وَانْحِطَاطٌ مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ إِذْ قَالَ تَعالَى عَنْهُ : إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ، إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَتُهُ بِذَلِكَ . (الْوَجْهُ الرَّابِعُ) مَنْعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ فِيهَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لاَ يَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيادَةِ الأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ وَالأَلْطَافِ . وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلاَ تَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أُولُو عَزْمٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَأُوتِيَ

بَعْضَهُمُ الزَّبُورَ ، وَبَعْضَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ الآيَةَ . وَقَالَ : تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ الآيَةَ . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَبْهَرَ وَأَشْهَرَ ، أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ ، أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَةٍ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحَفِ وِلَايَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ لِلنُّبُوَّةِ أَثْقَالًا وَإِنَّ يُونُسَ تَفَسَّخَ مِنْهَا تَفَسُّخَ الرُّبَعِ » فَحَفِظَ ﷺ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ مِنْ أَوْهَامِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا جَرْحٌ فِي نُبُوَّتِهِ أَوْ قَدْحٌ فِي اصْطِفَائِهِ وَحَطٌّ فِي رُتْبَتِهِ وَوَهْنٌ فِي عِصْمَتِهِ شَفَقَةً مِنْهُ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ وَجْهٌ خَامِسٌ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَنَا رَاجِعًا إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ أَيْ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ مَا بَلَغَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ لِأَجْلِ مَا حَكَى اللهُ عَنْهُ ، فَإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى وَأَنَّ تِلْكَ الْأَقْدَارَ لَمْ تَحُطُّهُ عَنْهَا حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَلَا أَدْنَى ، وَسَنَزِيدُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي هَذَا بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَقَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ

وَسَقَطَ بِمَا حَرَّرْنَاهُ شُبْهَةُ الْمُعْتَرِضِ ، وَ بِاللهِ التَّوْفِيقُ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ.

(فصل فى أسمائه ﷺ وماتضمنته من فضيلته)

حَدَّثنَا أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بنُ أَبِي تَلِيدٍ الْفَقِيهُ قَالَ حَدَّثنَا أَبُو عُمَرَ الْحَافِظُ حَدَّثنَا سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ حَدثنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ حَدَّثنَا يَحْيَي حَدَّثنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ ابنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ ، وَأَنا الْعَاقِبُ » وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعالَى فِى كِتَابِهِ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ فَمِنْ خَصَائِصِهِ تَعالَى لَهُ أَنْ ضَمَّنَ أَسْمَاءَهُ ثَنَاءَهُ فَطَوَى أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبَالَغَةً مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبَالَغَةً مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ فهو ﷺ أَجَلُّ مَنْ حَمِدَ وَأَفْضَلُ مَنْ حُمِدَ وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا فهو أَحْمَدُ الْمَحْمُودِينَ وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ وَمَعَهُ لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ كَمَا قَالَ ﷺ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ ، وَسَمَّى أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَّادِينَ

فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ، ثُمَّ فِي هٰذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ ، فَنٌّ آخَرُ : هُوَ أَنَّ اللّٰهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَمَنَعَ اللّٰهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ ، حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ ، وَكَذٰلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ ﷺ وَمِيلَادِهِ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذٰلِكَ ، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، وَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ الْأَوْسِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَرَّاءٍ الْبَكْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ الْجُعْفِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ السُّلَمِيُّ لَا سَابِعَ لَهُمْ ، وَيُقَالُ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ مُحَمَّدًا مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ وَالْيَمَنُ تَقُولُ بَلْ مُحَمَّدُ بْنُ الْيُحْمِدِ مِنَ الْأَزْدِ ثُمَّ حَمَى اللّٰهُ كُلَّ مَنْ تُسَمَّى بِهِ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيهَا أَحَدٌ لَهُ أَوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَبٌ يُشَكِّكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ حَتَّى تَحَقَّقَتِ السِّمَتَانِ لَهُ ﷺ ، وَلَمْ يُنَازَعْ فِيهِمَا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللّٰهُ بِيَ الْكُفْرَ ، فَفُسِّرَ فِي الْحَدِيثِ ، وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ إِمَّا مِنْ مَكَّةَ وَبِلَادِ

الْعَرَبِ وَمَا زُوِىَ لَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَوُعِدَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ ، أَوْ يَكُونُ الْمَحْوُ عَامًّا بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالْغَلَبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى . « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الَّذِي مُحِيَتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنِ اتَّبَعَهُ ، وَقَوْلُهُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي أَيْ عَلَى زَمَانِي ، وَعَهْدِي أَيْ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ كَمَا قَالَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَسُمِّيَ عَاقِبًا لِأَنَّهُ عَقَبَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ وَقِيلَ مَعْنَى عَلَى قَدَمِي أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ بِمُشَاهَدَتِي كَمَا قَالَ تَعَالَى : « لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » وَقِيلَ عَلَى قَدَمِي عَلَى سَابِقَتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى : « أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » ، وَقِيلَ عَلَى قَدَمِي أَيْ قُدَّامِي وَحَوْلِي أَيْ يَجْتَمِعُونَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ قَدَمِي عَلَى سُنَّتِي ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ قِيلَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَعِنْدَ أُولِي الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ : لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ وَذَكَرَ مِنْهَا طه وَيس حَكَاهُ مَكِّيٌّ ، وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ تَفَاسِيرِ : طه إِنَّهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي ، وَفِي يس يَا سَيِّدُ ، حَكَاهُ السُّلَمِيُّ عَنِ الْوَاسِطِيِّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ فَذَكَرَ الْخَمْسَةَ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ ، قَالَ : وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ

وَرَسُولُ الرَّاحَةِ وَرَسُولُ الْمَلَاحِمِ ، وَأَنَا الْمُقَفِّى قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ ، وَأَنَا قَيِّمٌ وَالْقَيِّمُ الْجَامِعُ الْكَامِلُ كَذَا وَجَدْتُهُ وَلَمْ أَرْوِهِ ، وَأُرَى أَنَّ صَوَابَهُ قُثَمٌ بِالثَّاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَعْدُ عَنِ الْحَرْبِيِّ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالتَّفْسِيرِ ، وَقَدْ وَقَعَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ فَقَدْ يَكُونُ الْقَيِّمُ بِمَعْنَاهُ . وَرَوَى النَّقَّاشُ عَنْهُ ﷺ : لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءٍ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَيس وَطَه وَالْمُدَّثِّرُ وَالْمُزَّمِّلُ وَعَبْدُ اللهِ . وَفِي حَدِيثٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هِيَ سِتٌّ : مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَخَاتَمٌ وَعَاقِبٌ وَحَاشِرٌ وَمَاحٍ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ : أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَيَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ، وَيُرْوَى الْمَرْحَمَةِ وَالرَّاحَةِ وَكُلٌّ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَمَعْنَى الْمُقَفِّى مَعْنَى الْعَاقِبِ ، وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْمَرْحَمَةِ وَالرَّاحَةِ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَقَدْ قَالَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ إِنَّهَا أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ : وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أَيْ يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَبَعَثَهُ ﷺ رَبُّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ وَرَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ وَرَحِيمًا بِهِمْ وَمُتَرَحِّمًا وَمُسْتَغْفِرًا لَهُمْ وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرْحُومَةً وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَأَمَرَهَا ﷺ بِالتَّرَاحُمِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ . وَقَالَ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وَأَمَّا رِوَايَةُ نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ فَإِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ ﷺ وَهِيَ صَحِيحَةٌ . وَرَوَى حُذَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى وَفِيهِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ . وَرَوَى الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي أَنْتَ قُثَمُ أَيْ مُجْتَمِعٌ ، قَالَ وَالْقُثُومُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ وَهٰذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ مَعْلُومٌ ، وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ ﷺ وَسِمَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ : كَالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ وَالْمُنْذِرِ وَالنَّذِيرِ الْمُبَشِّرِ وَالْبَشِيرِ وَالشَّاهِدِ وَالشَّهِيدِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالرَّؤُفِ الرَّحِيمِ وَالْأَمِينِ وَقَدَمِ الصِّدْقِ وَرَحْمَةٍ لِلْعَالَمِينَ وَنِعْمَةِ اللهِ وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ وَالْكَرِيمِ وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَدَاعِيَ اللهِ فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ وَجَرَى مِنْهَا فِي كُتُبِ اللهِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَكُتُبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ وَإِطْلَاقِ الْأُمَّةِ جُمْلَةٌ شَافِيَةٌ كَتَسْمِيَتِهِ بِالْمُصْطَفَى وَالْمُجْتَبَى وَأَبِي الْقَاسِمِ وَالْحَبِيبِ وَرَسُولِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ وَالشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ وَالْمُتَّقِي وَالْمُصْلِحِ وَالطَّاهِرِ وَالْمُهَيْمِنِ وَالصَّادِقِ وَالْمَصْدُوقِ وَالْهَادِي وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَحَبِيبِ اللّٰهِ وَخَلِيلِ الرَّحْمَانِ وَصَاحِبِ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَصَاحِبِ التَّاجِ وَالْمِعْرَاجِ وَاللِّوَاءِ وَالْقَضِيبِ وَرَاكِبِ الْبُرَاقِ وَالنَّاقَةِ وَالنَّجِيبِ وَصَاحِبِ الْحُجَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْخَاتَمِ وَالْعَلَامَةِ وَالْبُرْهَانِ وَصَاحِبِ الْهِرَاوَةِ وَالنَّعْلَيْنِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ : الْمُتَوَكِّلُ وَالْمُخْتَارُ وَمُقِيمُ السُّنَّةِ وَالْمُقَدَّسُ وَرُوحُ الْحَقِّ وهُوَ مَعْنَى الْبَارَقْلِيطِ فِي الْإِنْجِيلِ ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ الْبَارَقْلِيطُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ : مَاذْ مَاذْ وَمَعْنَاهُ طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَحِمْطَايَا وَالْخَاتِمُ وَالْخَاتَمُ حَكَاهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَقَالَ ثَعْلَبٌ فَالْخَاتِمُ الَّذِي خَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْخَاتَمُ أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وَخُلُقًا وَيُسَمَّى بِالسُّرْيَانِيَّةِ مُشَفَّحٌ وَالْمُنْحَمِنَّا وَاسْمُهُ أَيْضًا فِي التَّوْرَاةِ أَحْيَدُ رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ وَمَعْنَى صَاحِبِ الْقَضِيبِ أَيْ السَّيْفِ وَقَعَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي الْإِنْجِيلِ قَالَ مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ ، وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ الْقَضِيبُ الْمَمْشُوقُ الَّذِي كَانَ يُمْسِكُهُ ﷺ وَهُوَ الْآنَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، وَأَمَّا الْهِرَاوَةُ الَّتِي

وُصِفَ بِهَا فَهِيَ فِي اللُّغَةِ الْعَصَا ، وَأَرَاهَا وَاللهُ أَعْلَمُ الْعَصَا الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بِعَصَاىَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَمَّا التَّاجُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةَ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَالْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ وَأَوْصَافُهُ وَأَلْقَابُهُ وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا مَقْنَعٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبَا الْقَاسِمِ . وَرُوِىَ عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ .

فصل فى تشريف الله تعالى له

بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلَى

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى مَا أَحْرَى هٰذَا الْفَصْلَ بِفُصُولِ الْبَابِ الْأَوَّلِ لِانْخِرَاطِهِ فِي سِلْكِ مَضْمُونِهَا وَامْتِزَاجِهِ بِعَذْبِ مَعِينِهَا لٰكِنْ لَمْ يَشْرَحِ اللهُ الصَّدْرَ لِلْهِدَايَةِ إِلَى اسْتِنْبَاطِهِ وَلَا أَنَارَ الْفِكْرَ لِاسْتِخْرَاجِ جَوْهَرِهِ وَالْتِقَاطِهِ إِلَّا عِنْدَ الْخَوْضِ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَهُ فَرَأَيْنَا أَنْ نُضِيفَهُ إِلَيْهِ وَنَجْمَعَ بِهِ شَمْلَهُ ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَرَامَةٍ خَلَعَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْمَائِهِ كَتَسْمِيَةِ إِسْحٰقَ وَإِسْمَاعِيلَ بِعَلِيمٍ وَحَلِيمٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ بِحَلِيمٍ وَنُوحٍ بِشَكُورٍ ، وَعِيسَى وَيَحْيَى بِبَرٍّ وَمُوسَى بِكَرِيمٍ وَقَوِيٍّ وَيُوسُفَ بِحَفِيظٍ عَلِيمٍ وَأَيُّوبَ بِصَابِرٍ

وَإِسْمَاعِيلَ بِصَادِقِ الْوَعْدِ ، كَمَا نَطَقَ بِذَٰلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنْ مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ حَلَّاهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ بِعِدَّةٍ كَثِيرَةٍ اجْتَمَعَ لَنَا مِنْهَا جُمْلَةٌ بَعْدَ إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَإِحْضَارِ الذِّكْرِ إِذْ لَمْ نَجِدْ مَنْ جَمَعَ مِنْهَا فَوْقَ اسْمَيْنِ وَلَا مَنْ تَفَرَّغَ فِيهَا لِتَأْلِيفِ فَصْلَيْنِ وَحَرَّرْنَا مِنْهَا فِي هٰذَا الْفَصْلِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ اسْمًا ، وَلَعَلَّ تَعَالَى كَمَا أَلْهَمَ إِلَى مَا عَلَّمَ مِنْهَا وَحَقَّقَهُ يُتِمُّ النِّعْمَةَ بِإِبَانَةِ مَا لَمْ يُظْهِرْهُ لَنَا الْآنَ وَيَفْتَحُ غَلَقَهُ . فَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحَمِيدُ وَمَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ وَحَمِدَهُ عِبَادُهُ ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى الْحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ فَمُحَمَّدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ ، وَكَذَا وَقَعَ اسْمُهُ فِي زُبُرِ دَاوُدَ ، وَأَحْمَدُ بِمَعْنَى أَكْبَرُ مَنْ حَمِدَ وَأَجَلُّ مَنْ حُمِدَ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ هٰذَا حَسَّانُ بِقَوْلِهِ :

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ۞ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الرَّؤُفُ الرَّحِيمُ وَهُمَا بِمَعْنًى مُتَقَارِبٍ ، وَسَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ : بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحَقُّ الْمُبِينُ وَمَعْنَى الْحَقُّ الْمَوْجُودُ وَالْمُتَحَقِّقُ أَمْرُهُ ، وَكَذٰلِكَ الْمُبِينُ أَيِ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَإِلٰهِيَّتُهُ بَانَ وَأَبَانَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْمُبَيِّنِ لِعِبَادِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ بِذٰلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : حَتَّى

جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ، وَقَالَ : وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ، وَقَالَ : قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَقَالَ : فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، قِيلَ مُحَمَّدٌ ، وَقِيلَ الْقُرْآنُ وَمَعْنَاهُ هُنَا ضِدُّ الْبَاطِلِ وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ ، وَالْمُبِينُ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ أَوِ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللهِ تَعَالَى مَا بَعَثَهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى النُّورُ وَمَعْنَاهُ ذُو النُّورِ أَيْ خَالِقُهُ أَوْ مُنَوِّرُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْأَنْوَارِ ، وَمُنَوِّرُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِدَايَةِ ، وَسَمَّاهُ نُورًا فَقَالَ : قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، قِيلَ مُحَمَّدٌ ، وَقِيلَ الْقُرْآنُ وَقَالَ فِيهِ : وَسِرَاجًا مُنِيرًا سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِوُضُوحِ أَمْرِهِ وَبَيَانِ نُبُوَّتِهِ وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الشَّهِيدُ ، وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ وَقِيلَ الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَعْنَاهُ شَهِيدًا وَشَاهِدًا فَقَالَ : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَقَالَ : وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْكَرِيمُ وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ وَقِيلَ الْمُفْضِلُ وَقِيلَ الْعَفُوُّ وَقِيلَ الْعَلِيُّ ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْأَكْرَمُ وَسَمَّاهُ تَعَالَى كَرِيمًا بِقَوْلِهِ : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ » ، وَمَعَانِي الْاسْمِ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّهِ ﷺ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى

الْعَظِيمُ وَمَعْنَاهُ الْجَلِيلُ الشَّانِ الَّذِى كُلُّ شَىْءٍ دُونَهُ ، وَقَالَ فِى النَّبِىِّ ﷺ : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ وَوَقَعَ فِى أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوْرَاةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَسَيَلِدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ فَهُوَ عَظِيمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْجَبَّارُ وَمَعْنَاهُ الْمُصْلِحُ وَقِيلَ الْقَاهِرُ وَقِيلَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ وَقِيلَ الْمُتَكَبِّرُ ، وَسُمِّىَ النَّبِىُّ ﷺ فِى كِتَابِ دَاوُدَ بِجَبَّارٍ فَقَالَ : تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ وَمَعْنَاهُ فِى حَقِّ النَّبِىِّ ﷺ إِمَّا لِإِصْلَاحِهِ الْأُمَّةَ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ أَوْ لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ أَوْ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ وَعَظِيمِ خَطَرِهِ وَنَفَى عَنْهُ تَعَالَى فِى الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكَبُّرِ الَّتِى لَا تَلِيقُ بِهِ فَقَالَ : وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْخَبِيرُ وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّىْءِ الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا . قَالَ الْقَاضِى بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ : الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِىِّ ﷺ وَالْمَسْئُولُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِىُّ ﷺ ، وَقَالَ غَيْرُهُ بَلِ السَّائِلُ النَّبِىُّ ﷺ وَالْمَسْئُولُ هُوَ اللهُ تَعَالَى فَالنَّبِىُّ خَبِيرٌ بِالْوَجْهَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ قِيلَ لِأَنَّهُ عَالِمٌ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ مُخْبِرٌ لِأُمَّتِهِ بِمَا أَذِنَ لَهُ فِى إِعْلَامِهِمْ بِهِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْفَتَّاحُ وَمَعْنَاهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ

وَالْمُنْغَلِقِ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى النَّاصِرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ، أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ النَّصْرُ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مُبْتَدِئُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ ، وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْفَاتِحِ فِى حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلِ مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا ، وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ : وَرَفَعَ لِى ذِكْرِى وَجَعَلَنِى فَاتِحًا وَخَاتِمًا فَيَكُونُ الْفَاتِحُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ أَوِ الْفَاتِحِ لِأَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عَلَى أُمَّتِهِ وَالْفَاتِحِ لِبَصَائِرِهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ أَوِ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ أَوِ الْمُبْتَدِئِ بِهِدَايَةِ الْأُمَّةِ أَوِ الْمُبْدِئِ الْمُقَدَّمِ فِى الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمِ لَهُمْ كَمَا قَالَ ﷺ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِى الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِى الْبَعْثِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِى الْحَدِيثِ الشَّكُورُ وَمَعْنَاهُ الْمُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ وَقِيلَ الْمُثْنِى عَلَى الْمُطِيعِينَ وَوَصَفَ بِذَٰلِكَ نَبِيَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِذَٰلِكَ فَقَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا أَىْ مُعْتَرِفًا بِنِعَمِ رَبِّى عَارِفًا بِقَدْرِ ذَٰلِكَ مُثْنِيًا عَلَيْهِ مُجْهِدًا نَفْسِى فِى الزِّيَادَةِ مِنْ ذَٰلِكَ لِقَوْلِهِ : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ

تَعَالَى الْعَلِيمُ وَالْعَلَّامُ وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَوَصَفَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعِلْمِ وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ مِنْهُ فَقَالَ : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً . وَقَالَ : « وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ » . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَقَالَ ﷺ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ، وَفُسِّرَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ، فَقَدَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوٍ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ ، وَقَوْلُهُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُ الرُّسُلِ ﷺ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقَوِيُّ وَذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ وَمَعْنَاهُ الْقَادِرُ ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ : « ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ » قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا اسْمُهُ ﷺ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى وَمَعْنَاهُمَا النَّاصِرُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَقَالَ ﷺ : أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : النَّبِيُّ أَوْلَى

بالمؤمنين ، وقال ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه . ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح ، وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة وأمره بالعفو ، فقال : خذ العفو ، وقال : فاعف عنهم واصفح . وقال له جبريل وقد سأله عن قوله : خذ العفو ، قال أن تعفو عمن ظلمك ، وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح . ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى : والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وأصل الجميع من الميل وقيل من التقديم . وقيل في تفسير طه إنه يا طاهر يا هادي يعني النبي ﷺ ، وقال تعالى له : وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . وقال فيه : وداعيا إلى الله بإذنه ، فالله تعالى مختص بالمعنى الأول قال الله تعالى : إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى . ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن قيل هما بمعنى واحد ، فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه ، وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة

مِنْ عَذَابِهِ ، وَقِيلَ الْمُهَيْمِنُ بِمَعْنَى الْأَمِينِ مُصَغَّرٌ مِنْهُ فَقُلِبَتِ الهمزَةُ هَاءً ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ آمِينَ إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعالى وَمَعناهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ ، وَقِيلَ الْمُهَيْمِنُ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ وَالحَافِظِ وَالنَّبِيُّ ﷺ أَمِينٌ وَمُهَيْمِنٌ وَمُؤْمِنٌ ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعَالى أَمِينًا فَقَالَ : مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ، وَكانَ ﷺ يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ فِي شِعْرِهِ مُهَيْمِنًا فِي قَوْلِهِ .

ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

قِيلَ الْمُرَادُ يَا أَيُّهَا الْمُهَيْمِنُ قَالَهُ الْقُتَيْبِيُّ وَالْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، وَقَالَ تَعَالَى : يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَيْ يُصَدِّقُ وَقَالَ ﷺ : أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَهَذَا بِمَعْنَى الْمُؤْمِنِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقُدُّوسُ وَمَعْنَاهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ الْمُطَهَّرُ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَسُمِّيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ لِأَنَّهُ يُتَطَهَّرُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَمِنْهُ الْوَادِي الْمُقَدَّسُ وَرُوحُ الْقُدُسِ وَوَقَعَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ الْمُقَدَّسُ أَيِ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : لِيَغْفِرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، أَوِ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُتَنَزَّهُ بِاتِّبَاعِهِ عَنْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : وَيُزَكِّيهِمْ ، وَقَالَ : وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، أَوْ يَكُونُ مُقَدَّسًا بِمَعْنَى مُطَهَّرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ

وَالْأَوْصَافِ الدَّنِيئَةِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَزِيزُ وَمَعْنَاهُ الْمُمْتَنِعُ الْغَالِبُ أَوِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ أَوِ الْمُعِزُّ لِغَيْرِهِ ، قَالَ تَعَالَى : وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ أَيِ الامْتِنَاعُ وَجَلَالَةُ الْقَدْرِ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ فَقَالَ : يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ، وَبِكَلِمَةٍ مِنْهُ ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَبَشِيرًا أَيْ مُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ . وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ طه وَيس ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمَا مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ .

(فَصْلٌ) قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَا أَنَا أَذْكُرُ نُكْتَةً أُذَيِّلُ بِهَا هٰذَا الْفَصْلَ وَأَخْتِمُ بِهَا هٰذَا الْقِسْمَ وَأُزِيحُ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْ كُلِّ ضَعِيفِ الْوَهْمِ سَقِيمِ الْفَهْمِ : تُخَلِّصُهُ مِنْ مَهَاوِي التَّشْبِيهِ وَتُزَحْزِحُهُ عَنْ شُبَهِ التَّمْوِيهِ ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَمَلَكُوتِهِ وَحُسْنَى أَسْمَائِهِ وَعَلِيِّ صِفَاتِهِ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَا يُشَبَّهُ بِهِ ، وَأَنَّ مَا جَاءَ مِمَّا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابُهَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ ، إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيمِ بِخِلَافِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتِ كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، إِذْ صِفَاتُهُمْ لَا تَنْفَكُّ

عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، وَكَفَى فِي هَـذَا قَوْلُهُ : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » . وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ : التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرُ مُشْبِهَةٍ لِلذَّوَاتِ وَلَا مُعَطَّلَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ ، وَزَادَهَذِهِ النُّكْتَةَ الْوَاسِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَانًا وَهِيَ مَقْصُودُنَا فَقَالَ : لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ وَلَا كَاسْمِهِ اسْمٌ وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظَ ، وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ كَمَا اسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحْدَثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلَهُ هَذَا لِيَزِيدَهُ بَيَانًافَقَالَ : هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَكَيْفَ تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمُحْدَثَاتِ وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَغْنِيَةٌ ، وَكَيْفَ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الْخَلْقِ وَهُوَ لِغَيْرِ جَلْبِ إِنْسٍ أَوْدَفْعِ نَقْصٍ حَصَلَ ، وَلَا بِخَوَاطِرَ وَأَغْرَاضٍ وُجِدَ ، وَلَا بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ ظَهَرَ ، وَفِعْلُ الْخَلْقِ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ . قَالَ آخَرُ مِنْ مَشَايِخِنَا : مَاتَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ أَوْأَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُحْدَثٌ مِثْلُكُمْ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ : مَنِ اطْمَأَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ ، وَمَنِ

أَطْمَأَنَّ إِلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ، وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اُعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَشْيَاءِ بِلاَ عِلاَجٍ وَصُنْعَهُ لَهَا بِلاَمِزَاجٍ ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلاَ عِلَّةَ لِصُنْعِهِ ، وَمَاتُصُوِّرَ فِي وَهْمِكَ فَاللهُ بِخِلاَفِهِ ، وَهَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ نَفِيسٌ مُحَقِّقٌ ، وَالْفَصْلُ الْآخِرُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَالثَّانِي تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ : لاَيُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . وَالثَّالِثُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ : إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . ثَبَّتَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ وَالتَّنْزِيهِ . وَجَنَّبَنَا طَرَفَيِ الضَّلاَلَةِ وَالْغَوَايَةِ مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ .

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ حَسْبُ الْمُتَأَمِّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنَّ كِتَابَنَا هٰذَا لَمْ نَجْمَعْهُ لِمُنْكِرِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ ، وَلَا لِطَاعِنٍ فِي مُعْجِزَاتِهِ فَنَحْتَاجَ إِلَى نَصْبِ الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا وَتَحْصِينِ حَوْزَتِهَا ، حَتَّى لاَيَتَوَصَّلَ الْمُطَاعِنُ إِلَيْهَا وَنَذْكُرَ شُرُوطَ الْمُعْجِزِ وَالتَّحَدِّيَ وَحْدَهُ ، وَفَسَادِ قَوْلِ

مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ وَرَدَّهُ ، بَلْ أَنَّا نَاهُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ الْمُلَبِّينَ لِدَعْوَتِهِ الْمُصَدِّقِينَ لِنُبُوَّتِهِ ، لِيَكُونَ تَأْكِيدًا فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ، وَمَنْمَاةً لِأَعْمَالِهِمْ ، وَلِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَنِيَّتُنَا أَنْ نُثْبِتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِهِ وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ ، لِتَدُلَّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَتَيْنَا بِهَا بِالْمُحَقَّقِ وَالصَّحِيحِ الْإِسْنَادِ ، وَأَكْثَرُهُ مِمَّا بَلَغَ الْقَطْعَ أَوْ كَادَ ، وَأَضَفْنَا إِلَيْهَا بَعْضَ مَا وَقَعَ فِي مَشَاهِيرِ كُتُبِ الْأَئِمَّةِ . وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ الْمُنْصِفُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ جَمِيلِ أَثَرِهِ وَحَمِيدِ سِيَرِهِ وَبَرَاعَةِ عِلْمِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحِلْمِهِ ، وَجُمْلَةِ كَمَالِهِ وَجَمِيعِ خِصَالِهِ ، وَشَاهِدِ حَالِهِ وَصَوَابِ مَقَالِهِ ، لَمْ يَمْتَرِ فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ دَعْوَتِهِ ، وَقَدْ كَفَى هَذَا غَيْرَ وَاحِدٍ فِي إِسْلَامِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ، فَرَوَيْنَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنُ قَانِعٍ وَغَيْرِهِمَا بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ جِئْتُهُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ * حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ عَنْ أَبِي يَعْلَى الْبَغْدَادِيِّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ التِّرْمِذِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ وَمُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ

الأَعْرَابِيِّ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ الْحَدِيثَ وَعَنْ أَبِي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِيَ ابْنٌ لِي فَأُرِيتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ هٰذَا نَبِيُّ اللهِ . وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَادًا لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ لَهُ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هٰؤُلَاءِ فَلَقَدْ بَلَغْنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ . وَقَالَ جَامِعُ ابْنُ شَدَّادٍ كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ ؟ قُلْنَا هٰذَا الْبَعِيرُ ، قَالَ بِكَمْ قُلْنَا بِكَذَا وَكَذَا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقُلْنَا بِعْنَا مِنْ رَجُلٍ لَا نَدْرِي مَنْ هُوَ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ ، فَقَالَتْ أَنَا ضَامِنَةٌ لِثَمَنِ الْبَعِيرِ رَأَيْتُ وَجْهَ رَجُلٍ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَخِيسُ بِكُمْ فَأَصْبَحْنَا فَجَاءَ رَجُلٌ بِتَمْرٍ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ هٰذَا التَّمْرِ وَتَكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا ، فَفَعَلْنَا . وَفِي خَبَرِ الْجُلُنْدَى مَلِكِ عُمَانَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ الْجُلُنْدَى : وَاللهِ لَقَدْ دَلَّنِي عَلَى هٰذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ

تَارِكٍ لَهُ ، وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلا يَبْطَرُ وَيُغْلَبُ فَلا يَضْجَرُ ، وَيَفِي بِالْعَهْدِ وَيُنْجِزُ الْمَوْعُودَ ، وَأَشْهَدُ أَنهُ نَبِيٌّ . وَقَالَ نَفْطَوَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعالى « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ » هٰذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ يَقُولُ يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتْلُ قُرْآنًا كَمَا قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

وَقَدْ آنَ أَنْ نَأْخُذَ فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَبَعْدَهُ فِي مُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ .

(فصل) اعْلَمْ أَنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْمَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَالْعِلْمِ بِذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ ابْتِدَاءً دُونَ وَاسِطَةٍ لَوْ شَاءَ كَمَا حُكِيَ عَنْ سُنَّتِهِ فِي بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا » وَجَائِزٌ أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِمْ جَمِيعَ ذٰلِكَ بِوَاسِطَةٍ تُبَلِّغُهُمْ كَلَامَهُ وَتَكُونُ تِلْكَ الْوَاسِطَةُ إِمَّا مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ كَالْمَلَائِكَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مِنْ جِنْسِهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْأُمَمِ وَلَا مَانِعَ لِهٰذَا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ ، وَإِذَا جَازَ هٰذَا وَلَمْ يَسْتَحِلْ وَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا دَلَّ عَلَى صِدْقِهِمْ مِنْ مُعْجِزَاتِهِمْ وَجَبَ تَصْدِيقُهُمْ فِي جَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ ، لِأَنَّ الْمُعْجِزَ مَعَ

التَّحدِّى مِنَ النَّبِىِّ ﷺ قَائِمٌ مَقَامَ قَوْلِ ٱللهِ صَدَقَ عَبْدِى فَأَطِيعُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ وَشَاهِدٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَقُولُهُ ، وَهَـذَا كَافٍ وَالتَّطْوِيلُ فِيهِ خَارِجٌ عَنِ الْغَرَضِ ، فَمَنْ أَرَادَ تَتَبُّعَهُ وَجَدَهُ مُسْتَوْفًى فِى مُصَنَّفَاتِ أَئِمَّتِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ . فَالنُّبُوَّةُ فِى لُغَةِ مَنْ هَمَزَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّبَإِ وَهُوَ ٱلْخَبَرُ ، وَقَدْ لاَ يُهْمَزُ عَلَى هٰذَا التَّأْوِيلِ تَسْهِيلًا . وَالْمَعْنَى أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى غَيْبِهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيُّهُ فَيَكُونُ نَبِيٌّ مُنَبَّأٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَوْ يَكُونُ مُخْبِرًا عَمَّا بَعَثَهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ ، وَمُنْبِئًا بِمَا أَطْلَعَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَيَكُونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمِزْهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَهُوَ مَا ٱرْتَفَعَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ رُتْبَةً شَرِيفَةً وَمَكَانَةً نَبِيهَةً عِنْدَ مَوْلَاهُ مُنِيفَةً فَالْوَصْفَانِ فِى حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ . وَأَمَّا الرَّسُولُ فَهُوَ الْمُرْسَلُ وَلَمْ يَأْتِ فَعُولٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ فِى ٱللُّغَةِ إِلَّا نَادِرًا وَإِرْسَالُهُ أَمْرُ اللهِ لَهُ بِالْإِبْلَاغِ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ وَٱشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّتَابُعِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ جَاءَ النَّاسُ أَرْسَالًا إِذَا تَبِعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَكَأَنَّهُ أُلْزِمَ تَكْرِيرَ التَّبْلِيغِ أَوْ أُلْزِمَتِ ٱلْأُمَّةُ ٱتِّبَاعَهُ ، وَٱخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ : هَلِ النَّبِىُّ وَالرَّسُولُ بِمَعْنًى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ ؟ فَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِنْبَاءِ وَهُوَ ٱلْإِعْلَامُ ، وَٱسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رَسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ . فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُمَا الْإِرْسَالَ مَعًا ، قَالَ وَلَا يَكُونُ النَّبِىُّ إِلَّا

رَسُولًا وَلاَ الرَّسُولُ إِلَّا نَبِيًّا ، وَقِيلَ هُمَا مُفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهٍ إِذْ قَدِ اجْتَمَعَا فِي النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ الِاطِّلَاعُ عَلَى الْغَيْبِ وَالْإِعْلَامُ بِخَوَاصِّ النُّبُوَّةِ أَوِ الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَحَوْزِ دَرَجَتِهَا وَافْتَرَقَا فِي زِيَادَةِ الرِّسَالَةِ لِلرَّسُولِ وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْإِنْذَارِ وَالْإِعْلَامِ كَمَا قُلْنَا وَحُجَّتُهُمْ مِنَ الْآيَةِ نَفْسِهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الِاسْمَيْنِ وَلَوْ كَانَا شَيْئًا وَاحِدًا لَمَا حَسُنَ تِكْرَارُهُمَا فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ ، قَالُوا وَالْمَعْنَى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ أَوْ نَبِيٍّ وَلَيْسَ بِمُرْسَلٍ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدَإٍ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ وَإِنْ أُمِرَ بِالْإِبْلَاغِ وَالْإِنْذَارِ ، وَالصَّحِيحُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَّاءُ الْغَفِيرُ : أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا ، وَأَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ ، وَذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْهُمْ ثَلَثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ أَوَّلُهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ بَانَ لَكَ مَعْنَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَلَيْسَتَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ذَاتًا لِلنَّبِيِّ وَلَا وَصْفَ ذَاتٍ خِلَافًا لِلْكَرَامِيَّةِ فِي تَطْوِيلٍ لَهُمْ وَتَهْوِيلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ تَعْوِيلٌ .

وَأَمَّا الْوَحْيُ فَأَصْلُهُ الْإِسْرَاعُ ، فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَلَقَّى مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ بِعَجَلٍ سُمِّيَ وَحْيًا ، وَسُمِّيَتْ أَنْوَاعُ الْإِلْهَامَاتِ وَحْيًا تَشْبِيهًا

بِالْوَحْيِ إِلى النَّبِيِّ ، وَسُمِّيَ الخطُّ وَحْيًا لِسُرْعَةِ حَرَكَةِ يَدِ كَاتِبِهِ ، وَوَحْيُ الْحَاجِبِ وَاللَّحْظِ سُرْعَةُ إِشَارَتِهِمَا ، وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، أَيْ أَوْمَأَ وَرَمَزَ ، وَقِيلَ كَتَبَ ، وَمِنهُ قَوْلُهُ ٱلْوَحَا ٱلْوَحَا أَيِ السُّرْعَةَ ، وَقِيلَ أَصْلُ الْوَحْيِ السِّرُّ وَالْإِخْفَاءُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْإِلْهَامُ وَحْيًا ، وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ ، أَيْ يُوَسْوِسُونَ فِي صُدُورِهِمْ . وَمِنهُ قَوْلُهُ : وَأَوْحَيْنَا إِلى أُمِّ مُوسَى ، أَيْ أَلْقِيَ فِي قَلْبِهَا ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ، أَيْ مَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِهِ دُونَ وَاسِطَةٍ .

(فَصْلٌ) إِعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى تَسْمِيَتِنَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مُعْجِزَةً هُوَ أَنَّ الخلقَ عَجَزُوا عَنِ ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا ، وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : ضَرْبٌ هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ فَعَجَزُوا عَنهُ فَتَعْجِيزُهُمْ عَنْهُ فِعْلٌ لِلَّهِ دَلَّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِ كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ ، وَتَعْجِيزِهِمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِمْ وَنَحْوِهِ . وَضَرْبٌ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَإِخْرَاجِ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ وَكَلَامِ شَجَرَةٍ وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْأَصَابِعِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَكُونُ

ذٰلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ تَعَالَى ، وَتَحَدِّيهِ مَنْ يُكَذِّبُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعْجِيزٌ لَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا ﷺ وَدَلَائِلَ نُبُوَّتِهِ وَبَرَاهِينَ صِدْقِهِ مِنْ هٰذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مَعًا وَهُوَ أَكْثَرُ الرُّسُلِ مُعْجِزَةً وَأَبْهَرُهُمْ آيَةً وَأَظْهَرُهُمْ بُرْهَانًا كَمَا سَنُبَيِّنُهُ وَهِيَ فِي كَثْرَتِهَا لَا يُحِيطُ بِهَا ضَبْطٌ ، فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْهَا وَهُوَ الْقُرْآنُ لَا يُحْصَى عَدَدُ مُعْجِزَاتِهِ بِأَلْفٍ وَلَا أَلْفَيْنِ وَلَا أَكْثَرَ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَحَدَّى بِسُورَةٍ مِنْهُ فَعُجِزَ عَنْهَا ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ : وَأَقْصَرُ السُّوَرِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَكُلُّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مِنْهُ بِعَدَدِهَا وَقَدْرِهَا مُعْجِزَةٌ ، ثُمَّ فِيهَا نَفْسِهَا مُعْجِزَاتٌ عَلَى مَا سَنُفَصِّلُهُ فِيمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، ثُمَّ مُعْجِزَاتُهُ ﷺ عَلَى قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ مِنْهَا عُلِمَ قَطْعًا وَنُقِلَ إِلَيْنَا مُتَوَاتِرًا كَالْقُرْآنِ فَلَا مِرْيَةَ وَلَا خِلَافَ بِمَجِيءِ النَّبِيِّ بِهِ وَظُهُورِهِ مِنْ قِبَلِهِ وَاسْتِدْلَالِهِ بِحُجَّتِهِ ، وَإِنْ أَنْكَرَ هٰذَا مُعَانِدٌ جَاحِدٌ فَهُوَ كَإِنْكَارِهِ وُجُودَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا جَاءَ اعْتِرَاضُ الْجَاحِدِينَ فِي الْحُجَّةِ بِهِ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ وَجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ مُعْجِزٍ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً وَوَجْهُ إِعْجَازِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَنَظَرًا كَمَا سَنَشْرَحُهُ. قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا وَيَجْرِي هٰذَا الْمَجْرَى عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّهُ قَدْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَاتٌ وَخَوَارِقُ

عَادَاتٍ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ وَاحِدٌ مِنْهَا مُعَيَّنًا الْقَطْعَ فَيَبْلُغُهَا جَمِيعُهَا فَلَا مِرْيَةَ فِي جَرَيَانِ مَعَانِيهَا عَلَى يَدَيْهِ وَلَا يَخْتَلِفُ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ أَنَّهُ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ عَجَائِبُ ، وَإِنَّمَا خِلَافُ الْمُعَانِدِ فِي كَوْنِهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَقَدْ قَدَّمْنَا كَوْنَهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَنَّ ذَٰلِكَ بِمَثَابَةِ قَوْلِهِ صَدَقْتَ فَقَدْ عُلِمَ وُقُوعُ مِثْلِ هَٰذَا أَيْضًا مِنْ نَبِيِّنَا ضَرُورَةً لِاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا ، كَمَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً جُودُ حَاتِمٍ وَشَجَاعَةُ عَنْتَرَةَ وَحِلْمُ أَحْنَفَ لِاتِّفَاقِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى كَرَمِ هَٰذَا وَشَجَاعَةِ هَٰذَا وَحِلْمِ هَٰذَا . وَإِنْ كَانَ كُلُّ خَبَرٍ بِنَفْسِهِ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ وَلَا يُقْطَعُ بِصِحَّتِهِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الضَّرُورَةِ وَالْقَطْعِ وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ : نَوْعٌ مُشْتَهِرٌ مُنْتَشِرٌ رَوَاهُ الْعَدَدُ وَشَاعَ الْخَبَرُ بِهِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَالرُّوَاةِ وَنَقَلَةِ السِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَنَوْعٌ مِنْهُ اخْتَصَّ بِهِ الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ وَلَمْ يَشْتَهِرْ اشْتِهَارَ غَيْرِهِ لَٰكِنَّهُ إِذَا جُمِعَ إِلَى مِثْلِهِ اتَّفَقَا فِي الْمَعْنَى وَاجْتَمَعَا عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْمُعْجِزِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ : وَأَنَا أَقُولُ صَدْعًا بِالْحَقِّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَٰذِهِ الْآيَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ ﷺ مَعْلُومَةٌ بِالْقَطْعِ أَمَّا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ فَالْقُرْآنُ نَصَّ بِوُقُوعِهِ وَأَخْبَرَ عَنْ وُجُودِهِ وَلَا يُعْدَلُ عَنْ ظَاهِرٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ وَجَاءَ بِرَفْعِ احْتِمَالِهِ صَحِيحُ الْأَخْبَارِ مِنْ

طُرُق كَثِيرَةٍ وَلَا يُوهِنُ عَزْمَنَا خِلَافُ أَخْرَقَ مُنْحَلِّ عُرَى الدِّينِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى سَخَافَةِ مُبْتَدِعٍ يُلْقِي الشَّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ نُرْغِمُ بِهٰذَا أَنفَهُ وَنَنْبِذُ بِالعَرَاءِ سُخْفَهُ. وَكَذٰلِكَ قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ رَوَاهَا الثِّقَاتُ وَالعَدَدُ الكَثِيرُ عَنِ الْجَمَّاءِ الْغَفِيرُ عَنِ العَدَدِ الكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَو مِنْهَا مَا رَوَاهُ الكَافَّةُ عَنِ الكَافَّةِ مُتَّصِلًا عَمَّنْ حَدَثَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ وَأَخْبَارِهِمْ أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ فِي مَوَاطِنِ اجْتِمَاعِ الكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطٍ وَعُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَغَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَمْثَالِهَا مِنْ مَحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ وَمَجْمَعِ العَسَاكِرِ وَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مُخَالَفَةٌ لِلرَّاوِي فِيمَا حَكَاهُ، وَلَا إِنكَارٌ عَمَّا ذُكِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُ رَأَوْهُ كَمَا رَوَاهُ، فَسُكُوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنُطْقِ النَّاطِقِ إِذْ هُمُ الْمُنَزَّهُونَ عَنِ السُّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ وَالْمُدَاهَنَةِ فِي كَذِبٍ وَلَيْسَ هُنَالِكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ تَمْنَعُهُمْ وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ لَأَنْكَرُوهُ كَمَا أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَشْيَاءَ رَوَاهَا مِنَ السُّنَنِ وَالسِّيَرِ وَحُرُوفِ القُرْآنِ وَخَطَّأَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَوَهَّمَهُ فِي ذٰلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ فَهٰذَا النَّوْعُ كُلُّهُ يُلْحَقُ بِالقَطْعِيِّ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ لِمَا بَيَّنَّاهُ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ أَمْثَالَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَبُنِيَتْ عَلَى بَاطِلٍ لَا بُدَّ

مَعَ مُرُورِ الْأَزْمَانِ وَتَدَاوُلِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْبَحْثِ مِنَ انْكِشَافِ ضَعْفِهَا وَخُمُولِ ذِكْرِهَا كَمَا يُشَاهَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَرَاجِيفِ الطَّارِئَةِ وَأَعْلَامُ نَبِيِّنَا ﷺ هٰذِهِ الْوَارِدَةِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ لَا تَزْدَادُ مَعَ مُرُورِ الزَّمَانِ إِلَّا ظُهُورًا وَمَعَ تَدَاوُلِ الْفِرَقِ وَكَثْرَةِ طَعْنِ الْعَدُوِّ وَحِرْصِهِ عَلَى تَوْهِينِهَا وَتَضْعِيفِ أَصْلِهَا وَإِجْهَادِ الْمُلْحِدِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهَا إِلَّا قُوَّةً وَقَبُولًا وَلَا لِلطَّاعِنِ عَلَيْهَا إِلَّا حَسْرَةً وَغَلِيلًا ، وَكَذٰلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ وَإِنْبَاؤُهُ بِمَا يَكُونُ وَكَانَ مَعْلُومٌ مِنْ آيَاتِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ بِالضَّرُورَةِ وَهٰذَا حَقٌّ لَا غِطَاءَ عَلَيْهِ .

وَقَدْ قَالَ بِهِ مِنْ أَئِمَّتِنَا الْقَاضِي وَالْأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا رَحِمَهُمُ اللّٰهُ : وَمَا عِنْدِي أَوْجَبَ قَوْلَ الْقَائِلِ إِنَّ هٰذِهِ الْقِصَصَ الْمَشْهُورَةَ مِنْ بَابِ خَبَرِ الْوَاحِدِ إِلَّا قِلَّةُ مُطَالَعَتِهِ لِلْأَخْبَارِ وَرِوَايَتِهَا وَشُغْلُهُ بِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْمَعَارِفِ وَإِلَّا فَمَنِ اعْتَنَى بِطُرُقِ النَّقْلِ وَطَالَعَ الْأَحَادِيثَ وَالسِّيَرَ لَمْ يَرْتَبْ فِي صِحَّةِ هٰذِهِ الْقِصَصِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَلَا يَحْصُلُ عِنْدَ آخَرَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ بِالْخَبَرِ كَوْنَ بَغْدَادَ مَوْجُودَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَارُ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَآحَادٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اسْمَهَا فَضْلًا عَنْ وَصْفِهَا . وَهٰكَذَا يَعْلَمُ الْفُقَهَاءُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ بِالضَّرُورَةِ وَتَوَاتُرِ النَّقْلِ عَنْهُ أَنَّ مَذْهَبَهُ إِيجَابُ قِرَاءَةِ

أُمِّ القُرْآنِ فى الصَّلاَةِ لِلْمُنْفَرِدِ وَالْإِمَامِ ، وَإِجْزَاءِ النِّيَّةِ فى أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ عَمَّا سِوَاهُ وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ يَرَى تَجْدِيدَ النِّيَّةِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَالاقْتِصَارَ فى المَسْحِ عَلَى بَعْضِ الرَّأْسِ ، وَأَنَّ مَذْهَبَهُمَا الْقِصَاصُ فى الْقَتْلِ بِالْمُحَدَّدِ وَغَيْرِهِ وَإِيجَابُ النِّيَّةِ فى الْوُضُوءِ وَاشْتِرَاطُ الْوَلِيِّ فى النِّكَاحِ وَأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ يُخَالِفُهُمَا فى هٰذِهِ المَسَائِلِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِمَذَاهِبِهِمْ وَلَا رَوَى أَقْوَالَهُمْ لَا يَعْرِفُ هٰذَا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ فَضْلًا عَمَّنْ سِوَاهُ وَعِنْدَ ذِكْرِنَا آحَادَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ نَزِيدُ الْكَلَامَ فِيهَا بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

فصل في إعجاز القرآن

إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّٰهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ كِتَابَ اللّٰهِ الْعَزِيزَ مُنْطَوٍ عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الْإِعْجَازِ كَثِيرَةٍ وَتَحْصِيلُهَا مِنْ جِهَةِ ضَبْطِ أَنْوَاعِهَا فى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ أَوَّلُهَا : حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالْتِئَامُ كَلِمِهِ وَفَصَاحَتُهُ وَوُجُوهُ إِيجَازِهِ وَبَلَاغَتُهُ الْخَارِقَةُ عَادَةَ الْعَرَبِ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هٰذَا الشَّأْنِ وَفُرْسَانَ الْكَلَامِ ، قَدْ خُصُّوا مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِكَمِ مَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَأُوتُوا مِنْ ذَرَابَةِ اللِّسَانِ مَا لَمْ يُؤْتَ إِنْسَانٌ وَمِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ مَا يُقَيِّدُ الْأَلْبَابَ ، جَعَلَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ طَبْعًا وَخِلْقَةً وَفِيهِمْ غَرِيزَةً وَقُوَّةً ، يَأْتُونَ مِنْهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ بِالْعَجَبِ وَيُدْلُونَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ ، فَيَخْطُبُونَ بَدِيهًا فى الْمَقَامَاتِ وَشَدِيدِ الْخَطْبِ وَيَرْتَجِزُونَ بِهِ بَيْنَ

الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ وَيَتَوَسَّلُونَ وَيَتَوَصَّلُونَ وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ ، فَيَأْتُونَ مِنْ ذٰلِكَ بِالسِّحْرِ الْحَلَالِ ، وَيُطَوِّقُونَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سُمْطِ اللآلِ ، فَيَخْدَعُونَ الأَلْبَابَ وَيُذَلِّلُونَ الصِّعَابَ ، وَيُذْهِبُونَ الإِحَنَ وَيُهَيِّجُونَ الدِّمَنَ ، وَيُجَرِّؤُنَ الْجَبَانَ وَيَبْسُطُونَ يَدَا الْجَعْدِ الْبَنَانِ ، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا وَيَتْرُكُونَ النَّبِيهَ خَامِلًا ، مِنْهُمْ الْبَدَوِيُّ ذُو اللَّفْظِ الْجَزْلِ ، وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ ، وَالْكَلَامِ الْفَخْمِ وَالطَّبْعِ الْجَوْهَرِيِّ وَالْمَنْزَعِ الْقَوِيِّ ، وَمِنْهُمُ الْحَضَرِيُّ ذُو الْبَلَاغَةِ الْبَارِعَةِ وَالأَلْفَاظِ النَّاصِعَةِ ، وَالْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ ، وَالطَّبْعِ السَّهْلِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْقَوْلِ الْقَلِيلِ الْكُلْفَةِ ، الْكَثِيرِ الرَّوْنَقِ ، الرَّقِيقِ الْحَاشِيَةِ ، وَكِلَا الْبَابَيْنِ فَلَهُمَا فِي الْبَلَاغَةِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ ، وَالْقِدْحُ الْفَالِجُ وَالْمَهِيعُ النَّاهِجُ ، لَا يَشُكُّونَ أَنَّ الْكَلَامَ طَوْعُ مُرَادِهِمْ وَالْبَلَاغَةَ مِلْكُ قِيَادِهِمْ ، قَدْ حَوَوْا فُنُونَهَا وَاسْتَنْبَطُوا عُيُونَهَا ، وَدَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَعَلَوْا صَرْحًا لِبُلُوغِ أَسْبَابِهَا ، فَقَالُوا فِي الْخَطِيرِ وَالْمَهِينِ ، وَتَفَنَّنُوا فِي الْغَثِّ وَالسَّمِينِ ، وَتَقَاوَلُوا فِي الْقُلِّ وَالْكُثْرِ ، وَتَسَاجَلُوا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا رَسُولٌ كَرِيمٌ بِكِتَابٍ عَزِيزٍ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ كَلِمَاتُهُ ، وَبَهَرَتْ

بلاغتُه العُقولَ وظَهرتْ فصاحتُه على كُلِّ مقولٍ، وتظافرَ إيجازُه وإعجازُه، وتظاهرتْ حقيقتُه ومجازُه، وتبارتْ في الحُسْنِ مطالِعُه ومقاطِعُه، وحوتْ كلَّ البيانِ جوامِعُه وبدائِعُه، واعتدلَ معَ إيجازِهِ حُسْنُ نظمِهِ وانطبقَ على كثرةِ فوائدِهِ مُختارُ لفظِهِ، وهُمْ أفسحُ ما كانُوا في هذا البابِ مجالًا، وأشهرُ في الخطابةِ رجالًا، وأكثرُ في السَّجْعِ والشِّعْرِ سِجالًا وأوْسعُ في الغريبِ واللُّغةِ مقالًا، بلُغتِهِمْ الَّتي بها يتحاورُونَ ومنازِعِهِمْ الَّتي عنْها يتناضلُونَ، صارخًا بهِمْ في كلِّ حينٍ ومُقرِّعًا لهُمْ بضْعًا وعشرينَ عامًا على رُؤُسِ الملإِ أجْمعينَ، «أَمْ يقولُونَ افْتَرَاهُ» «قُلْ فأْتُوا بسُورةٍ مثْلِهِ وادْعُوا مَنِ اسْتطعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» «وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نزَّلْنا على عبْدِنا فأْتُوا بسُورةٍ مِنْ مِثْلِهِ — إلى قوْلِهِ — ولنْ تفعلُوا» «وقُلْ لئنْ اجْتمعتِ الإنْسُ والجِنُّ على أنْ يأْتُوا بمثْلِ هذا القُرْآنِ» الآيةَ، «وقُلْ فأْتُوا بعشْرِ سُوَرٍ مثْلِهِ مُفْتَرياتٍ» وذلكَ أنَّ المُفْتَرَى أسْهلُ، ووضْعَ الباطِلِ والمُخْتلقِ على الاخْتيارِ أقْربُ، واللَّفظُ إذا تبِعَ المعْنى الصَّحيحَ كانَ أصْعبَ، ولهذا قيلَ: فلانٌ يكْتُبُ، كما يُقالُ لهُ، وفلانٌ يكْتُبُ كما يُريدُ، وللأوَّلِ على الثَّاني فضْلٌ، وبيْنهُما شأْوٌ بعيدٌ، فلمْ يزلْ يقرِّعُهُمْ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ أشدَّ التَّقريعِ، ويُوبِّخُهُمْ غايةَ التَّوْبيخِ

وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ وَيَحُطُّ أَعْلَامَهُمْ، وَيُشَتِّتُ نِظَامَهُمْ وَيَذُمُّ آلِهَتَهُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَيَسْتَبِيحُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهُمْ فِي كُلِّ هٰذَا نَاكِصُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، مُحْجِمُونَ عَنْ مُمَاثَلَتِهِ، يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّشْغِيبِ بِالتَّكْذِيبِ، وَالْإِغْرَاءِ بِالِافْتِرَاءِ، وَقَوْلِهِمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، وَسِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَإِفْكٌ افْتَرَاهُ، وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَالْمُبَاهَتَةِ وَالرِّضَى بِالدَّنِيئَةِ كَقَوْلِهِمْ: قُلُوبُنَا غُلْفٌ، وَفِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ، وَلَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ، وَالِادِّعَاءِ مَعَ الْعَجْزِ بِقَوْلِهِمْ: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا، وَقَدْ قَالَ لَهُمُ اللهُ: وَلَنْ تَفْعَلُوا. فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا، وَمَنْ تَعَاطَى ذٰلِكَ مِنْ سُخَفَائِهِمْ كَمُسَيْلِمَةَ كَشَفَ عُوَارَهُ لِجَمِيعِهِمْ، وَسَلَبَهُمُ اللهُ مَا أَلِفُوهُ مِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ، وَإِلَّا فَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الْمَيْزِ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَمَطِ فَصَاحَتِهِمْ وَلَا جِنْسِ بَلَاغَتِهِمْ، بَلْ وَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ وَأَتَوْا مُذْعِنِينَ، مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْتُونٍ، وَلِهٰذَا لَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» الْآيَةَ، قَالَ: وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ مَا يَقُولُ هٰذَا بَشَرٌ. وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ:

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » فَسَجَدَ وَقَالَ : سَجَدْتُ لِفَصَاحَتِهِ ، وَسَمِعَ آخَرُ رَجُلًا يَقْرَأُ : « فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا الْكَلَامِ .

وَحُكِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِقَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، فَاسْتَخْبَرَهُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ مِمَّنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا فَإِذَا قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ : « وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ » الْآيَةَ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ فَقَالَ لَهَا : قَاتَلَكِ اللّٰهُ مَا أَفْصَحَكِ ؟ فَقَالَتْ . أَوَيُعَدُّ هٰذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى : « وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ » الْآيَةَ ، فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ ، فَهٰذَا نَوْعٌ مِنْ إِعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ غَيْرُ مُضَافٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ ، وَكَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ أَتَى بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً ، وَكَوْنُهُ ﷺ مُتَحَدِّيًا بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً ، وَعَجْزُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً ، وَكَوْنُهُ فِي فَصَاحَتِهِ خَارِقًا لِلْعَادَةِ مَعْلُومٌ

ضَرُورَةً لِلْعَالَمِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَوُجُوهِ الْبَلَاغَـةِ ، وَسَبِيلُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عِلْمُ ذٰلِكَ بِعَجْزِ الْمُنْـكِرِينَ مِنْ أَهْلِهَا عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْمُقِرِّينَ بِإِعْجَازِ بَلَاغَتِهِ ، وَأَنتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَلَـكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » وَقَوْلَهُ : « وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَـكَانٍ قَرِيبٍ » وَقَوْلَهُ : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » وَقَوْلَهُ : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي » الآيَةَ ، وَقَوْلَهُ : « فَـكُلًّا أَخَذْنَاهُ بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا » الآيَةَ ، وَأَشْبَاهَهَا مِنَ الآيِ بَلْ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ حَقَّقْتَ مَا بَيَّنْتُهُ مِنْ إِيجَازِ أَلْفَاظِهَا وَكَثْرَةِ مَعَانِيهَا وَدِيبَاجَةِ عِبَارَتِهَا ، وَحُسْنِ تَأْلِيفِ حُرُوفِهَا وَتَلَاؤُمِ كَلِمِهَا ، وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمَلًا كَثِيرَةً وَفُصُولًا جَمَّةً وَعُلُومًا زَوَاخِرَ ، مُلِئَتِ الدَّوَاوِينُ مِنْ بَعْضِ مَا اسْتُفِيدَ مِنْهَا وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ عَنْهَا ، ثُمَّ هُوَ فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطِّوَالِ وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ الَّتِي يَضْعُفُ فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْـكَلَامُ وَيَذْهَبُ مَاءُ الْبَيَانِ آيَةٌ لِمُتَأَمِّلِهِ مِنْ رَبْطِ الْـكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، وَالْتِئَامِ سَرْدِهِ وَتَنَاصُفِ وُجُوهِهِ كَقِصَّةِ يُوسُفَ عَلَى طُولِهَا ، ثُمَّ إِذَا تَرَدَّدَتْ قِصَصُهُ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عَنْهَا عَلَى كَثْرَةِ تَرَدُّدِهَا حَتَّى تَـكَادُ كُلُّ وَاحِدَةٍ تُنَسِّي فِي الْبَيَانِ صَاحِبَتَهَا

وَتُنَاصِفُ فِي الْحُسْنِ وَجْهَ مُقَابَلَتِهَا ، وَلَا نُفُورَ لِلنُّفُوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا وَلَا مُعَادَاةَ لِمُعَادِهَا .

(فَصْلٌ) اَلْوَجْهُ الثَّانِي مِنْ إِعْجَازِهِ صُورَةُ نَظْمِهِ الْعَجِيبِ وَالْأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ الْمُخَالِفُ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَنَاهِجِ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ ، وَوَقَفَتْ مَقَاطِعُ آيِهِ ، وَانْتَهَتْ فَوَاصِلُ كَلِمَاتِهِ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوجَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ ، وَلَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مُمَاثَلَةَ شَيْءٍ مِنْهُ بَلْ حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ وَتَدَلَّهَتْ دُونَهُ أَحْلَامُهُمْ ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مِثْلِهِ فِي جِنْسِ كَلَامِهِمْ مِنْ نَثْرٍ أَوْ نَظْمٍ أَوْ سَجْعٍ أَوْ رَجَزٍ أَوْ شِعْرٍ ، وَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ ﷺ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَرَقَّ فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ مُنْكِرًا عَلَيْهِ قَالَ : وَاللهِ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هٰذَا . وَفِي خَبَرِهِ الْآخَرِ حِينَ جَمَعَ قُرَيْشًا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ : إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَرِدُ فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا لَا يُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَقَالُوا نَقُولُ كَاهِنٌ . قَالَ وَاللهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ ، مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ وَلَا سَجْعِهِ قَالُوا مَجْنُونٌ . قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَا بِخَنْقِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ ، قَالُوا فَنَقُولُ شَاعِرٌ . قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَبْسُوطَهُ وَمَقْبُوضَهُ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ ، قَالُوا فَنَقُولُ سَاحِرٌ : قَالَ

مَاهُوَ بِسَاحِرٍ وَلَا نَفْثِهِ وَلَا عَقْدِهِ ، قَالُوا فَمَا تَقُولُ ؟ قَالَ مَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هٰذَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ أَنَّهُ سَاحِرٌ ، فَإِنَّهُ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ وَالْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَالْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَالْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَتَفَرَّقُوا وَجَلَسُوا عَلَى السُّبُلِ يُحَذِّرُونَ النَّاسَ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى فِى الْوَلِيدِ : « ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا » الآيَاتِ .

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ سَمِعَ الْقُرْآنَ يَاقَوْمِ : قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّى لَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَقَرَأْتُهُ وَقُلْتُهُ ، وَاللّٰهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللّٰهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، مَاهُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا بِالسِّحْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ . وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ نَحْوَهُ ، وَفِى حَدِيثِ إِسْلَامِ أَبِى ذَرٍّ وَوَصَفَ أَخَاهُ أُنَيْسًا فَقَالَ : وَاللّٰهِ مَا سَمِعْتُ بِأَشْعَرَ مِنْ أَخِى أُنَيْسٍ ، لَقَدْ نَاقَضَ اثْنَىْ عَشَرَ شَاعِرًا فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَنَا أَحَدُهُمْ ، وَأَنَّهُ انْطَلَقَ إِلَى مَكَّةَ وَجَاءَ إِلَى أَبِى ذَرٍّ بِخَبَرِ النَّبِىِّ ﷺ ، قُلْتُ فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ ، لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ وَلَقَدْ وَضَعْتُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ فَلَمْ يَلْتَئِمْ وَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِى أَنَّهُ شِعْرٌ وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

وَالْأَخْبَارُ فِى هٰذَا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ وَالْإِعْجَازُ بِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ النَّوْعَيْنِ الْإِيجَازُ وَالْبَلَاغَةُ بِذَاتِهَا وَالْأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ بِذَاتِهِ ، كُلٌّ

وَاحِدٍ مِنهَا نَوْعُ إِعْجَازٍ عَلَى التَّحْقِيقِ لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِوَاحِدٍ مِنهُمَا إِذْ كُلٌّ وَاحِدٍ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهَا مُبَايِنٌ لِفَصَاحَتِهَا وَكَلَامِهَا ، وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ إِلَى أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي مَجْمُوعِ الْبَلَاغَةِ وَالْأُسْلُوبِ وَأَتَى عَلَى ذٰلِكَ بِقَوْلٍ تَمُجُّهُ الْأَسْمَاعُ وَتَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ ، وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ وَالْعِلْمُ بِهٰذَا كُلِّهِ ضَرُورَةً وَقَطْعًا ، وَمَنْ تَفَنَّنَ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَأَرْهَفَ خَاطِرَهُ وَلِسَانَهُ أَدَبُ هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا قُلْنَاهُ . وَقَدْ أُخْتَلَفَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وَجْهِ عَجْزِهِمْ عَنْهُ ، فَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ إِنَّهُ مِمَّا جُمِعَ فِي قُوَّةِ جَزَالَتِهِ وَنَصَاعَةِ أَلْفَاظِهِ وَحُسْنِ نَظْمِهِ وَإِيجَازِهِ وَبَدِيعِ تَأْلِيفِهِ وَأُسْلُوبِهِ ، لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْخَوَارِقِ الْمُمْتَنِعَةِ عَنْ أَقْدَارِ الْخَلْقِ عَلَيْهَا كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَلْبِ الْعَصَا وَتَسْبِيحِ الْحَصَا ، وَذَهَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ مِثْلُهُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ وَيُقْدِرُهُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هٰذَا وَلَا يَكُونُ ، فَمَنَعَهُمُ اللهُ هٰذَا وَعَجَّزَهُمْ عَنْهُ ، وَقَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَيْنِ فَعَجْزُ الْعَرَبِ عَنْهُ ثَابِتٌ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ وَتَحَدِّيهِمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ قَاطِعٌ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْجِيزِ ، وَأَحْرَى بِالتَّقْرِيعِ

وَالاحْتِجَاجُ بِمَجِيءِ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ بِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ لَازِمٌ، وَهُوَ أَبْهَرُ آيَةٍ وَأَقْمَعُ دِلَالَةٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَا أَتَوْا فِي ذَٰلِكَ بِمَقَالٍ بَلْ صَبَرُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَالْقَتْلِ وَتَجَرَّعُوا كَاسَاتِ الصَّغَارِ وَالذُّلِّ، وَكَانُوا مِنْ شُمُوخِ الْأَنْفِ وَإِبَاءَةِ الضَّيْمِ بِحَيْثُ لَا يُؤْثِرُونَ ذَٰلِكَ اخْتِيَارًا وَلَا يَرْضَوْنَهُ إِلَّا اضْطِرَارًا، وَإِلَّا فَالْمُعَارَضَةُ لَوْ كَانَتْ مِنْ قُدَرِهِمْ وَالشُّغْلُ بِهَا أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرَعُ بِالنُّجْحِ وَقَطْعِ الْعُذْرِ وَإِفْحَامِ الْخَصْمِ لَدَيْهِمْ وَهُمْ مِمَّنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى الْكَلَامِ وَقُدْرَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ لِجَمِيعِ الْأَنَامِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ جَهَدَ جَهْدَهُ وَاسْتَنْفَدَ مَا عِنْدَهُ فِي إِخْفَاءِ ظُهُورِهِ وَإِطْفَاءِ نُورِهِ، فَمَا حَلَوْا فِي ذَٰلِكَ خَبِيئَةً مِنْ بَنَاتِ شِفَاهِهِمْ وَلَا أَتَوْا بِنُطْفَةٍ مِنْ مَعِينِ مِيَاهِهِمْ مَعَ طُولِ الْأَمَدِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَتَظَاهُرِ الْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، بَلْ أَبْلَسُوا فَمَا نَبَسُوا، وَمُنِعُوا فَانْقَطَعُوا، فَهَٰذَانِ النَّوْعَانِ مِنْ إِعْجَازِهِ.

(فَصْلٌ) الْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الْإِعْجَازِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ وَمَا لَمْ يَكُنْ وَلَمْ يَقَعْ فَوُجِدَ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ». وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ». وَقَوْلِهِ: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» وَقَوْلِهِ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ » الآيَةَ ، وَقَوْلِهِ : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . الخ » فكَانَ جَمِيعُ هَذَا كَمَا قَالَ فَغَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ فِى بِضْعِ سِنِينَ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِى الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا ، فَمَا مَاتَ ﷺ وَفِى بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِسْلَامُ ، وَاسْتَخْلَفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِى الأَرْضِ وَمَكَّنَ فِيهَا دِينَهُمْ ، وَمَلَّكَهُمْ إِيَّاهَا مِنْ أَقْصَى الْمَشَارِقِ إِلَى أَقْصَى الْمَغَارِبِ كَمَا قَالَ ﷺ : « زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » وَقَوْلِهِ « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » فَكَانَ كَذَٰلِكَ لَا يَكَادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فِى تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُحْكَمِهِ مِنَ الْمُلْحِدَةِ وَالْمُعَطِّلَةِ لَاسِيَّمَا الْقَرَامِطَةُ ، فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ الْيَوْمَ نَيِّفًا عَلَى خَمْسِمَائَةِ عَامٍ فَمَا قَدَرُوا عَلَى إِطْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ وَلَا تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ، وَقَوْلُهُ : قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمُ الآيَةَ . وَقَوْلُهُ : هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى الآيَةَ وَقَوْلُهُ : لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمُ الآيَةَ . فَكَانَ كُلُّ ذَٰلِكَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَمَقَالَتِهِم وَكَذِبِهِم فِي حَلِفِهِم وَتَقْرِيعِهِم بِذَٰلِكَ كَقَوْلِهِ : وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِم لَوْلَا

يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ . وَقَوْلِهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ لَكَ الآيَةَ .
وَقَوْلِهِ : مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ الآيَةَ . وَقَوْلِهِ : مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ — إِلَى قَوْلِهِ — فِي الدِّينِ .
وَقَدْ قَالَ مُبْدِيًا مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . وَلَمَّا نَزَلَتْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ بِأَنَّ اللهَ كَفَاهُ إِيَّاهُمْ ، وَكَانَ الْمُسْتَهْزِئُونَ نَفَرًا بِمَكَّةَ يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَنْهُ وَيُؤْذُونَهُ فَهَلَكُوا ،
وَقَوْلِهِ : وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . فَكَانَ كَذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ رَامَ ضُرَّهُ وَقَصَدَ قَتْلَهُ ، وَالأَخْبَارُ بِذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ .

(فَصْلٌ) الْوَجْهُ الرَّابِعُ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْفَذُّ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي قَطَعَ عُمْرَهُ فِي تَعَلُّمِ ذَلِكَ ، فَيُورِدُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ ، وَأَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنَلْهُ بِتَعْلِيمٍ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ ﷺ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ وَلَا مُثَافَنَةٍ وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ وَلَا جَهِلَ حَالَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَقَدْ كَانَ أَهْلُ

الكتاب كثيرًا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذى القرنين ، ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنبياء وبدء الخلق ، وما فى التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ، بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد ، ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه ، وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم ، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له ﷺ وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم ، مثل سؤالهم : عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف ، وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه ، وما حرم عليهم من الأنعام ، ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم ، وقوله : ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل ، وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه . من ذلك أنه أنكر

ذٰلِكَ أَوْ كَذَّبَهُ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ صَرَّحَ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ مَقَالَتِهِ وَاعْتَرَفَ بِعِنَادِهِ وَحَسَدِهِ إِيَّاهُ كَأَهْلِ نَجْرَانَ وَابْنِ صُورِيَا وَابْنَىْ أَخْطَبَ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَنْ بَاهَتَ فِي ذٰلِكَ بَعْضَ الْمُبَاهَتَةِ وَادَّعَى أَنَّ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ لِمَا حَكَاهُ مُخَالَفَةً دُعِيَ إِلَى إِقَامَةِ حُجَّتِهِ وَكَشْفِ دَعْوَتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ — إِلَى قَوْلِهِ — الظَّالِمُونَ ، فَقَرَّعَ وَوَبَّخَ وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مُمْكِنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ ، فَمِنْ مُعْتَرِفٍ بِمَا جَحَدَهُ ، وَمُتَوَاقِحٍ يُلْقِي عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدَهُ ، وَلَمْ يُؤْثَرْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ وَلَا أَبْدَى صَحِيحًا وَلَا سَقِيمًا مِنْ صُحُفِهِ . قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » الآيَتَيْنِ .

(فَصْلٌ) هٰذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ إِعْجَازِهِ بَيِّنَةٌ لَا نِزَاعَ فِيهَا وَلَا مِرْيَةَ ، وَمِنَ الْوُجُوهِ الْبَيِّنَةِ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ غَيْرِ هٰذِهِ الْوُجُوهِ آيٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فِي قَضَايَا وَإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً » الآيَةَ . قَالَ أَبُو إِسْحٰقَ الزَّجَّاجُ : فِي هٰذِهِ الآيَةِ أَعْظَمُ حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ دِلَالَةٍ عَلَى صِحَّةِ الرِّسَالَةِ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ فَتَمَنَّوُا

المَوْتَ ، وَأَعْلَمَهُم أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا فَلَمْ يَتَمَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُم إِلَّا غُصَّ بِرِيقِهِ » يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَّعَهُم لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ وَصِحَّةَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ إِذْ لَمْ يَتَمَنَّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَرُوا وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ . فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مُعْجِزَاتُهُ وَبَانَتْ حُجَّتُهُ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ : مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا وَاحِدٌ مِن يَوم أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ يَقْدُمُ عَلَيهِ وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهَدٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ مِنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ وَفَدَ عَلَيهِ أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ وَأَبُو الْإِسْلَامَ فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ : فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ الآيَةَ ، فَامْتَنَعُوا مِنْهَا وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَاقِبَ عَظِيمَهُمْ قَالَ لَهُمْ قَدْ عَلِمْتُم أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْمًا نَبِيٌّ قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا صَغِيرُهُمْ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، إِلَى قَولِهِ : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُم لَا يَفْعَلُونَ كَمَا كَانَ ، وَهَذِهِ الآيَةُ أَدْخَلُ فِي بَابِ الإِخْبَارِ عَنِ الْغَيبِ وَلَكِنْ فِيهَا مِنَ التَّعْجِيزِ مَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا .

(فَصلٌ) وَمِنْهَا الرَّوعَةُ الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعَهُم عِنْدَ

سَمَاعِهِ ، وَالْهَيْبَةُ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِقُوَّةِ حَالِهِ وَإِبَانَةِ خَطَرِهِ وَهِيَ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ سَمَاعَهُ وَيَزِيدُهُمْ نُفُورًا كَمَا قَالَ تَعَالَى، وَيَوَدُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكَرَاهَتِهِمْ لَهُ . وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَهُوَ الْحَكَمُ » وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَا تَزَالُ رَوْعَتُهُ بِهِ وَهَيْبَتُهُ إِيَّاهُ مَعَ تِلَاوَتِهِ تُولِيهِ انْجِذَابًا وَتَكْسِبُهُ هَشَاشَةً لِمَيْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ وَتَصْدِيقِهِ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » وَقَالَ : « لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ » الْآيَةَ . وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا شَيْءٌ خُصَّ بِهِ أَنَّهُ يَعْتَرِي مَنْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ وَلَا يَعْلَمُ تَفَاسِيرَهُ ، كَمَا رُوِيَ عَنْ نَصْرَانِيٍّ أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِئٍ فَوَقَفَ يَبْكِي ، فَقِيلَ لَهُ مِمَّا بَكَيْتَ ؟ قَالَ لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ ، وَهَذِهِ الرَّوْعَةُ قَدِ اعْتَرَتْ جَمَاعَةً قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ لَهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَآمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، فَحُكِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ — إِلَى قَوْلِهِ — الْمُصَيْطِرُونَ » كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ لِلْإِسْلَامِ . وَفِي رِوَايَةٍ وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي . وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّهُ كَلَّمَ

النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِ قَوْمِهِ فَتَلَا عَلَيْهِمْ: «حم فُصِّلَتْ إِلَى قَوْلِهِ — صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ» فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ بِيَدِهِ عَلَى فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ عُتْبَةُ لَا يَدْرِي بِمَ يُرَاجِعُهُ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ فَاعْتَذَرَ لَهُمْ، وَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ بِمِثْلِهِ قَطُّ فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ رَامَ مُعَارَضَتَهُ أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ رَوْعَةٌ وَهَيْبَةٌ كَفَّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ، فَحُكِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ وَشَرَعَ فِيهِ فَمَرَّ بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ: «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ» فَرَجَعَ فَمَحَى مَا عَمِلَ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا لَا يُعَارَضُ وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَكَانَ مِنْ أَفْصَحِ أَهْلِ وَقْتِهِ وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ الْغَزَّالُ بَلِيغَ الْأَنْدَلُسِ فِي زَمَنِهِ فَحُكِيَ أَنَّهُ رَامَ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَنَظَرَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِيَحْذُوَ عَلَى مِثَالِهَا وَيَنْسُجَ بِزَعْمِهِ عَلَى مِنْوَالِهَا. قَالَ فَاعْتَرَتْنِي مِنْهُ خَشْيَةٌ وَرِقَّةٌ حَمَلَتْنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

(فَصْلٌ) وَمِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْدُودَةِ كَوْنُهُ آيَةً بَاقِيَةً لَا تُعْدَمُ

مَا بقِيَتِ الدُّنْيَا مَعَ تَكَفُّلِ اللهِ تعَالَى بحفظِهِ فقَالَ : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وَقَالَ : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » الآيَةَ ، وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنبياءِ انْقَضَتْ بانقضَاءِ أَوْقَاتِهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا وَالْقُرْآنُ الْعزِيزُ الْبَاهِرَةُ آيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ مُعْجِزَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ مُدَّةَ خَمْسِمَائَةِ عَامٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً لِأَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى وَقْتِنَا هٰذَا حُجَّتُهُ قَاهِرَةٌ وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةٌ وَالْأَعْصَارُ كُلُّهَا طَافِحَةٌ بأَهْلِ الْبَيَانِ وَحَمَلَةِ عِلْمِ اللِّسَانِ وَأَئِمَّةِ الْبَلَاغَةِ وَفُرْسَانِ وَجَهَابِذَةِ الْبَرَاعَةِ ، وَالْمُلْحِدُ فِيهِمْ كَثِيرٌ وَالْمُعَادِي لِلشَّرْعِ عَتِيدٌ ، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤْثَرُ فِي مُعَارَضَتِهِ وَلَا أَلَّفَ كَلِمَتَيْنِ فِي مُنَاقَضَتِهِ وَلَا قَدَرَ فِيهِ عَلَى مَطْعَنٍ صَحِيحٍ وَلَا قَدَحَ الْمُتَكَلِّفُ مِنْ ذِهْنِهِ ، فِي ذٰلِكَ إِلَّا بِزَنْدٍ شَحِيحٍ ، بَلِ الْمَأْثُورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذٰلِكَ إِلْقَاؤُهُ فِي الْعَجْزِ بِيَدَيْهِ وَالنُّكُوصُ عَلَى عَقِبَيْهِ .

(فصل)

وقد وعد جماعة من الأئمة ومقلدى الأُمة فى إعجازه وجُوهًا كثيرة مِنهَا أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمَلُّهُ ، وَسَامِعَهُ لَا يَمُجُّهُ ، بَلِ الْإِكْبَابُ عَلَى تِلَاوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلَاوَةً ، وَتَرْدِيدُهُ يُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةً ، لَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ مَبْلَغَهُ يُمَلُّ

مَعَ التَّرْدِيدِ ، وَيُعَادَى إِذَا أُعِيدَ ، وَكِتَابُنَا يُسْتَلَذُّ بِهِ فِى الخَلَوَاتِ ، وَيُؤْنَسُ بِتِلَاوَتِهِ فِى الأَزَمَاتِ ، وَسِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذٰلِكَ حَتَّى أَحْدَثَ أَصْحَابُهَا لَهَا لُحُونًا وَطُرُقًا يَسْتَجْلِبُونَ بِتِلْكَ اللُّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَاءَتِهَا ، وَلِهٰذَا وَصَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ لَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقَضِى عِبَرُهُ وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ . هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، هُوَ الَّذِى لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ . وَمِنْهَا جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَمْ تَعْهَدِ الْعَرَبُ عَامَّةً وَلَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً بِمَعْرِفَتِهَا وَلَا الْقِيَامِ بِهَا وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ . وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِهِمْ ، فَجُمِعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ وَالرَّدِّ عَلَى فِرَقِ الْأُمَمِ بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ وَأَدِلَّةٍ بَيِّنَةٍ ، سَهْلَةِ الْأَلْفَاظِ مُوجَزَةِ الْمَقَاصِدِ ، رَامَ الْمُتَحَذْلِقُونَ بَعْدُ أَنْ يَنْصِبُوا أَدِلَّةً مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى » وَ « قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » وَ « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا » إِلَى مَاحَوَاهُ مِنْ عُلُومِ السِّيَرِ وَأَنْبَاءِ الْأُمَمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ ، وَأَخْبَارِ

الدَّار الآخِرَةِ ، وَمَحَاسِنِ الآدَابِ وَالشِّيَمِ ، قَالَ ٱللهُ جَلَّ ٱسْمُهُ : ما فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ » وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ هٰذَا الْقُرْآنَ آمِرًا وَزَاجِرًا وَسُنَّةً خَالِيَةً وَمَثَلًا مَضْرُوبًا ، فِيهِ نَبَؤُكُمْ وَخَبَرُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأُ مَابَعْدَكُم وَحَكَمَ مَا بَيْنَكُم لَا يُخْلِقُهُ طُولُ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَن حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَن خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ وَمَن قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ ، وَمَن عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَن تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّه ٱللهُ ، وَمَن حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللهُ ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَحَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ ٱتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ . وَنَحْوُهُ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ فِيهِ : وَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَشَانُّ ، فِيهِ نَبَأُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ .

وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ : إِنِّي مُنْزِلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً ، تَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا ، فِيهَا يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَفَهْمُ الْحِكْمَةِ وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ . وَعَنْ كَعْبٍ : عَلَيْكُمْ

بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعُقُولِ وَنُورُ الْحِكْمَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : « إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » . وَقَالَ « هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى » الآيَةَ ، فَجُمِعَ فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظِهِ وَجَوَامِعِ كَلِمِهِ أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ الَّتِي أَلْفَاظُهَا عَلَى الضِّعْفِ مِنْهُ مَرَّاتٍ ، وَمِنْهَا جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدْلُولِهِ ، وَذٰلِكَ انَّهُ أُحْتُجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَحُسْنِ وَصْفِهِ وَإِنْجَازِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَأَثْنَاءَ هٰذِهِ الْبَلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ، فَالتَّالِي لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعًا مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ وَصُورَةٍ مُنْفَرِدَةٍ ، وَمِنْهَا أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيِّزِ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يَعْهَدْ وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيِّزِ الْمَنْثُورِ ، لأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ وَأَسْمَحُ فِي الآذَانِ وَأَحْلَى عَلَى الإِفْهَامِ ، فَالنَّاسُ إِلَيْهِ أَمْيَلَ وَالأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ . وَمِنْهَا تَيْسِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ ، وَتَقْرِيبُهُ عَلَى مُتَحَفِّظِيهِ . قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ » وَسَائِرُ الأُمَمِ لَا يَحْفَظُ كُتُبَهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ الْجَمَّاءُ عَلَى مُرُورِ السِّنِينَ عَلَيْهِمْ ، وَالْقُرْآنُ مُيَسَّرٌ حِفْظُهُ لِلْقُرْآنِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَمِنْهَا مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضًا وَحُسْنُ ائْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَالْتِئَامِ أَقْسَامِهَا وَحُسْنُ التَّخَلُّصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالْخُرُوجُ مِنْ بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهِ

وَانْقِسَامِ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَخَبَرٍ وَاسْتِخْبَارٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ وَتَوْحِيدٍ وَتَفْرِيدٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ دُونَ خَلَلٍ يَتَخَلَّلُ فُصُولَهُ ، وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ إِذَا اعْتَوَرَهُ مِثْلُ هٰذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ وَلَانَتْ جَزَالَتُهُ ، وَقَلَّ رَوْنَقُهُ وَتَقَلْقَلَتْ أَلْفَاظُهُ ، فَتَأَمَّلْ أَوَّلَ ص وَمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّارِ وَشِقَاقِهِمْ وَتَقْرِيعِهِمْ بِإِهْلَاكِ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَمَا ذَكَرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَعَجُّبِهِمْ مِمَّا أَتَى بِهِ ، وَالْخَبَرِ عَنِ اجْتِمَاعِ مَلَئِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْحَسَدِ فِي كَلَامِهِمْ وَتَعْجِيزِهِمْ وَتَوْهِينِهِمْ ، وَوَعِيدِهِمْ بِخِزْيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَكْذِيبِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَإِهْلَاكِ اللهِ لَهُمْ وَوَعِيدِ هٰؤُلَاءِ ، مِثْلُ مُصَابِهِمْ وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّ هٰذَا فِي أَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ ، وَمِنْهُ الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ ، وَهٰذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ إِلَى وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأَئِمَّةُ لَمْ نَذْكُرْهَا إِذْ أَكْثَرُهَا دَاخِلٌ فِي بَابِ بَلَاغَتِهِ فَلَا نُحِبُّ أَنْ يُعَدَّ فَنًّا مُنْفَرِدًا فِي إِعْجَازِهِ إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ ، وَكَذٰلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ لَا فِي إِعْجَازِهِ ، وَحَقِيقَةُ

الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق .

(فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس)

قال الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ﴿﴾ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه ﴿﴾ أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيي عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا . وفي رواية مجاهد : ونحن مع النبي ﷺ ، وفي بعض طرق الأعمش بمنى . ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال : حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر . ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد : فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة ، فقال رجل منهم : إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض

كُلِّها ، فاسْأَلوا مَنْ يَأْتيكُم مِنْ بَلَدٍ آخَرَ هَلْ رَأَوْا هٰذا ؟ فَأَتَوْا فَسأَلُوهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ إِنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذٰلِكَ . وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ ، وَقالَ فَقالَ أَبُو جَهْلٍ هٰذا سِحْرٌ فَابْعَثُوا إِلَى أَهْلِ الآفاقِ حَتَّى تَنْظُرُوا أَرَأَوْا ذٰلِكَ أَمْ لا ؟ فَأَخْبَرَ أَهْلُ الآفاقِ أَنَّهُم رَأَوْهُ مُنْشَقًّا ، فَقالُوا يَعْنِي الْكُفَّارَ هٰذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَرَواهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلْقَمَةُ ، فَهٰؤُلاءِ الأَرْبَعَةُ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ ، وَقَدْ رَواهُ غَيْرُ ٱبْنِ مَسْعُودٍ كَما رَواهُ ابْنُ مَسْعُودٍ ، مِنْهُمْ أَنَسٌ وَٱبْنُ عَبَّاسٍ وَٱبْنُ عُمَرَ وَحُذَيْفَةُ وَعَلِيٌّ وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ، فَقالَ عَلِيٌّ مِنْ رِوايَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ الأَرْحَبِيِّ : ٱنْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ أَنَسٍ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَراهُمُ ٱنْشِقاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِراءَ بَيْنَهُما رَواهُ عَنْ أَنَسٍ قَتادَةُ . وَفِي رِوايَةِ مَعْمَرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ قَتادَةَ عَنْهُ أَراهُمُ الْقَمَرَ مَرَّتَيْنِ ٱنْشِقاقَهُ فَنَزَلَتِ ٱقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ الْقَمَرُ . وَرَواهُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ٱبْنُهُ مُحَمَّدٌ وَٱبْنُ ٱبْنِهِ جُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَرَواهُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُتْبَةَ وَرَواهُ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ مُجاهِدٌ ، وَرَواهُ عَنْ حُذَيْفَةَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ أَبِي الأَزْدِيُّ وَأَكْثَرُ طُرُقِ هٰذِهِ الأَحادِيثِ صَحِيحَةٌ وَالآيَةُ مُصَرِّحَةٌ وَلا يُلْتَفَتُ إِلَى ٱعْتِراضِ مَخْذُولٍ بِأَنَّهُ لَوْ كانَ هٰذا لَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ

إِذْ هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ لِجَمِيعِهِمْ ، إِذْ لَمْ يُنْقَلْ لَنَا عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ رَصَدُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَوْهُ انْشَقَّ ، وَلَوْ نُقِلَ إِلَيْنَا عَمَّنْ لَا يَجُوزُ تَمَالُؤُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ لَمَا كَانَتْ عَلَيْنَا بِهِ حُجَّةٌ ، إِذْ لَيْسَ الْقَمَرُ فِي حَدٍّ وَاحِدٍ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَقَدْ يَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى الْآخَرِينَ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْمٍ بِضِدِّ مَا هُوَ مِنْ مُقَابِلِيهِمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، أَوْ يَحُولُ بَيْنَ قَوْمٍ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ أَوْ جِبَالٌ ، وَلِهَذَا نَجِدُ الْكُسُوفَاتِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ دُونَ بَعْضٍ ، وَفِي بَعْضِهَا جُزْئِيَّةً وَفِي بَعْضِهَا كُلِّيَّةً ، وَفِي بَعْضِهَا لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُدَّعُونَ لِعِلْمِهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَآيَةُ الْقَمَرِ كَانَتْ لَيْلًا وَالْعَادَةُ مِنَ النَّاسِ بِاللَّيْلِ الْهُدُوُّ وَالسُّكُونُ وَإِيجَافُ الْأَبْوَابِ وَقَطْعُ التَّصَرُّفِ ، وَلَا يَكَادُ يَعْرِفُ مِنْ أُمُورِ السَّمَاءِ شَيْئًا إِلَّا مَنْ رَصَدَ ذَلِكَ وَاهْتَبَلَ بِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا يَكُونُ الْكُسُوفُ الْقَمَرِيُّ كَثِيرًا فِي الْبِلَادِ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُ بِهِ حَتَّى يُخْبَرَ ، وَكَثِيرًا مَا يُحَدِّثُ الثِّقَاتُ بِعَجَائِبَ يُشَاهِدُونَهَا مِنْ أَنْوَارٍ وَنُجُومٍ طَوَالِعَ عِظَامٍ تَظْهَرُ فِي الْأَحْيَانِ بِاللَّيْلِ فِي السَّمَاءِ وَلَا عِلْمَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهَا . وَخَرَّجَ الطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكِلِ الْحَدِيثِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ ، فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ رَسُولُ

ٱللهِ ﷺ : أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ ؟ قَالَ لَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ ، قَالَتْ أَسْمَاءُ فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ وَوَقَفَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَذٰلِكَ بِالصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ قَالَ وَهٰذَانِ الْحَدِيثَانِ ثَابِتَانِ وَرُوَاتُهُمَا ثِقَاتٌ . وَحَكَى الطَّحَاوِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ كَانَ يَقُولُ : لَا يَنْبَغِي لِمَنْ سَبِيلُهُ الْعِلْمُ التَّخَلُّفُ عَنْ حِفْظِ حَدِيثِ أَسْمَاءَ لِأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ . وَرَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَةِ الْمَغَازِي رِوَايَتَهُ عَنِ ٱبْنِ إِسْحٰقَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلَامَةِ الَّتِي فِي الْعِيرِ قَالُوا مَتَى تَجِيءُ ؟ قَالَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِيءْ ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةٌ وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

(فصل فى نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثيره ببركته)

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هٰذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا ، رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ أَنَسٌ وَجَابِرٌ وَٱبْنُ مَسْعُودٍ حدثنا أَبُو إِسْحٰقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ ٱللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا الْقَاضِي عِيسَى بْنُ سَهْلٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ بْنُ الْفَخَّارِ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا مَالِكٌ

عَنْ إِسْحٰقَ بنِ عَبْدِ اللّٰهِ بنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِوُضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فِي ذٰلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ تَوَضَّؤُوا مِنْهُ ، قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ قَتَادَةُ وَقَالَ : بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ أَوْ لَا يَكَادُ يَغْمُرُ ، قَالَ كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ زُهَاءَ ثَلٰثِمِائَةٍ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ : وَهُمْ بِالزَّوْرَاءِ عِنْدَ السُّوقِ ، وَرَوَاهُ أَيْضًا حُمَيْدٌ وَثَابِتٌ وَالْحَسَنُ عَنْ أَنَسٍ . وَفِي رِوَايَةِ حُمَيْدٍ قُلْتُ كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ ثَمَانِينَ رَجُلًا . وَنَحْوُهُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ ، وَعَنْهُ أَيْضًا وَهُمْ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا . وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ عَنْهُ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : اُطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ . وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللّٰهِ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ

الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ ، وَفِيهِ فَقُلْتُ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ جَابِرٍ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْحُدَيْبِيَةِ . وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا جَابِرُ : نَادِ الْوَضُوءَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ سَجْبٍ ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَغَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَقَالَ نَادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ فَأَتَيْتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ جَابِرٌ عَلَيْهِ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ ، قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقَاءِ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا ، فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى . وَعَنِ الشَّعْبِيِّ : أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةِ مَاءٍ وَقِيلَ مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاءٌ غَيْرُهَا ، فَسَكَبَهَا فِي رَكْوَةٍ وَوَضَعَ إِصْبَعَهُ وَسَطَهَا وَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ وَجَعَلَ النَّاسُ يَجِيئُونَ وَيَتَوَضَّئُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَمِثْلُ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الْحَفِلَةِ وَالْجُمُوعِ الْكَثِيرَةِ لَا تَتَطَرَّقُ التُّهْمَةُ إِلَى

الْمُحَدِّثِ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَٰلِكَ ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مِمَّنْ لَا يَسْكُتُ عَلَى بَاطِلٍ ، فَهٰؤُلَاءِ قَدْ رَوَوْا هٰذَا وَأَشَاعُوهُ ، وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَّاءِ الْغَفِيرِ لَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ وَشَاهَدُوهُ فَصَارَ كَتَصْدِيقِ جَمِيعِهِمْ لَهُ .

(فصل) وَمِمَّا يُشْبِهُ هٰذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ، تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَابْتِعَاثُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ . فِيمَا رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا الْعَيْنَ وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الشِّرَاكِ فَغَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَأَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ . قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحٰقَ : فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَالَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ ، ثُمَّ قَالَ يُوشِكُ يَامُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا . وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَبِئْرُهَا لَا تُرْوِي خَمْسِينَ شَاةً فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً ، فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جِبَاهَا ، قَالَ الْبَرَاءُ وَأُوتِيَ بِدَلْوٍ مِنْهَا فَبَصَقَ فَدَعَا ، وَقَالَ سَلَمَةُ فَإِمَّا دَعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا ، فَجَاشَتْ فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ ، وَفِي غَيْرِ

هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ شِهَابٍ فِي الْحُدَيْبِيَةِ فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي قَعْرِ قَلِيبٍ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ فَرَوِيَ النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطَنٍ. وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ شَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ الْعَطَشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَهَا فِي ضِبْنِهِ ثُمَّ الْتَقَمَ فَمَهَا، فَاللّٰهُ أَعْلَمُ نَفَثَ فِيهَا أَمْ لَا فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوُوا وَمَلَئُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَرَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ. وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ حَدِيثَ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ بِهِمْ مُمِدًّا لِأَهْلِ مُؤْتَةَ عِنْدَ مَا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأُمَرَاءِ، وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ مُعْجِزَاتٌ وَآيَاتٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ إِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَفْقِدُونَ الْمَاءَ فِي غَدٍ، وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَأَةِ قَالَ وَالْقَوْمُ زُهَاءُ ثَلٰثِمِائَةٍ وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ: احْفَظْ عَلَيَّ مِيضَأَتَكَ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حِينَ أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانِ كَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ الْحَدِيثَ، فَوَجَدَاهَا وَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ

فِي الْمَزَادَتَيْنِ ثُمَّ فُتِحَتْ عَزَالِيهِمَا وَأَمَرَ النَّاسُ فَمَلَئُوا أَسْقِيَتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدَعُوا شَيْئًا إِلَّا مَلَئُوهُ ، قَالَ عِمْرَانُ : وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَمْ تَزْدَادَا إِلَّا امْتِلَاءً ، ثُمَّ أَمَرَ فَجُمِعَ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْأَزْوَادِ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا ، وَقَالَ اذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ سَقَانَا ، الْحَدِيثَ بِطُولِهِ . وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ : قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هَلْ مِنْ وَضُوءٍ فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَطَشِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ ، فَرَغِبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ فَمَلَئُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آنِيَةٍ وَلَمْ تُجَاوِزِ الْعَسْكَرَ . وَعَنْ عَمْرِو بن شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَدِيفُهُ بِذِي الْمَجَازِ : عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَرَبَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ فَخَرَجَ الْمَاءُ ، فَقَالَ اشْرَبْ . وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ الْإِجَابَةُ بِدُعَاءِ الِاسْتِسْقَاءِ وَمَا جَانَسَهُ .

(فصل ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام ببركته ودعائه)

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا الْعُذْرِيُّ حَدَّثَنَا

الرَّازِيُّ حدثنا الْجُلُودِيُّ حدثنا أَبْنُ سُفْيَانَ حَدَّثنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَوْلَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ الْمَشْهُورُ وَإِطْعَامُهُ ﷺ ثَمَانِينَ أَوْسَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنَسٌ تَحْتَ يَدِهِ أَيْ إِبْطِهِ فَأَمَرَ بِهَا فَفُتَّتْ وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَقُولَ . وَحَدِيثُ جَابِرٍ فِي إِطْعَامِهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صَاعِ شَعِيرٍ وَعِنَاقٍ ، وَقَالَ جَابِرٌ فَأُقْسِمُ بِاللّهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا ، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَصَقَ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارَكَ ، رَوَاهُ عَنْ جَابِرٍ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ وَأَيْمَنُ . وَعَنْ ثَابِتٍ مِثْلُهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَامْرَأَتِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِمَا ، قَالَ وَجِيءَ بِمِثْلِ الْكَفِّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَبْسُطُهَا فِي الْإِنَاءِ وَيَقُولُ مَاشَاءَ اللّهُ فَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ فِي الْبَيْتِ وَالْحُجْرَةِ وَالدَّارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَدِ امْتَلَأَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ ﷺ لِذَلِكَ وَبَقِيَ بَعْدَ مَا شَبِعُوا مِثْلُ مَا كَانَ فِي الْإِنَاءِ .

وَحَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ

مِنَ الطَّعَامِ زُهاءَ مَا يَكْفِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أُدْعُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ ، فَدعَاهُمْ فَأَكلُوا حَتَّى تَرَكُوا ، ثُمَّ قَالَ ادْعُ سِتِّينَ فَكَانَ مِثْلُ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ ادْعُ سَبْعِينَ فَأَكلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي مِائَةٌ وَثمَانُونَ رَجُلاً . وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أُتِىَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتعَاقَبُوهَا مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ . وَمِنْ ذَٰلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ فِي ٱلْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشُوِىَ سَوَادُ بَطْنِهَا . قَالَ وَأَيْمُ ٱللهِ مَا مِنَ الثَّلاَثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ ٱلْأَكْوَعِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ ، فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثْيَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُمُ الَّذِي أَتَىٰ بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ ، قَالَ سَلَمَةُ فَحَذَرْتُهُ كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وِعَاءٌ إِلَّا مَلَؤُهُ وَبَقِيَ

مِنْهُ قَدْرُ مَا جُعِلَ وَأَكْثَرُ ، وَلَوْ وَرَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَكَفَاهُمْ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَدْعُو لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ . وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ ، مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرَقَ ، فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ . وَقَالَ أَنَسٌ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ ابْتَنَى بِزَيْنَبَ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ قَوْمًا سَمَّاهُمْ وَكُلَّ مَنْ لَقِيتَ حَتَّى امْتَلَأَ الْبَيْتُ وَالْحُجْرَةُ وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ تَوْرًا فِيهِ قَدْرُ مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْسًا ، فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلَاثَ أَصَابِعِهِ وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَغَدَّوْنَ وَيَخْرُجُونَ وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْوًا مِمَّا كَانَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحَدًا أَوِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي هَٰذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ مِثْلِهَا . إِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَقَالَ لِيَ ارْفَعْ فَلَا أَدْرِي وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ .

وَفِي حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ طَبَخَتْ قِدْرًا لِغَدَائِهِمَا وَوَجَّهَتْ عَلِيًّا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَتَغَدَّى

معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ﷺ، ولعلي ثم لها، ثم رفعت القدر وإنها لتفيض، قالت فأكلنا منها ما شاء الله. وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس، فقال يا رسول الله ماهي إلا أصوع، قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي، ومن رواية جرير، ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه أنه قال أربعمائة راكب من مزينة، ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته، وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم، فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها، فمشى فيها ودعا، فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة. وفي رواية: مثل ما أعطاهم، قال وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله ﷺ هل من شيء؟ قلت نعم شيء من التمر في المزود، قال فأتني به، فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك حتى أطعم

الْجَيْش كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا ، قَالَ خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَاقْبِضْ مِنْهُ وَلَا تَكُبُّهُ ، فَقَبَضْتُ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا جِئْتُ بِهِ فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ فَانْتُهِبَ مِنِّي فَذَهَبَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَٰلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَذُكِرَتْ مِثْلُ هَٰذِهِ الْحِكَايَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّ التَّمْرَ كَانَ بِضْعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً ، وَمِنْهُ أَيْضًا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حِينَ أَصَابَهُ الْجُوعُ فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ قَدْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ أَهْلَ الصُّفَّةِ ، قَالَ فَقُلْتُ مَا هَٰذَا اللَّبَنُ فِيهِمْ كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَدَعَوْتُهُمْ ، وَذَكَرَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَأْخُذُهُ الْآخَرُ حَتَّى رَوِيَ جَمِيعُهُمْ ، قَالَ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَدَحَ وَقَالَ بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ أُقْعُدْ فَاشْرَبْ فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ اشْرَبْ ، وَمَا زَالَ يَقُولُهَا وَأَشْرَبُ حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أَنَّهُ أَجْزَرَ النَّبِيَّ ﷺ شَاةً وَكَانَ عِيَالُ خَالِدٍ كَثِيرًا يَذْبَحُ الشَّاةَ فَلَا تُبِدُّ عِيَالَهُ عَظْمًا عَظْمًا ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ مِنْ هَٰذِهِ الشَّاةِ وَجَعَلَ فَضْلَتَهَا فِي دَلْوِ خَالِدٍ وَدَعَا لَهُ

بِالْبَرَكَةِ فَنثَرَ فِي ذٰلِكَ لِعِيَالِهِ ، فَأَكَلُوا وَأَفْضَلُوا ، ذَكَرَ خَبَرَهُ الدُّولَابِيُّ . وَفِي حَدِيثِ الآجُرِّيِّ فِي إِنْكَاحِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ فَاطِمَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَالاً بِقَصْعَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٍ وَيَذْبَحُ جَزُورًا لِوَلِيمَتِهَا ، قَالَ فَأَتَيْتُهُ بِذٰلِكَ فَطَعَنَ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ أَدْخَلَ النَّاسَ رُفْقَةً رُفْقَةً يَأْكُلُونَ مِنْهَا حَتَّى فَرَغُوا وَبَقِيَتْ مِنْهَا فَضْلَةٌ ؛ فَبَرَّكَ فِيهَا وَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى أَزْوَاجِهِ ، وَقَالَ كُلْنَ وَأَطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُنَّ . وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَنَعَتْ أُمِّي سُلَيْمٍ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَعْهُ وَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ فَدَعَوْتُهُمْ وَلَمْ أَدَعْ أَحَدًا لَقِيتُهُ إِلَّا دَعَوْتُهُ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَثمِائَةٍ حَتَّى مَلَؤُا الصُّفَّةَ وَالْحُجْرَةَ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ تَحَلَّقُوا عَشَرَةً عَشَرَةً وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا كُلُّهُمْ فَقَالَ لِي ارْفَعْ فَمَا أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هٰذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ . وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى حَدِيثِ هٰذَا الْفَصْلِ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ثُمَّ مَنْ لَا يَنْعَدُّ بَعْدَهُمْ وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصٍ مَشْهُورَةٍ وَمَجَامِعَ مَشْهُودَةٍ وَلَا يُمْكِنُ

التَّحَدُّثُ عَنْهَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أُنْكِرَ مِنْهَا .

(فَصْلٌ فِي كَلَامِ الشَّجَرِ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَإِجَابَتِهَا دَعْوَتَهُ)

قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ غَلْبُونٍ الشَّيْخُ الصَّالِحُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الطَّلَمَنْكِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمُهَنْدِسِ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ الْأَخْنَسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ وَكَانَ صَدُوقًا عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا أَعْرَابِيُّ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ إِلَى أَهْلِي ، قَالَ هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ قَالَ وَمَا هُوَ ، قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى مَا تَقُولُ : قَالَ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ ، وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا . وَعَنْ بُرَيْدَةَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَقَالَ لَهُ : قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكِ ، قَالَ فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفَهَا فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ تَجُرُّ عُرُوقَهَا مُغْبَرَّةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَنْبَتِهَا ، فَرَجَعَتْ فَدَلَّتْ عُرُوقَهَا

فَاسْتَوَتْ ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : ائْذَنْ لِي أَسْجُدْ لَكَ ، قَالَ لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ، قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أُقَبِّلَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ فَأَذِنَ لَهُ . وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الطَّوِيلِ : ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ . فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ فَعَلَ بِالْأُخْرَى مِثْلَ ذَٰلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصِفِ بَيْنَهُمَا قَالَ الْتَئِمَا عَلَيَّ فَالْتَأَمَا : وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : فَقَالَ يَا جَابِرُ قُلْ لِهَٰذِهِ الشَّجَرَةِ يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا ، فَزَحَفَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِصَاحِبَتِهَا ، فَجَلَسَ خَلْفَهُمَا ، فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ وَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا وَالشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلٌّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقْفَةً ، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَٰكَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا .

وَرَوَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَحْوَهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ هَلْ يَعْنِي مَكَانًا لِحَاجَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ إِنَّ الْوَادِيَ مَا فِيهِ مَوْضِعٌ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ هَلْ تَرَى مِنْ نَخْلٍ

أَوْ حِجَارَةٍ ، قُلْتُ أَرَى نَخَلاتٍ مُتَقَارِبَاتٍ ، قَالَ أَنْطَلِقْ وَقُلْ لَهُنَّ إِنَّ
رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَقُلْ لِلْحِجَارَةِ مِثْلَ ذٰلِكَ ، فَقُلْتُ ذٰلِكَ لَهُنَّ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ
لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخَلاتِ يَتَقَارَبْنَ حَتَّى أَجْتَمَعْنَ وَالْحِجَارَةَ يَتَعَاقَدْنَ حَتَّى صِرْنَ
رُكَامًا خَلْفَهُنَّ ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ لِي قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ ، فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَرَأَيْتُهُنَّ وَالْحِجَارَةَ يَفْتَرِقْنَ حَتَّى عُدْنَ إِلَى مَوَاضِعِهِنَّ .
وَقَالَ يَعْلَى بْنُ سَبَّابَةَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ وَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ
هٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، وَذَكَرَ فَأَمَرَ وَدِيَّتَيْنِ فَانْضَمَّتَا ، وَفِي رِوَايَةٍ أَشَاءَتَيْنِ
وَعَنْ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ مِثْلُهُ فِي شَجَرَتَيْنِ . وَعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُهُ فِي غَزَاةِ حُنَيْنٍ . وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ وَهُوَ ٱبْنُ سَبَّابَةَ
أَيْضًا وَذَكَرَ أَشْيَاءَ رَآهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ
أَنْ طَلْحَةَ أَوْ سَمُرَةَ جَاءَتْ فَأَطَافَتْ بِهِ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا ، فَقَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّهَا ٱسْتَأْذَنَتْ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ . وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ
ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : آذَنَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِنِّ
لَيْلَةَ ٱسْتَمَعُوا لَهُ شَجَرَةٌ ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ
أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ قَالَ هٰذِهِ الشَّجَرَةُ تَعَالَيْ يَاشَجَرَةُ فَجَاءَتْ
تَجُرُّ عُرُوقَهَا لَهَا قَعَاقِعُ . وَذَكَرَ مِثْلَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ أَوْ نَحْوَهُ . قَالَ

القَاضِي أَبُو الفَضْلِ : فَهذَا ابْنُ عُمَرَ وَبُرَيْدَةُ وَجَابِرٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَيَعْلَى بنُ مُرَّةَ وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ ، قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى هَذِهِ القِصَّةِ نَفْسِهَا أَوْ مَعْنَاهَا ، وَرَوَاهَا عَنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَضْعَافُهُمْ فَصَارَتْ فِي انْتِشَارِهَا مِنَ القُوَّةِ حَيْثُ هِيَ . وَذَكَرَ ابْنُ فُورَكٍ أَنَّهُ ﷺ سَارَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ لَيْلاً وَهُوَ وَسِنٌ فَاعْتَرَضَتْهُ سِدْرَةٌ فَانْفَرَجَتْ لَهُ نِصْفَيْنِ حَتَّى جَازَ بَيْنَهُمَا وَبَقِيَتْ عَلَى سَاقَيْنِ إِلَى وَقْتِنَا ، وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَآهُ حَزِينًا : أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الوَادِي فَقَالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ فَعَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا . وَعَنْ عَلِيٍّ نَحْوَ هَذَا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا جِبْرِيلَ ، قَالَ اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا فَدَعَا شَجَرَةً . وَذَكَرَ مِثْلَهُ وَحُزْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَطَلَبُهُ الآيَةَ لَهُمْ لَا لَهُ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَقَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى رُكَانَةَ مِثْلَ هَذِهِ الآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاهَا فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ ارْجِعِي فَرَجَعَتْ . وَعَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَى إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ

يُخَوِّفُونَهُ ، وَسَأَلَهُ آيَةً يَعْلَمُ بِهَا أَنْ لَا مَخَافَةَ عَلَيْهِ فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنِ ائْتِ وَادِيَ كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ فَادْعُ غُصْنًا مِنْهَا يَأْتِكَ فَفَعَلَ فَجَاءَ يَخُطُّ الأَرْضَ خَطًّا حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ارْجِعْ كَمَا جِئْتَ فَرَجَعَ ، فَقَالَ يَارَبِّ عَلِمْتُ أَنْ لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ. وَنَحْوٌ مِنْهُ عَنْ عُمَرَ وَقَالَ فِيهِ : أَرِنِي آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا وَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هٰذَا الْعِذْقَ مِنْ هٰذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ ، فَدَعَاهُ فَجَعَلَ يَنْقُزُ حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ ارْجِعْ فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ هٰذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(فصل فى قصة حنين الجذع)

وَيَعْضُدُ هَذِهِ الأَخْبَارَ حَدِيثُ أَنِينِ الْجِذْعِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ وَالْخَبَرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ قَدْ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ ، مِنْهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَبُرَيْدَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَالْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ كُلُّهُمْ يُحَدِّثُ بِمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَحَدِيثُ أَنَسٍ صَحِيحٌ. قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعِ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ

ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلى جِذْعٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِذٰلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ . وَفى رِوَايَةِ أَنَسٍ : حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِخُوَارِهِ . وَفى رِوَايَةِ سَهْلٍ : وَكَثُرَ بُكَاءُ النَّاسِ لِمَا رَأَوْا بِهِ . وَفى رِوَايَةِ الْمُطَّلِبِ وَأُبَىٍّ حَتّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ حَتَّى جَاءَ النَّبىُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ . زَادَ غَيْرُهُ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ ، وَزَادَ غَيْرُهُ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هٰكَذَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحَزُّنًا عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدُفِنَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ كَذَا فى حَدِيثِ الْمُطَّلِبِ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَإِسْحٰقَ عَنْ أَنَسٍ ، وَفى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ سَهْلٍ : فَكَانَ إِذَا صَلَّى النَّبِىُّ ﷺ صَلَّى إِلَيْهِ فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ أَخَذَهُ أُبَىٌّ فَكَانَ عِنْدَهُ إِلى أَنْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ وَعَادَ رُفَاتًا . وَذَكَرَ الْإِسْفِرَائِنِىُّ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ إِلى نَفْسِهِ فَجَاءَهُ يَخْرِقُ الْأَرْضَ فَالْتَزَمَهُ ثُمَّ أَمَرَهُ فَعَادَ إِلى مَكَانِهِ . وَفى حَدِيثِ بُرَيْدَةَ فَقَالَ يَعْنِى النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ : إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلى الْحَائِطِ الَّذِى كُنْتَ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيُجَدَّدُ لَكَ خُوصٌ وَثَمَرَةٌ ، وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسُكَ فى الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللهِ مِنْ ثَمَرِكَ ، ثُمَّ أَصْغَى لَهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ ، فَقَالَ بَلْ

تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَبْلَى فِيهِ ، فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ فَعَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ ، فَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهٰذَا بَكَى وَقَالَ يَاعِبَادَ اللهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ . رَوَاهُ عَنْ جَابِرٍ وَحَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَيُقَالُ عَبْدُ اللهِ ابْنُ حَفْصٍ وَأَيْمَنُ وَأَبُو نَضْرَةَ وَابْنُ الْمُسَيِّبِ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرْبٍ وَكُرَيْبٌ وَأَبُو صَالِحٍ . وَرَوَاهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْحَسَنُ وَثَابِتٌ وَإِسْحٰقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ . وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ نَافِعٌ وَأَبُو حَيَّةَ . وَرَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ وَأَبُو الْوَدَاكِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو حَازِمٍ وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ وَالطُّفَيْلُ بْنُ أُبَيٍّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ : فَهٰذَا حَدِيثٌ كَمَا تَرَاهُ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصِّحَّةِ وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ ذَكَرْنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ضِعْفُهُمْ إِلَى مَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ وَبِدُونِ هٰذَا الْعَدَدِ يَقَعُ الْعِلْمُ لِمَنِ اعْتَنَى بِهٰذَا الْبَابِ وَاللهُ الْمُثَبِّتُ عَلَى الصَّوَابِ .

(فصل ومثل هذا فى سائر الجمادات)

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا

القَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ المُرَابِطِ حَدَّثَنَا المُهَلَّبُ حَدَّثَنَا أَبُو القَاسِمِ حَدَّثَنَا أَبُو الحَسَنِ القَابِسِيُّ حَدَّثَنَا المَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا الفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا البُخَارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ . وَفِي غَيْرِ هٰذِهِ الرِّوَايَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ ، وَقَالَ أَنَسٌ أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنْ حَصًى فَسَبَّحْنَ فِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ ثُمَّ صَبَّهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَسَبَّحْنَ ، ثُمَّ فِي أَيْدِينَا فَمَا سَبَّحْنَ . وَرَوَى مِثْلَهُ أَبُو ذَرٍّ وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ سَبَّحْنَ فِي كَفِّ عُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَقَالَ عَلِيٌّ كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَى بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرَةٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قِيلَ إِنَّهُ الحَجَرُ الأَسْوَدُ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرِّسَالَةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى

اللهُ عليهِ وسلّم يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلّا سجدَ لهُ · وفي حديثِ العبّاسِ إذا اشتملَ عليهِ النبيُّ ﷺ وعلى بنيهِ بملاءةٍ ودعا لهمْ بالسّترِ من النّارِ كسترهِ إيّاهمْ بملاءتهِ فأمّنتْ أسكفّةُ البابِ وحوائطُ البيتِ آمينَ آمينَ · وعنْ جعفرِ بنِ محمّدٍ عنْ أبيهِ مرضَ النّبيُّ ﷺ فأتاهُ جبريلُ بطبقٍ فيهِ رمّانٌ وعنبٌ فأكلَ منهُ النّبيُّ ﷺ فسبّحَ · وعنْ أنسٍ صعدَ النّبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ أحُدًا فرجفَ بهمْ ، فقالَ اثبتْ أحُدُ فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدانِ . ومثلهُ عنْ أبي هريرةَ في حراءٍ وزادَ معهُ وعليٌّ وطلحةُ والزّبيرُ ، وقالَ فإنّما عليكَ نبيٌّ أوْ صدّيقٌ أوْ شهيدٌ · والخبرُ في حراءٍ أيضًا عنْ عثمانَ قالَ ومعهُ عشرةٌ منْ أصحابهِ أنا فيهمْ ، وزادَ عبدَ الرّحمٰنِ وسعدًا قالَ ونسيتُ الاثنينِ · وفي حديثِ سعيدِ بنِ زيدٍ أيضًا مثلهُ وذكرَ عشرةً وزادَ نفسهُ . وقدْ روي أنّهُ حينَ طلبتهُ قريشٌ قالَ ثبيرٌ اهبطْ يا رسولَ اللهِ فإنّي أخافُ أنْ يقتلوكَ على ظهري فيعذّبَني اللهُ ، فقالَ حراءٌ إليَّ يا رسولَ اللهِ · وروى ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ قرأَ على المنبرِ : « وما قدروا اللهَ حقَّ قدرهِ » ثمَّ قالَ يمجّدُ الجبّارُ نفسهُ يقولُ أنا الجبّارُ أنا الكبيرُ المتعالِ ، فرجفَ المنبرُ حتّى قلنا ليخرّنَّ عنهُ · وعنِ ابنِ عبّاسٍ كانَ حولَ البيتِ ستّونَ وثلثمائةِ

صَنَمٍ مُثْبَتَةَ الْأَرْجُلِ بِالرَّصَاصِ فِي الْحِجَارَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمَسُّهَا وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ الآيَةَ ، فَمَا أَشَارَ إِلَى وَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقَفَاهُ . وَلَا لِقَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ ، وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ : فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمِّهِ وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يَخْرُجُ إِلَى أَحَدٍ فَخَرَجَ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عِلْمُكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا لَهُ وَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيٍّ ، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ . ثُمَّ قَالَ : وَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ الْفَيْءُ إِلَيْهِ .

(فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات)

حَدَّثَنَا سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصِّقِلِّيُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّ وَثَبَتَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِئْ وَلَمْ يَذْهَبْ ، وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَ وَذَهَبَ . وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ صَادَ ضَبًّا فَقَالَ مَنْ هٰذَا ؟ قَالُوا نَبِيُّ اللهِ ، فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ بِكَ هٰذَا الضَّبُّ . وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ يَا ضَبُّ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ ، قَالَ مَنْ تَعْبُدُ ؟ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ ، قَالَ فَمَنْ أَنَا ؟ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ ، فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ .

وَمِنْ ذٰلِكَ قِصَّةُ كَلَامِ الذِّئْبِ الْمَشْهُورَةُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي : أَلَا تَتَّقِي اللهَ حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي ، قَالَ الرَّاعِي : الْعَجَبُ مِنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ ، فَقَالَ الذِّئْبُ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذٰلِكَ رَسُولُ اللهِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ

سَبَقَ ، فأَتى الرَّاعِي النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فأَخْبَرَهُ ، فقَالَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لهُ : قُمْ فحَدِّثْهُمْ ، ثُمَّ قالَ صَدَقَ . وَالْحديثُ فِيهِ قِصَّةٌ وَفي بَعْضِهِ طُولٌ . وَرُوِيَ حَديثُ الذِّئْبِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ وَفي بَعْضِ الطُّرُقِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقَالَ الذِّئْبُ أَنْتَ أَعْجَبُ وَاقِفًا عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبيًّا قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْرًا قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هٰذَا الشِّعْبُ فَتَصِيرُ فِي جُنُودِ اللهِ . قَالَ الرَّاعِي مَنْ لِي بِغَنَمِي ؟ قَالَ الذِّئْبُ : أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ ، فَأَسْلَمَ إِلَيْهِ غَنَمَهُ وَمَضَى ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلَامَهُ وَوُجُودَهُ النَّبيَّ ﷺ يُقَاتِلُ ، فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا ، فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ وَذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً مِنْهَا . وَعَنْ أُهْبَانَ بْنِ أَوْسٍ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ الْقِصَّةِ وَالْمُحَدِّثَ بِهَا وَمُكَلِّمَ الذِّئْبِ ، وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ هٰذِهِ الْقِصَّةِ أَيْضًا وَسَبَبَ إِسْلَامِهِ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَقَدْ رَوَى أَبْنُ وَهْبٍ مِثْلَ هٰذَا أَنَّهُ جَرَى لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مَعَ ذِئْبٍ وَجَدَاهُ أَخَذَ ظَبْيًا فَدَخَلَ الظَّبْيُ الْحَرَمَ فَانْصَرَفَ الذِّئْبُ : أَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، فقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ

ذَكَرْتَ هٰذَا بِمَكَّةَ لَتَرَكْنَهَا خُلُوفًا . وَقَدْ رُوِىَ مِثْلُ هٰذَا الْخَبَرِ وَأَنَّهُ جَرَى لِأَبِى جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ : لَمَّا تَعَجَّبَ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ صَنَمِهِ وَإِنْشَادِهِ الشِّعْرَ الَّذِى ذَكَرَ فِيهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا طَائِرٌ سَقَطَ فَقَالَ يَاعَبَّاسُ : أَتَعْجَبُ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ وَلَا تَعْجَبُ مِنْ نَفْسِكَ ؟ إِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْتَ جَالِسٌ ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمَا عَنْ رَجُلٍ أَتَى النَّبِيَّ صلى اللّٰهُ عليه وسلمَ وَآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ وَكَانَ فِى غَنَمٍ يَرْعَاهَا لَهُمْ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ كَيْفَ بِالْغَنَمِ ؟ قَالَ أَحْصِبْ وُجُوهَهَا فَإِنَّ اللّٰهَ سَيُؤَدِّى عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَرُدُّهَا إِلَى أَهْلِهَا ، فَفَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ : دَخَلَ النَّبِيُّ صلى اللّٰهُ عليه وسلمَ حَائِطَ أَنْصَارِىٍّ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمْ ، وَفِى الْحَائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا الْحَدِيثَ : وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا فَجَاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ وَذَكَرَ مِثْلَهُ ، وَمِثْلُهُ فِى الْجَمَلِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ وَيَعْلَى بْنِ مُرَّةَ وَعَبْدِ اللّٰهِ ابْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْحَائِطَ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ

دَعَاهُ فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَخَطَمَهُ ، وَقَالَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . وَمِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، وَفِي خَبَرٍ آخَرَ فِي حَدِيثِ الْجَمَلِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنِ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي شَاقِّ الْعَمَلِ مِنْ صِغَرِهِ ، فَقَالُوا نَعَمْ . وَقَدْ رُوِيَ فِي قِصَّةِ الْعَضْبَاءِ وَكَلَامِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْرِيفِهَا لَهُ بِنَفْسِهَا وَمُبَادَرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا فِي الرَّعْيِ وَتَجَنُّبِ الْوُحُوشِ عَنْهَا وَنِدَائِهِمْ لَهَا إِنَّكِ لِمُحَمَّدٍ وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى مَاتَتْ ذَكَرَهُ الْإِسْفِرَائِنِيُّ ، وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ : أَنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتِ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِهَا فَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ . وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : أَمَرَ اللهُ لَيْلَةَ الْغَارِ شَجَرَةً فَنَبَتَتْ تُجَاهَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَتَرَتْهُ وَأَمَرَ حَمَامَتَيْنِ فَوَقَفَتَا بِفَمِ الْغَارِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَى بَابِهِ فَلَمَّا أَتَى الطَّالِبُونَ لَهُ وَرَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمْ تَكُنِ الْحَمَامَتَانِ بِبَابِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ فَانْصَرَفُوا . وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ قُرِّبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَدَنَاتٌ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ لِيَنْحَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ فَازْدَلَفْنَ إِلَيْهِ بِأَيِّهِنَّ يَبْدَأُ . وَعَنْ

أُمِّ سَلَمَةَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَحْرَاءَ فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ يَا رَسُولَ ٱللهِ؟ قَالَ مَا حَاجَتُكِ، قَالَتْ صَادَنِي هٰذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانِ فِي ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَاطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ، قَالَ أَوَ تَفْعَلِينَ؟ قَالَتْ نَعَمْ، فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا، فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ تُطْلِقُ هٰذِهِ الظَّبْيَةَ، فَأَطْلَقَهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ.

وَمِنْ هٰذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ مِنْ تَسْخِيرِ الْأَسَدِ لِسَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ وَجَّهَهُ إِلَى مُعَاذٍ بِالْيَمَنِ فَلَقِيَ الْأَسَدَ فَعَرَّفَهُ أَنَّهُ مَوْلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ كِتَابُهُ فَهَمْهَمَ وَتَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ، وَذَكَرَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْهُ أَنَّ سَفِينَةً تَكَسَّرَتْ بِهِ فَخَرَجَ إِلَى جَزِيرَةٍ فَإِذَا الْأَسَدُ، فَقُلْتُ أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَغْمِزُنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَقَامَنِي عَلَى الطَّرِيقِ. وَأَخَذَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُذُنِ شَاةٍ لِقَوْمٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ثُمَّ خَلَّاهَا فَصَارَ لَهَا مِيسَمًا وَبَقِيَ ذَلِكَ الْأَثَرُ فِيهَا وَفِي نَسْلِهَا بَعْدُ. وَمَا رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَّادٍ بِسَنَدِهِ مِنْ كَلَامِ الْحِمَارِ الَّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ، وَقَالَ لَهُ اسْمِي يَزِيدُ بْنُ شِهَابٍ فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعْفُورًا وَأَنَّهُ كَانَ يُوَجِّهُهُ إِلَى دُورِ أَصْحَابِهِ فَيَضْرِبُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ بِرَأْسِهِ

وَيَسْتَدْعِيهِمْ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَاتَ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ جَزَعًا وَحُزْنًا فَمَاتَ ، وَحَدِيثُ النَّاقَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبِهَا أَنَّهُ مَا سَرَقَهَا وَأَنَّهَا مِلْكُهُ ، وَفِي حَدِيثِ الْعَنْزِ الَّتِي أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي عَسْكَرِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمْ عَطَشٌ وَنَزَلُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَهُمْ زُهَاءُ ثَلَاثِمَائَةٍ فَحَلَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَرْوَى الْجُنْدَ ، ثُمَّ قَالَ لِرَافِعٍ أَمْلِكْهَا وَمَا أَرَاكَ ، فَرَبَطَهَا فَوَجَدَهَا قَدِ انْطَلَقَتْ ، رَوَاهُ ابْنُ قَانِعٍ وَغَيْرُهُ ، وَفِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِهَا هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِهَا ، وَقَالَ لِفَرَسِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ : لَا تَبْرَحْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِنَا وَجَعَلَهُ قِبْلَتَهُ ، فَمَا حَرَّكَ عُضْوًا حَتَّى صَلَّى ﷺ وَيَلْتَحِقُ بِهَذَا مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَجَّهَ رُسُلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ فَخَرَجَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ ، وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ وَقَدْ جِئْنَا مِنْهُ بِالْمَشْهُورِ وَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ الْأَئِمَّةِ .

(فصل فى إحياء الموتى وكلامهم)

وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ وَالْقَاضِي

أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ رُشْدٍ وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ سَمَاعًا وَإِذْنًا قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ عَنْ خَالِدٍ هُوَ الطَّحَّانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، وَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتْ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا فَقُتِلَتْ. وَقَدْ رَوَى هٰذَا الْحَدِيثَ أَنَسٌ وَفِيهِ قَالَتْ: أَرَدْتُ قَتْلَكَ، فَقَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذٰلِكَ، فَقَالُوا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ لَا. وَكَذٰلِكَ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِ وَهْبٍ قَالَ: فَمَا عَرَضَ لَهَا، وَرَوَاهُ أَيْضًا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَفِيهِ أَخْبَرَتْنِي بِهِ هٰذِهِ الذِّرَاعُ قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا. وَفِي رِوَايَةِ الْحَسَنِ: أَنَّ فَخِذَهَا تُكَلِّمُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَتْ: إِنِّي مَسْمُومَةٌ وَكَذٰلِكَ

ذَكَرَ الْخَبَرَ ابنُ إِسْحٰقَ ، وَقَالَ فِيهِ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادُّنِي فَالآنَ أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي وَحَكَى ابنُ إِسْحٰقَ : أَنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ . وَقَالَ ابنُ سَحْنُونٍ : أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي سَمَّتْهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ الرِّوَايَاتِ فِي ذٰلِكَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ دَفَعَهَا لِأَوْلِيَاءِ بِشْرِ بنِ الْبَرَاءِ فَقَتَلُوهَا ، وَكَذَلِكَ قَدِ اخْتُلِفَ فِي قَتْلِهِ لِلَّذِي سَحَرَهُ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَعَفْوُهُ عَنْهُ أَثْبَتُ عِنْدَنَا ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَهُ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ الْبَزَّارُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَذَكَرَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ : كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَأَكَلْنَا ، وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ فَلَمْ تَضُرَّ مِنَّا أَحَدًا . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَقَدْ خَرَّجَ حَدِيثَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَخَرَّجَهُ الأَئِمَّةُ وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ .

وَاخْتَلَفَتْ أَئِمَّةُ أَهْلِ النَّظَرِ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ هُوَ كَلَامٌ يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّاةِ الْمَيِّتَةِ أَوِ الْحَجَرِ أَوِ الشَّجَرِ وَحُرُوفٌ

وَأَصْوَاتٌ يُحْدِثُهَا اللَّهُ فِيهَا وَيُسْمِعُهَا مِنْهَا دُونَ تَغْيِيرِ أَشْكَالِهَا وَنَقْلِهَا عَنْ هَيْئَتِهَا ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَآخَرُونَ ذَهَبُوا إِلَى إِيجَادِ الْحَيَاةِ بِهَا أَوَّلاً ثُمَّ الْكَلَامِ بَعْدَهُ . وَحُكِيَ هٰذَا عَنْ شَيْخِنَا أَبُو الْحَسَنِ وَكُلٌّ مُحْتَمَلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِذْ لَمْ نَجْعَلِ الْحَيَاةَ شَرْطًا لِوُجُودِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ ، إِذْ لَا يَسْتَحِيلُ وُجُودُهُمَا مَعَ عَدَمِ الْحَيَاةِ بِمُجَرَّدِهَا ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عِبَارَةً عَنِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ فَلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الْحَيَاةِ لَهَا إِذْ لَا يُوجَدُ كَلَامُ النَّفْسِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ خِلَافًا لِلْجُبَّائِيِّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ مُتَكَلِّمِي الْفِرَقِ فِي إِحَالَةِ وُجُودِ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ وَالْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ مُرَكَّبٍ عَلَى تَرْكِيبِ مَنْ يَصِحُّ مِنْهُ النُّطْقُ بِالْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي الْحَصَا وَالْجِذْعِ وَالذِّرَاعِ ، وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ فِيهَا حَيَاةً وَخَرَقَ لَهَا فَمًا وَلِسَانًا وَآلَةً أَمْكَنَهَا بِهَا الْكَلَامُ وَهٰذَا لَوْ كَانَ لَكَانَ نَقْلُهُ وَالتَّهَمُّمُ بِهِ آكَدَ مِنَ التَّهَمُّمِ بِنَقْلِ تَسْبِيحِهِ أَوْ حَنِينِهِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالرِّوَايَةِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَدَلَّ عَلَى سُقُوطِ دَعْوَاهُ مَعَ أَنَّهُ لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ وَالْمُوَفِّقُ اللَّهُ ، وَرَوَى وَكِيعٌ رَفَعَهُ عَنْ فَهْدِ ابْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ ، فَقَالَ مَنْ أَنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَرُوِيَ عَنْ مُعَرِّضِ

ابْن معيقب: رأيتُ من النبيِّ ﷺ عجبًا، جيءَ بصبيٍّ يوم وُلد فذكر مثلَه، وهو حديث مُبارك اليمامة ويُعرف بحديث شاصُونة اسم راويه، وفيه فقال له النبيُّ ﷺ: صدقتَ باركَ اللهُ فيك، ثُمَّ إنَّ الغُلام لم يتكلّم بعدها حتّى شبّ فكان يُسمّى مبارك اليمامة وكانت هذه القصّةُ بمكّة في حجّة الوداع. وعن الحسن أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فذكر له أنّه طرح بُنيّةً له في وادي كذا فانطلق معهُ إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله، فخرجتْ وهي تقولُ: لبّيك وسعديك، فقال لها إنّ أبويك قد أسلما فإن أحببتِ أن أردّكِ عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدتُ اللهَ خيرًا لي منهما. وعن أنسٍ أنّ شابًّا من الأنصار تُوفّي وله أمٌّ عجوزٌ عمياءُ فسجّيناهُ وعزّيناهُ، فقالتْ ماتَ ابني، قُلنا نعمْ، قالت: اللّهمّ إنْ كُنتَ تعلمُ أنّي هاجرتُ إليكَ وإلى رسولك رجاءَ أنْ تُعينني على كلِّ شدّةٍ فلا تحملنَّ عليَّ هذه المُصيبة، فما برحنا أنْ كشفَ الثّوبَ عن وجهه فطعم وطعمنا، ورُوي عن عبد الله بن عُبيد الله الأنصاريِّ: كُنتُ فيمن دفن ثابت بن قيس بن شمّاس وكان قُتل باليمامة، فسمعناهُ حين أدخلناهُ القبرَ يقولُ: مُحمّدٌ رسولُ الله، أبو بكرٍ الصّدّيقُ عُمرُ الشّهيدُ، عُثمانُ البرُّ الرّحيمُ، فنظرنا فإذا هُو ميّتٌ وذُكر

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ خَرَّ مَيِّتًا فِى بَعْضِ أَزِقَّةِ الْمَدِينَةِ فَرُفِعَ وَسُجِّىَ إِذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالنِّسَاءُ يَصْرُخْنَ حَوْلَهُ يَقُولُ: أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا فَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ النَّبِىُّ الْأُمِّىُّ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ كَانَ ذٰلِكَ فِى الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ صَدَقَ ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، ثُمَّ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَارَسُولُ ٱللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ .

(فصل فى إبراء المرضى وذوى العاهات)

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ مُشَرَّفٍ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحٰقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدُ بْنُ النَّحَّاسِ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَرْدِ عَنِ الْبَرْقِىِّ عَنِ ٱبْنِ هِشَامٍ عَنْ زِيَادٍ الْبَكَّائِىِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحٰقَ حَدَّثَنَا ٱبْنُ شِهَابٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَجَمَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ بِقَضِيَّةِ أُحُدٍ بِطُولِهَا ، قَالَ وَقَالُوا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيُنَاوِلُنِى السَّهْمَ لَا نَصْلَ لَهُ فَيَقُولُ ٱرْمِ بِهِ وَقَدْ رَمَى رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى ٱنْدَقَتْ وَأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ يَعْنِى ٱبْنَ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ : وَرَوَى قِصَّةَ قَتَادَةَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ٱبْنُ قَتَادَةَ وَيَزِيدُ بْنُ عِيَاضِ بْنُ عُمَرَ بْنُ قَتَادَةَ ، وَرَوَاهَا أَبُو سَعِيدٍ

الخدرىُّ عن قتادة وبصق على أثر سهمٍ فى وجه أبى قتادة فى يوم ذى قرد، قال فما ضرب علىَّ ولا قاح. وروى النسائىُّ عن عثمان بن حنيف أنَّ أعمى قال يا رسول الله ادعُ الله أن يكشف لى عن بصرى قال فانطلق فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل: اللهمَّ إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيِّ محمدٍ نبيِّ الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصرى اللهمَّ شفِّعه فىَّ، قال فرجع وقد كشف الله عن بصره. وروى أنَّ ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبًا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله. وذكر العقيلىُّ عن حبيب بن فديك ويقال فريك أنَّ أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئًا، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة وهو ابن ثمانين. ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحدٍ فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ، وتفل على شجة عبد الله بن أنيسٍ فلم تمد، وتفل فى عينى علىٍّ يوم خيبر وكان رمدًا فأصبح بارئًا، ونفث على ضربةٍ بساق سلمة ابن الأكوع يوم خيبر فبرئت، وفى رجل زيد بن معاذٍ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت، وعلى ساق علىٍّ

ابْنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذِ انْكَسَرَتْ فَبَرِئَ مَكَانَهُ، وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ . وَاشْتَكَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَعَلَ يَدْعُو فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ اشْفِهِ أَوْ عَافِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَمَا اشْتَكَى ذَلِكَ الْوَجَعَ بَعْدُ. وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَلْصَقَهَا فَلَصِقَتْ رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ . وَمِنْ رِوَايَتِهِ أَيْضًا أَنَّ حُبَيْبَ بْنَ يَسَافٍ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبَةٍ عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى مَالَ شِقُّهُ ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَفَثَ عَلَيْهِ حَتَّى صَحَّ . وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ مَعَهَا صَبِيٌّ بِهِ بَلَاءٌ لَا يَتَكَلَّمُ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ فَاهُ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَأَمَرَهَا بِسَقْيِهِ وَمَسِّهِ بِهِ فَبَرَأَ الْغُلَامُ وَعَقَلَ عَقْلًا يَفْضُلُ عُقُولَ النَّاسِ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جُنُونٌ فَمَسَحَ صَدْرَهُ فَثَعَّ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجِرْوِ الْأَسْوَدِ ، فَسَعَى وَانْكَفَأَتِ الْقِدْرُ عَلَى ذِرَاعِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَهُوَ طِفْلٌ فَمَسَحَ عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَتَفَلَ فِيهِ فَبَرَأَ لِحِينِهِ ، وَكَانَتْ فِي كَفِّ شُرَحْبِيلَ الْجُعْفِيِّ سِلْعَةٌ تَمْنَعُهُ الْقَبْضَ عَلَى السَّيْفِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ فَشَكَاهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَازَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ . وَسَأَلَتْهُ جَارِيَةٌ طَعَامًا وَهُوَ يَأْكُلُ فَنَاوَلَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا

أُرِيدُ مِنَ الَّذِي فِي فِيكَ ، فَنَاوَلَهَا مِنَ الَّذِي فِي فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَالَمْ تَكُنِ امْرَأَةٌ بِالْمَدِينَةِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا .

(فصل فى إجابة دعائه ﷺ وهذا باب واسع جدا) .

وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمَاعَةٍ بِمَا دَعَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مُتَوَاتِرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً . وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتِ الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ . حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَتَّابِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ ابْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حدثنا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا حَرَمِيٌّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا آتَيْتَهُ . وَمِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ قَالَ أَنَسٌ : فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيُعَادُّونَ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَصَابَ مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي لَا أَقُولُ سُقْطًا وَلَا وَلَدَ وَلَدٍ . وَمِنْهُ دُعَاؤُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ قَالَ

عَبْدُ الرَّحْمٰنِ : فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبًا ، وَفَتَحَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ ، وَمَاتَ فَحُفِرَ الذَّهَبُ مِنْ تَرِكَتِهِ بِالْفُؤُسِ حَتَّى مَجِلَتْ فِيهِ ٱلْأَيْدِي وَأَخَذَتْ كُلُّ زَوْجَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَكُنَّ أَرْبَعًا . وَقِيلَ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَقِيلَ بَلْ صُولِحَتْ إِحْدَاهُنَّ لِأَنَّهُ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ عَلَى نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَوْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفًا بَعْدَ صَدَقَاتِهِ الْفَاشِيَةِ فِي حَيَاتِهِ وَعَوَارِفِهِ الْعَظِيمَةِ ، أَعْتَقَ يَوْماً ثَلَاثِينَ عَبْدًا وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعِيرٍ فِيهَا سَبْعُمَائَةِ بَعِيرٍ وَرَدَتْ عَلَيْهِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا وَبِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا . وَدَعَا لِمُعَاوِيَةَ بِالتَّمْكِينِ فَنَالَ الْخِلَافَةَ ، وَلِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنْ يُجِيبَ اللّٰهُ دَعْوَتَهُ فَمَا دَعَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ . وَدَعَا بِعِزِّ الْإِسْلَامِ بِعُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِي عُمَرَ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ ، وَأَصَابَ النَّاسَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ عَطَشٌ فَسَأَلَهُ عُمَرُ الدُّعَاءَ ، فَدَعَا فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَسَقَتْهُمْ حَاجَتَهُمْ ثُمَّ أَقْلَعَتْ وَدَعَا فِي الِاسْتِسْقَاءِ فَسُقُوا ، ثُمَّ شَكَوْا إِلَيْهِ الْمَطَرَ فَدَعَا فَصَحَوْا ، وَقَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ : أَفْلَحَ وَجْهُكَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكَأَنَّهُ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَالَ لِلنَّابِغَةِ : لَا يَفْضُضِ اللّٰهُ فَاكَ فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ . وَفِي رِوَايَةٍ :

فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة ، وقيل أكثر من هذا . ودعا لابن عباس فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الحبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه . ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ، ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال : فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا . وقال البخاري في حديثه : فكان لو اشترى التراب ربح فيه ، وروى مثل هذا لغرقدة أيضا ، وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه . ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ، ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد . ودعا لفاطمة ابنته الله أن لا يجيعها ، قالت فما جعت بعد . وسأله الطفيل بن عمر آية لقومه فقال : اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه ، فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه ، فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمى ذا النور ، ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ، ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم

تَبْقَ لَهُ بَاقِيَةٌ وَلاَ بَقِيَتْ لِفَارِسٍ رِيَاسَةٌ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا ، وَدَعَا عَلَى صَبِيٍّ قَطَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةَ أَنْ يَقْطَعَ اللهُ أَثَرَهُ فَأُقْعِدَ . وَقَالَ لِرَجُلٍ رَآهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ كُلْ بِيَمِينِكَ ، فَقَالَ لاَأَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ لاَ اسْتَطَعْتَ فَلَمْ يَرْفَعْهَا إِلَى فِيهِ . وَقَالَ لِعُتْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ : اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلاَبِكَ فَأَكَلَهُ الأَسَدُ . وَقَالَ لِامْرَأَةٍ أَكَلَكِ الأَسَدُ فَأَكَلَهَا . وَحَدِيثُهُ الْمَشْهُورُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي دُعَائِهِ عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ وَضَعُوا السَّلاَحَ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ مَعَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ وَسَمَّاهُمْ وَقَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ . وَدَعَا عَلَى الْحَكَمِ أَبْنِ أَبِي الْعَاصِ وَكَانَ يَخْتَلِجُ بِوَجْهِهِ وَيَغْمِزُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَيْ لاَ ، فَرَآهُ ، فَقَالَ كَذٰلِكَ كُنْ ، فَلَمْ يَزَالْ يَخْتَلِجُ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَدَعَا عَلَى مُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ فَمَاتَ لِسَبْعٍ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، ثُمَّ وُرِيَ فَلَفَظَتْهُ مَرَّاتٍ فَأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَّيْنِ وَرَضَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ ، الصُّدُّ : جَانِبُ الْوَادِي . وَجَحَدَهُ رَجُلٌ بَيْعَ فَرَسٍ وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ فِيهَا خُزَيْمَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَرَدَّ الْفَرَسَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلاَ تُبَارِكْ لَهُ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ شَاصِبَةً بِرِجْلِهَا أَيْ رَافِعَةً ، وَهٰذَا الْبَابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ .

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه وسلم

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حدَّثنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ إِجَازَةً وَحَدَّثنَا القَاضِي أَبُوعَلِيٍّ سَمَاعًا ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ وَغَيْرُهُما قَالُوا حَدَّثنَا أَبُو الْوَلِيدِ الْقَاضِي حَدَّثنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ حَدَّثنا أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو إِسْحٰقَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ قَالُوا حَدَّثنَا الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثنَا الْبُخَارِيُّ حَدثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عنهُ : أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ أَوْ بِهِ قِطَافٌ ، وَقَالَ غَيْرُهُ يُبَطَّأُ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْرًا فَكَانَ بَعْدُ لَا يُجَارَى ،وَنَخَسَ جَمَلَ جَابِرٍ وَكَانَ قَدْ أَعْيَا فَنَشِطَ حَتَّى كَانَ مَا يَمْلِكُ زِمَامَهُ ، وَصَنَعَ مِثْلَ ذٰلِكَ بِفَرَسٍ لِجُعَيْلٍ الْأَشْجَعِيِّ خَفَقَهَا بِمَخْفَقَةٍ مَعَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَمْلِكْ رَأْسَهَا نَشَاطًا وَبَاعَ مِنْ بَطْنِهَا بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَرَكِبَ حِمَارًا قَطُوفًا لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَرَدَّهُ هِمْلَاجًا لَا يُسَايَرُ ، وَكَانَتْ شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِهِ فِي قَلَنْسُوَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا قِتَالًا إِلَّا رُزِقَ النَّصْرَ . وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةً طَيَالِسَةً وَقَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى

بِهَا * حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ كَانَتْ عِنْدَنَا قِصْعَةٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا وَأَخَذَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الْآكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ ، وَسَكَبَ مِنْ فَضْلِ وُضُوئِهِ فِي بِئْرِ قُبَاءٍ فَمَا نَزَفَتْ بَعْدُ وَبَزَقَ فِي بِئْرٍ كَانَتْ فِي دَارِ أَنَسٍ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَعْذَبَ مِنْهَا ، وَمَرَّ عَلَى مَاءٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ اسْمُهُ بَيْسَانُ وَمَاؤُهُ مِلْحٌ فَقَالَ بَلْ هُوَ نُعْمَانُ وَمَاؤُهُ طَيِّبٌ فَطَابَ ، وَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَمَجَّ فِيهِ فَصَارَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ ، وَأَعْطَى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لِسَانَهُ فَمَصَّاهُ وَكَانَا يَبْكِيَانِ عَطَشًا فَسَكَتَا ، وَكَانَ لِأُمِّ مَالِكٍ عُكَّةٌ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَعْصُرَهَا ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا يَسْأَلُونَهَا الْأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَيْهَا فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا فَكَانَتْ تُقِيمُ أُدْمَهَا حَتَّى عَصَرَتْهَا ، وَكَانَ يَتْفُلُ فِي أَفْوَاهِ الصِّبْيَانِ الْمَرَاضِعِ فَيُجْزِئُهُمْ رِيقُهُ إِلَى اللَّيْلِ : وَمِنْ ذَلِكَ بَرَكَةُ يَدِهِ فِيمَا لَمَسَهُ وَغَرَسَهُ لِسَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ كَاتَبَهُ مَوَالِيهِ عَلَى ثَلَثِمِائَةِ وَدِيَّةٍ يَغْرِسُهَا لَهُمْ كُلُّهَا تَعْلَقُ وَتُطْعِمُ وَعَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَامَ ﷺ وَغَرَسَهَا لَهُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً غَرَسَهَا غَيْرُهُ

فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي ﷺ وردها فأخذت، وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم.

وفي حديث خنش بن عقيل سقاني رسول الله ﷺ شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت. وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا، فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله ابن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده

سَيْفاً . وَمِنْهُ بَرَكَتُهُ فِي دُرُورِ الشِّيَاهِ الْحَوَائِلِ بِاللَّبَنِ الْكَثِيرِ ، كَقِصَّةِ شَاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَأَعْنُزِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ وَشَاةِ أَنَسٍ ، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ مُرْضِعَتِهِ وَشَارِفِهَا ، وَشَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَكَانَتْ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا فَحْلٌ وَشَاةِ الْمِقْدَادِ . وَمِنْ ذٰلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكَاهُ وَدَعَا فِيهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُمُ الصَّلَاةُ نَزَلُوا فَحَلُّوهُ فَإِذَا بِهِ لَبَنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِي فَمِهِ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وَبَرَّكَ فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ فَمَا شَابَ . وَرُوِيَ مِثْلُ هٰذِهِ الْقِصَصِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْهُمُ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ وَمَدْلُوكٌ ، وَكَانَ يُوجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ طِيبٌ يَغْلِبُ طِيبَ نِسَائِهِ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ بِيَدَيْهِ عَلَى بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ ، وَسَلَتَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو وَكَانَ جُرِحَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَدَعَا لَهُ فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ . وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ الْجُذَامِيِّ وَدَعَا لَهُ فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَرَأْسُهُ أَبْيَضُ وَمَوْضِعُ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعَرِهِ أَسْوَدُ ، فَكَانَ يُدْعَى الْأَغَرَّ . وَرُوِيَ مِثْلُ هٰذِهِ الْحِكَايَةِ لِعَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْجُهَنِيِّ ، وَمَسَحَ وَجْهَ آخَرَ فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ ، وَمَسَحَ وَجْهَ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ فَكَانَ لِوَجْهِهِ بَرِيقٌ حَتَّى كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمِرْآةِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمٍ

وَبَرَّكَ عَلَيْهِ فَكَانَ حَنْظَلَةَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ وَرِمَ وَجْهُهُ وَالشَّاةِ قَدْ وَرِمَ ضَرْعُهَا فَيُوضَعُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ وَنَضَحَ فِي وَجْهِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً مِنْ مَاءٍ فَمَا يُعْرَفُ كَانَ فِي وَجْهِ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَمَالِ مَا بِهَا ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ صَبِيٍّ بِهِ عَاهَةٌ فَبَرَأَ وَاسْتَوَى شَعَرُهُ ، وَمِثْلُهُ رُوِيَ فِي خَبَرِ الْمُهَلَّبِ بْنِ قُبَالَةَ وَعَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ فَبَرَؤُا ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ بِهِ أُدْرَةٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا بِمَاءٍ مِنْ عَيْنٍ مَجَّ فِيهِ فَفَعَلَ فَبَرَؤُا . وَعَنْ طَاوُسٍ : لَمْ يُؤْتَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ إِلَّا ذَهَبَ . الْمَسُّ : الْجُنُونُ . وَمَرَّ فِي دَلْوٍ مِنْ بِئْرٍ ثُمَّ صَبَّ فِيهَا فَفَاحَ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ وَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَانْصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذَى عَنْ أَعْيُنِهِمْ . وَشَكَى إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النِّسْيَانَ فَأَمَرَهُ بِبَسْطِ ثَوْبِهِ وَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ثُمَّ أَمَرَهُ بِضَمِّهِ فَفَعَلَ فَمَا نَسِيَ شَيْئًا بَعْدُ ، وَمَا يُرْوَى عَنْهُ فِي هٰذَا كَثِيرٌ . وَضَرَبَ صَدْرَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَدَعَا لَهُ ، وَكَانَ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَصَارَ مِنْ أَفْرَسِ الْعَرَبِ وَأَثْبَتِهِمْ ، وَمَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ صَغِيرٌ وَكَانَ دَمِيمًا وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فَفَرَعَ الرِّجَالَ طُولًا وَتَمَامًا .

(فصل ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون)

وَالْأَحَادِيثُ فِى هٰذَا الْبَابِ بَحْرٌ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَلَا يُنْزَفُ غَمْرُهُ ، وَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ مِنْ جُمْلَةِ مُعْجِزَاتِهِ الْمَعْلُومَةِ عَلَى الْقَطْعِ الْوَاصِلِ إِلَيْنَا خَبَرُهَا عَلَى التَّوَاتُرِ لِكَثْرَةِ رُوَاتِهَا وَاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ * حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفِهْرِىُّ إِجَازَةً وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حدثنا أَبُو عَلِيٍّ التُّسْتَرِىُّ حدثنا أَبُو عُمَرَ الْهَاشِمِىُّ حدثنا اللُّؤْلُؤِىُّ حدثنا أَبُو دَاوُدَ حدثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حدثنا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِى وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَامَ فِينَا رسولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِى مَقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِى هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّىْءُ فَأَعْرِفُهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ ، ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ مَا أَدْرِى أَنَسِىَ أَصْحَابِى أَمْ تَنَاسَوْهُ ، وَاللهِ مَا تَرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِىَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلٰثَمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تَرَكَنَا رسولُ اللهِ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِى السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا . وَقَدْ خَرَّجَ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَالْأَئِمَّةُ مَا أَعْلَمَ بِهِ أَصْحَابَهُ ﷺ

مِمَّا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَظُهُورِ الْأَمْنِ حَتَّى تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ لَا تَخَافُ إِلَّا اللّٰهُ ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ سَتُغْزَى وَتُفْتَحُ خَيْبَرُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ فِي غَدِ يَوْمِهِ ، وَمَا يَفْتَحُ اللّٰهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُؤْتَوْنَ مِنْ زَهْرَتِهَا وَقِسْمَتِهِمْ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتُونِ وَالِاخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ ، وَافْتِرَاقِهِمْ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً النَّاجِيَةُ مِنْهَا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ أَنْمَاطٌ وَيَغْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَتُرْفَعُ أُخْرَى وَيَسْتُرُونَ بُيُوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ . ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ : وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَأَنَّهُمْ إِذَا مَشَوُا الْمُطَيْطَاءَ وَخَدَمَتْهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ رَدَّ اللّٰهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ وَسَلَّطَ شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ ، وَقِتَالِهِمُ التُّرْكَ وَالْخَزَرَ وَالرُّومَ ، وَذَهَابِ كِسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لَا كِسْرَى وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابِ قَيْصَرَ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ . وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتَ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، وَبِذَهَابِ الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلِ مِنَ النَّاسِ ، وَتَقَارُبِ الزَّمَانِ وَقَبْضِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ وَالْهَرْجِ وَقَالَ : وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، وَأَنَّهُ زُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَأُرِيَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا . وَلِذٰلِكَ

أُمْتَدَّتْ فى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلى بَحْرِ طَنْجَةَ حَيْثُ لَاعِمَارَةَ وَرَاءَهُ . وَذٰلِكَ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ وَلَمْ تَمْتَدَّ فى الْجُنُوبِ وَلَا فى الشَّمالِ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَقَوْلُهُ : لَايَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، ذَهَبَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ إِلَى أَنَّهُمُ الْعَرَبُ لِأَنَّهُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِالسَّقْيِ بِالْغَرْبِ وَهِيَ الدَّلْوُ ، وَغَيْرُهُ يَذْهَبُ إِلى أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَقَدْ وَرَدَ الْمَغْرِبُ كَذَا فى الْحَدِيثِ بِمَعْنَاهُ

وَفى حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ : لَاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ كَذٰلِكَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَخْبَرَ بِمُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَوِلَايَةِ مُعَاوِيَةَ وَوَصَّاهُ وَاتِّخَاذِ بَنِي أُمَيَّةَ مَالَ اللّٰهِ دُوَلاً ، وَخُرُوجِ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّودِ ، وَمُلْكِهِمْ أَضْعَافَ مَا مَلَكُوا ، وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَمَا يَنَالُ أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَتَقْتِيلِهِمْ وَتَشْرِيدِهِمْ ، وَقَتْلِ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ أَشْقَاهَا الَّذِي يَخْضِبُ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ أَيْ لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَأَنَّهُ قَسِيمُ النَّارِ يَدْخُلُ أَوْلِيَاؤُهُ الْجَنَّةَ وَأَعْدَاؤُهُ النَّارَ ، فَكَانَ فِيمَنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ وَالنَّاصِبَةُ وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يَنْسُبُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَافِضِ كَفَّرُوهُ . وَقَالَ : يُقْتَلُ عُثْمَانُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ وَأَنَّ اللّٰهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصًا ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ ، وَأَنَّهُ سَيَقْطُرُ

دمه على قوله تعالى : فسيكفيكهم الله . وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًّا ، وبمحاربة الزبير لعلي ، وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه ، وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت ، فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة ، وأن عمارًا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية ، وقال لعبد الله بن الزبير : ويل للناس منك وويل لك من الناس . وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه . وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة ابن جندب وحذيفة آخركم موتًا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتًا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها . وقال في حنظلة الغسيل : سلوا زوجته عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبًا وأعجله الحال عن الغسل ، قال أبو سعيد رضي الله عنه ووجدنا رأسه يقطر ماء . وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين ، وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير ، فرأوهما الحجاج والمختار ، وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقًا به ، وأنذر بالردة ، وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي ، وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون

رَحْمَةً وَخِلَافَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضًا ثُمَّ يَكُونُ عُتُوًّا وَجَبَرُوتًا وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ : وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ ، وَ بِأُمَرَاءَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ، وَسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا فِيهِمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثَلَاثُونَ دَجَّالًا كَذَّابًا أَحَدُهُمُ الدَّجَّالُ الْكَذَّابُ كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ . وَقَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمُ الْعَجَمُ يَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعَصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ . وَقَالَ خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ . وَقَالَ : لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ . وَقَالَ هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رِوَايَةً : لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمْ لَكُمْ بَنُو فُلَانٍ وَبَنُو فُلَانٍ ، وَأَخْبَرَ بِظُهُورِ الْقَدَرِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَسَبِّ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، وَقِلَّةِ الْأَنْصَارِ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ فَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَتَبَدَّدُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ بَعْدَهُ أَثَرَةً . وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ الْخَوَارِجِ وَصِفَتِهِمْ وَالْمُخْدَجِ الَّذِي فِيهِمْ وَأَنَّ سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ وَتَرَى رُعَاءَ الْغَنَمِ رُؤُسَ النَّاسِ وَالْعُرَاةَ الْحُفَاةَ يَتَبَارُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، وَأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنَّ قُرَيْشًا وَالْأَحْزَابَ لَا يَغْزُونَهُ

أَبدًا وَأَنَّهُ يغزوهم . وَأَخبرَ بالموتانِ الذى يكون بعدَ فتحِ بيتِ المقدسِ وماوعدَ منْ سكنى البصرةِ وأنهمْ يغزونَ فى البحرِ كالملوكِ على الأسرَّةِ ، وأنَّ الدينَ لوْ كانَ منوطًا بالثريَّا لنالهُ رجالٌ منْ أبناءِ فارسَ وهاجتْ ريحٌ فى غزاتهِ فقالَ هاجتْ لموتِ منافقٍ فلما رجعوا إلى المدينةِ وجدوا ذلكَ . وقالَ لقومٍ منْ جلسائهِ ضرسُ أحدِكمْ فى النارِ أعظمُ منْ أحدٍ ، قالَ أبو هريرةَ فذهبَ القومُ يعنى ماتوا وبقيتُ أنا ورجلٌ فقتلَ مرتدًّا يومَ اليمامةِ . وأعلمَ بالذى غلَّ خرزًا منْ خرزِ يهودَ فوجدتْ فى رحلهِ ، وبالذى غلَّ الشملةَ وحيثُ هىَ وناقتهُ حينَ ضلتْ وكيفَ تعلقتْ بالشجرةِ بخطامها . وبشأنِ كتابِ حاطبٍ إلى أهلِ مكةَ وبقضيةِ عميرٍ معَ صفوانَ حينَ سارَّهُ وشارطهُ على قتلِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فلما جاءَ عميرٌ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قاصدًا لقتلهِ وأطلعهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على الأمرِ والسرِّ أسلمَ . وأخبرَ بالمالِ الذى تركهُ عمهُ العباسُ رضى اللهُ عنهُ عندَ أمِّ الفضلِ بعدَ أنْ كتمهُ فقالَ ما علمهُ غيرى وغيرها فأسلمَ . وأعلمَ بأنهُ سيقتلُ أبىَّ بنَ خلفٍ وفى عتبةَ بنِ أبى لهبٍ أنهُ يأكلهُ كلبُ اللهِ وعنْ مصارعِ أهلِ بدرٍ فكانَ كما قالَ . وقالَ فى الحسنِ إنَّ ابنى هذا سيدٌ وسيصلحُ اللهُ بهِ بينَ فئتينِ ، ولسعدٍ ولعلكَ تخلفُ حتى ينتفعُ بكَ أقوامٌ

وَيَسْتَنْصِرُ بِكَ آخَرُونَ . وَأَخْبَرَ أَهْلَ مُؤْتَةَ يَوْمَ قُتِلُوا وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ أَوْ أَزْيَدَ وَبِمَوْتِ النَّجَاشِيِّ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ بِأَرْضِهِ . وَأَخْبَرَ فَيْرُوزَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولًا مِنْ كِسْرَى بِمَوْتِ كِسْرَى ذَٰلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا حَقَّقَ فَيْرُوزُ الْقِصَّةَ أَسْلَمَ . وَأَخْبَرَ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَطْرِيدِهِ كَمَا كَانَ وَوَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمًا فَقَالَ لَهُ كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ ؟ قَالَ أَسْكُنُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، قَالَ فَإِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ ؟ الْحَدِيثَ ، وَبِعَيْشِهِ وَحْدَهُ وَمَوْتِهِ وَحْدَهُ . وَأَخْبَرَ أَنَّ أَسْرَعَ أَزْوَاجِهِ بِهِ لُحُوقًا أَطْوَلُهُنَّ يَدًا فَكَانَتْ زَيْنَبَ لِطُولِ يَدِهَا بِالصَّدَقَةِ . وَأَخْبَرَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً وَقَالَ فِيهَا مَضْجَعُهُ . وَقَالَ فِي زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ يَسْبِقُهُ عُضْوٌ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ فِي الْجِهَادِ . وَقَالَ فِي الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَلَى حِرَاءٍ . أَثْبُتْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ ، فَقُتِلَ عَلِيٌّ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطُعِنَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَقَالَ لِسُرَاقَةَ : كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ وَقَالَ : تُبْنَى مَدِينَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ وَقُطْرُبُلَّ وَالصَّرَاةِ تُجْبَى إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِهَا يَعْنِي بَغْدَادَ وَقَالَ سَيَكُونُ فِي هَٰذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ هُوَ شَرٌّ لِهَٰذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ

لِقَوْمِهِ . وَقَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ . وَقَالَ لِعُمَرَ فِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا يَسُرُّكَ فَكَانَ كَذَلِكَ ، قَامَ بِمَكَّةَ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَلَغَهُمْ مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ وَخَطَبَ بِنَحْوِ خُطْبَتِهِ وَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى بَصَائِرَهُمْ ، وَقَالَ لِخَالِدٍ حِينَ وَجَّهَهُ لِأُكَيْدِرَ : إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ فَوَجَدَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا قَالَ ﷺ إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ جُلَسَاءَهُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ وَأُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ فِيهِ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ أُسْكُتْ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُخْبِرُهُ لَأَخْبَرَتْهُ حِجَارَةُ الْبَطْحَاءِ ، وَإِعْلَامُهُ بِصِفَةِ السِّحْرِ الَّذِي سَحَرَهُ بِهِ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ وَكَوْنِهِ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ فِي جُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ وَأَنَّهُ أُلْقِيَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَكَانَ كَمَا قَالَ ، وَوُجِدَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ ، وَإِعْلَامُهُ قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرَضَةِ مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ وَأَنَّهَا أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلَّهِ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ ، وَوَصْفُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حِينَ كَذَّبُوهُ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ وَنَعْتُهُ إِيَّاهُ نَعْتَ مَنْ عَرَفَهُ ، وَإِعْلَامُهُمْ بِعِيرِهِمُ الَّتِي مَرَّ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهِ وَإِنْذَارُهُمْ بِوَقْتِ وُصُولِهَا فَكَانَ كُلُّهُ كَمَا قَالَ ، إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ

مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَكُونُ وَلَمْ تَأْتِ بَعْدُ مِنْهَا مَا ظَهَرَتْ مُقَدِّمَاتُهَا كَقَوْلِهِ : عِمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَآيَاتِ حُلُولِهَا وَذِكْرِ النَّشْرِ وَالْحَشْرِ وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، وَبِحَسْبِ هٰذَا الْفَصْلِ أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا مُفْرَدًا يَشْتَمِلُ عَلَى أَجْزَاءٍ وَحْدَهُ ، وَفِيمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ نُكَتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كِفَايَةٌ وَأَكْثَرُهَا فِي الصَّحِيحِ وَعِنْدَ الْأَئِمَّةِ

(فصل فى عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » وَقَالَ تَعَالَى : وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » قِيلَ بِكَافٍ مُحَمَّدًا ﷺ أَعْدَاءَهُ الْمُشْرِكِينَ ، وَقِيلَ غَيْرُ هٰذَا ، وَقَالَ : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » وَقَالَ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا » الْآيَةَ . أَخْبَرَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ وَالْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُعَافِرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ حدثنا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حدثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نزلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ « وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ : يا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نزَلَ مَنْزِلًا اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابُهُ شَجَرَةً يَقِيلُ تَحْتَهَا ، فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأُرْعِدَتْ يَدُ الْأَعْرَابِيِّ وَسَقَطَ سَيْفُهُ وَضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى سَالَ دِمَاغُهُ فَنَزَلَتِ الآيَةُ وَقَدْ رُوِيَتْ هٰذِهِ الْقِصَّةُ فِي الصَّحِيحِ وَأَنَّ غُورَثَ بْنَ الحَارِثِ صَاحِبُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَفَا عَنْهُ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ . وَقَدْ حُكِيَتْ مِثْلُ هٰذِهِ الحِكَايَةِ أَنَّهَا جَرَتْ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَذَكَرَ مِثْلَهُ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ مِثْلُهَا فِي غَزْوَةِ غَطْفَانَ بِذِي أَمَرٍ مَعَ رَجُلٍ اسْمُهُ دُعْثُورُ بنُ الْحَارِثِ وَأَنَّ الرَّجُلَ أَسْلَمَ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَأَشْجَعَهُمْ ، قَالُوا لَهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَكَ ؟ فَقَالَ إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي وَسَقَطَ السَّيْفُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ وَأَسْلَمْتُ . قِيلَ وَفِيهِ نَزَلَتْ : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ

اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ » الآيَةُ . وَفِي رِوَايَةِ الْخَطَّابِيِّ أَنَّ غُورَثَ بنَ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيَّ أَرَادَ أَنْ يَفْتِكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ مُنْتَضِيًا سَيْفَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَبَّ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلَّخَةٍ زُلِخَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَنَدَرَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ ، وَالزُّلَّخَةُ وَجَعُ الظَّهْرِ وَقِيلَ فِي قِصَّتِهِ غَيْرُ هٰذَا . وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ » الآيَةَ . وَقِيلَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخَافُ قُرَيْشًا فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ اسْتَلْقَى ، ثُمَّ قَالَ مَنْ شَاءَ فَلْيَخْذُلْنِي . وَذَكَرَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ قَالَ كَانَتْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ تَضَعُ الْعِضَاةَ وَهِيَ جَمْرٌ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَأَنَّمَا يَطَؤُهَا كَثِيبًا أَهْيَلَ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحٰقَ عَنْهَا أَنَّهَا لَمَّا بَلَغَهَا نُزُولُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَذِكْرُهَا بِمَا ذَكَرَهَا اللهُ مَعَ زَوْجِهَا مِنَ الذَّمِّ ، أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا لَمْ تَرَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ وَأَخَذَ اللهُ تَعَالَى بِبَصَرِهَا عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَيْنَ صَاحِبُكَ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهٰذَا الْفِهْرِ فَاهُ . وَعَنِ الْحَكَمِ بنِ أَبِي الْعَاصِي قَالَ تَوَاعَدْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ سَمِعْنَا صَوْتًا خَلْفَنَا مَا ظَنَنَّا

أَنَّهُ بَقِيَ بِتِهَامَةَ أَحَدٌ فَوَقَعْنَا مَغْشِيًّا عَلَيْنَا ، فَمَا أَفَقْنَا حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، ثُمَّ تَوَاعَدْنَا لَيْلَةً أُخْرَى فَجِئْنَا حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ جَاءَتِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ فَحَالَتْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ . وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ تَوَاعَدْتُ أَنَا وَأَبُو جَهْمٍ ابْنُ حُذَيْفَةَ لَيْلَةً قَتْلِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا مَنْزِلَهُ فَسَمِعْنَا لَهُ فَافْتَتَحَ وَقَرَأَ : « الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ — إِلَى — فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » فَضَرَبَ أَبُو جَهْمٍ عَلَى عَضُدِ عُمَرَ وَقَالَ انْجُ وَفَرَّا هَارِبَيْنِ فَكَانَتْ مِنْ مُقَدِّمَاتِ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ . وَمِنْهُ الْعِبْرَةُ الْمَشْهُورَةُ وَالْكِفَايَةُ التَّامَّةُ عِنْدَ مَا أَخَافَتْهُ قُرَيْشٌ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ وَ بَيَّتُوهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِهِ فَقَامَ عَلَى رُؤُسِهِمْ وَقَدْ ضَرَبَ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ وَذَرَّ التُّرَابَ عَلَى رُؤُسِهِمْ وَخَلَصَ مِنْهُمْ ، وَحِمَايَتُهُ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ فِي الْغَارِ بِمَا هَيَّأَ اللّٰهُ لَهُ مِنَ الآيَاتِ وَمِنَ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي نَسَجَ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ حِينَ قَالُوا نَدْخُلُ الْغَارَ مَا أَرَبُكُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِ مِنْ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ مَا أَرَى أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ مُحَمَّدٌ وَوَقَفَتْ حَمَامَتَانِ عَلَى فَمِ الْغَارِ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ الْحَمَامُ . وَقِصَّتُهُ مَعَ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ حِينَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيهِ وَفِي أَبِي بَكْرٍ الْجَعَائِلَ فَأُنْذِرَ بِهِ فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَاتَّبَعَهُ حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنْهُ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ

قَوَائِمُ فَرَسِهِ فَخَرَّ عَنْهَا وَاسْتَقْسَمَ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ لَهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ رَكِبَ وَدَنَا حَتَّى سَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَلْتَفِتُ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُتِينَا ؟ فَقَالَ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا، فَسَاخَتْ ثَانِيَةً إِلَى رُكْبَتَيْهَا وَخَرَّ عَنْهَا، فَزَجَرَهَا فَنَهَضَتْ وَلِقَوَائِمِهَا مِثْلُ الدُّخَانِ فَنَادَاهُمْ بِالْأَمَانِ، فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمَانًا كَتَبَهُ ابْنُ فُهَيْرَةَ وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِالْأَخْبَارِ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا يَتْرُكَ أَحَدًا يَلْحَقُ بِهِمْ، فَانْصَرَفَ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُفِيتُمْ مَا هَاهُنَا، وَقِيلَ بَلْ قَالَ لَهُمَا أَرَاكُمَا دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي

وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ظُهُورُ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: أَنَّ رَاعِيًا خَبَرَهُمَا فَخَرَجَ يَشْتَدُّ يُعْلِمُ قُرَيْشًا، فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضُرِبَ عَلَى بِهِ فَمَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ وَأُنْسِيَ مَا خَرَجَ لَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ.

وَجَاءَهُ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ أَبُو جَهْلٍ بِصَخْرَةٍ وَهُوَ سَاجِدٌ وَقُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ لِيَطْرَحَهَا عَلَيْهِ فَلَزِقَتْ بِيَدِهِ وَيَبِسَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ وَأَقْبَلَ يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى إِلَى خَلْفِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَفَعَلَ فَانْطَلَقَتْ يَدَاهُ، وَكَانَ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ وَحَلَفَ لَئِنْ رَآهُ لَيَدْمَغَنَّهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَذَكَرَ أَنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ هَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ذَاكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنَا

لَأَخَذَهُ . وَذَكَرَ السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ فَطَمَسَ اللهُ عَلَى بَصَرِهِ فَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَسَمِعَ قَوْلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ نَزَلَتْ « إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا » الْآيَتَيْنِ . وَمِنْ ذٰلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحٰقَ فِي قِصَّتِهِ إِذْ خَرَجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَجَلَسَ إِلَى جِدَارِ بَعْضِ آطَامِهِمْ فَانْبَعَثَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ أَحَدُهُمْ لِيَطْرَحَ عَلَيْهِ رَحًى فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَعْلَمَهُمْ بِقِصَّتِهِمْ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ » فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ نَزَلَتْ . وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي عَقْلِ الْكِلَابِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ اجْلِسْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَتَّى نُطْعِمَكَ وَنُعْطِيَكَ مَا سَأَلْتَنَا ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَتَوَامَرَ حُيَيٌّ مَعَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَعْلَمَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذٰلِكَ . فَقَامَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَتَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ . وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ مَعْنَى الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَعَدَ قُرَيْشًا لَئِنْ رَأَى مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَيَطَأَنَّ رَقَبَتَهُ ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُوهُ فَأَقْبَلَ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ وَلَّى هَارِبًا

نا كِصًا على عقبيه مُتّقيًا بيديه ، فسُئِلَ فقال لمّا دنوتُ منه أشرفتُ على خندقٍ مملوءٍ نارًا كدتُ أهوى فيه وأبصرتُ هولًا عظيمًا وخفق أجنحة قد ملأت الأرض ، فقال ﷺ : تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوًا عضوًا ، ثم أُنزل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « كلّا إنّ الإنسان ليطغى » إلى آخر السورة . ويُروى أنّ شيبة بن عثمان الحجبيّ أدركه يوم حُنين وكان حمزة قتل أباه وعمّه ، فقال اليوم أدرك ثاري من محمّد ، فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبّه عليه ، قال فلما دنوتُ منه ارتفع إلى شُواظ من نارٍ أسرع من البرق فولّيتُ هاربًا ، وأحسّ بي النبيّ ﷺ فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إليّ فما رفعها إلّا وهو أحبّ الخلق إليّ ، وقال لي ادنُ فقاتِلْ ، فتقدّمتُ أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيتُ أبي تلك الساعة لأوقعتُ به دونه . وعن فضالة ابن عمرو قال : أردتُ قتل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوتُ قال أفضالة ؟ قلتُ نعم ، قال ما كنت تحدّث به نفسك ؟ قلتُ لا شيء ، فضحك واستغفر لي ، ووضع يده على صدري ، فسكن قلبي ، فوالله ما رفعها حتّى ما خلق الله شيئًا أحبّ إليّ منه . ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطُّفيل وأربد

ٱبْنِ قَيْسٍ حِينَ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وَكَانَ عَامِرٌ قَالَ لَهُ أَنَا أَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ فَاضْرِبْهُ أَنْتَ ، فَلَمْ يَرَهُ فَعَلَ شَيْئًا ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ فِي ذٰلِكَ قَالَ لَهُ : وَٱللهِ مَا هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَهُ إِلَّا وَجَدْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ ؟ وَمِنْ عِصْمَتِهِ لَهُ تَعَالَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَهَنَةِ أَنْذَرُوا بِهِ وَعَيَّنُوهُ لِقُرَيْشٍ ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِسَطْوَتِهِ بِهِمْ ، وَحَضُّوهُمْ عَلَى قَتْلِهِ فَعَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى بَلَغَ فِيهِ أَمْرَهُ ، وَمِنْ ذٰلِكَ نَصْرُهُ بِالرُّعْبِ أَمَامَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كَمَا قَالَ ﷺ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ مَا جَمَعَهُ ٱللهُ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الإِطِّلَاعِ عَلَى جَمِيعِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَمَعْرِفَتُهُ بِأُمُورِ شَرَائِعِهِ وَقَوَانِينِ دِينِهِ وَسِيَاسَةِ عِبَادِهِ وَمَصَالِحِ أُمَّتِهِ ، وَمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْجَبَابِرَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَنِهِ ، وَحِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَوَعْيِ سِيَرِهِمْ وَسَرْدِ أَنْبَائِهِمْ وَأَيَّامِ ٱللهِ فِيهِمْ ، وَصِفَاتِ أَعْيَانِهِمْ وَٱخْتِلَافِ آرَائِهِمْ وَالْمَعْرِفَةِ بِمُدَدِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ . وَحِكَمِ حُكَمَائِهِمْ وَمُحَاجَّةِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْكَفَرَةِ وَمُعَارَضَةِ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْكِتَابِيِّينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ وَإِعْلَامِهِمْ بِأَسْرَارِهَا وَمُخَبَّآتِ عُلُومِهَا ، وَإِخْبَارِهِمْ بِمَا كَتَمُوهُ مِنْ ذٰلِكَ وَغَيَّرُوهُ إِلَى الإِحْتِوَاءِ

عَلَى لُغَاتِ الْعَرَبِ وَغَرِيبِ أَلْفَاظِ فِرَقِهَا وَالْإِحَاطَةِ بِضُرُوبِ فَصَاحَتِهَا ، وَالْحِفْظِ لِأَيَّامِهَا وَأَمْثَالِهَا وَحِكَمِهَا ، وَمَعَانِي أَشْعَارِهَا ، وَالتَّخْصِيصِ بِجَوَامِعِ كَلِمِهَا ، إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ الصَّحِيحَةِ وَالْحِكَمِ الْبَيِّنَةِ لِتَقْرِيبِ التَّفْهِيمِ لِلْغَامِضِ ، وَالتَّبْيِينِ لِلْمُشْكِلِ ، إِلَى تَمْهِيدِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا تَنَاقُضَ فِيهِ وَلَا تَخَاذُلَ ، مَعَ اشْتِمَالِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْآدَابِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٍ مُفَصَّلٍ لَمْ يُنْكِرْ مِنْهُ مُلْحِدٌ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ شَيْئًا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْخِذْلَانِ بَلْ كُلُّ جَاحِدٍ لَهُ وَكَافِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِ ، إِذَا سَمِعَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ صَوَّبَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ دُونَ طَلَبِ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ ثُمَّ مَا أَحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَبَائِثِ ، وَصَانَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاقَبَاتِ وَالْحُدُودِ عَاجِلاً وَالتَّخْوِيفِ بِالنَّارِ آجِلاً ، مِمَّا لَا يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَلَا يَقُومُ بِهِ وَلَا بِبَعْضِهِ ، إِلَّا مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ وَالْعُكُوفَ عَلَى الْكُتُبِ وَمُثَافَنَةِ بَعْضِ هَذَا إِلَى الِاحْتِوَاءِ عَلَى ضُرُوبِ الْعِلْمِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ ، كَالطِّبِّ وَالْعِبَادَةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْعُلُومِ ، مِمَّا اتَّخَذَ أَهْلُ هَٰذِهِ الْمَعَارِفِ كَلَامَهُ ﷺ فِيهَا قُدْوَةً وَأُصُولًا فِي عِلْمِهِمْ ، كَقَوْلِهِ ﷺ : الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَابِرٍ ؛ وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ ، وَقَوْلِهِ : الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ : رُؤْيَا حَقٌّ ؛ وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ

نَفْسَهُ ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَقَوْلِهِ : إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ ، وَقَوْلِهِ : أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرَدَةُ . وَمَا رُوِىَ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ : الْمَعِدَةُ حَوْضُ الْبَدَنِ وَالْعُرُوقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ ، وَإِنْ كَانَ هٰذَا حَدِيثًا لَا نُصَحِّحُهُ لِضَعْفِهِ وَكَوْنِهِ مَوْضُوعًا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَقَوْلِهِ : خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السَّعُوطُ وَاللَّدُودُ وَالْحِجَامَةُ وَالْمَشْيُ ، وَخَيْرُ الْحِجَامَةِ يَوْمَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ . وَفِي الْعُودِ الْهِنْدِيِّ سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ ، وَقَوْلِهِ : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ ، وَقَوْلِهِ : وَقَدْ سُئِلَ عَنْ سَبَإٍ أَرَجُلٌ هُوَ أَمِ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً تَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشَاءَمَ أَرْبَعَةٌ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَكَذٰلِكَ جَوَابُهُ فِي نَسَبِ قُضَاعَةَ وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِمَّا اضْطَرَّتِ الْعَرَبُ عَلَى شُغْلِهَا بِالنَّسَبِ إِلَى سُؤَالِهِ عَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ . وَقَوْلِهِ : حِمْيَرُ رَأْسُ الْعَرَبِ وَنَابُهَا ، وَمَذْحِجُ هَامَتُهَا وَغَلْصَمَتُهَا ؟ وَالْأَزْدُ كَاهِلُهَا وَجُمْجُمَتُهَا ، وَهَمْدَانُ غَارِبُهَا وَذِرْوَتُهَا . وَقَوْلِهِ : إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَقَوْلِهِ ، فِي الْحَوْضِ : زَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الذِّكْرِ : وَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَلَى

اللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمائَةٍ فِي الْمِيزَانَ . وَقَوْلِهِ وهُوَ بِمَوْضِعٍ : نِعْمَ مَوْضِعُ الْحَمَّامِ هٰذَا . وقوْلِهِ : مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ ، وَقوْلِهِ لِعُيَيْنَةَ أَوِ الْأَقْرَعِ : أَنَا أَفْرَسُ بِالْخَيْلِ مِنْكَ ، وَقوْلِهِ لِكَاتِبِهِ : ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمُمِلِّ ، هٰذَا مَعَ أَنَّهُ ﷺ كانَ لَا يَكْتُبُ وَلٰكِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى قَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ بِمَعْرِفَتِهِ حُرُوفَ الْخَطِّ وَحُسْنَ تَصْوِيرِهَا كَقَوْلِهِ : لَا تَمُدُّوا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، رَوَاهُ ابْنُ شَعْبَانَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ كانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ أَلِقِ الدَّوَاةَ وَحَرِّفِ الْقَلَمَ وَأَقِمِ الْبَاءَ وَفَرِّقِ السِّينَ وَلَا تُعَوِّرِ الْمِيمَ وَحَسِّنِ اللهَ وَمُدَّ الرَّحْمٰنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ ، وَهٰذَا وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ الرِّوَايَةُ أَنَّهُ ﷺ كَتَبَ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُرْزَقَ عِلْمَ هٰذَا وَيُمْنَعَ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ .

وَأَمَّا عِلْمُهُ ﷺ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَحِفْظُهُ مَعَانِيَ أَشْعَارِهَا فَأَمْرٌ مَشْهُورٌ قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ أَوَّلَ الْكِتَابِ ، وَكَذٰلِكَ حِفْظُهُ لِكَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ : سَنَهْ سَنَهْ وَهِيَ حَسَنَةٌ بِالْحَبَشِيَّةِ وَقَوْلِهِ : وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ بِهَا . وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَشْكَنْبَ دَرْدَمْ ، أَيْ وَجَعُ الْبَطْنِ بِالْفَارِسِيَّةِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُ بَعْضَ هٰذَا وَلَا يَقُومُ بِهِ وَلَا بِبَعْضِهِ إِلَّا مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ وَالْعُكُوفَ

عَلَى الْكُتُبِ وَمُثَافَنَةِ أَهْلِهَا عُمْرَهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ كَمَا قَالَ اللهُ تعالى أُمِّيٌّ لَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يقرأْ وَلاَ عُرِفَ بِصُحْبَةِ مَنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ ، وَلاَ نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَهُمْ عِلْمٌ وَلاَ قِرَاءَةٌ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَلاَ عُرِفَ هُوَ قَبْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ » الآيَةَ . إِنَّمَا كَانَتْ غَايَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ النَّسَبَ وَأَخْبَارَ أَوَائِلِهَا وَالشِّعْرَ وَالْبَيَانَ وَإِنَّمَا حَصَلَ ذٰلِكَ لَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّغِ لِعِلْمِ ذٰلِكَ وَالِاشْتِغَالِ بِطَلَبِهِ ، وَمُبَاحَثَةِ أَهْلِهِ عَنْهُ ، وَهٰذَا الْفَنُّ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ ﷺ وَلاَ سَبِيلَ إِلَى جَحْدِ الْمُلْحِدِ لِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ وَلاَ وَجَدَ الْكَفَرَةُ حِيلَةً فِي دَفْعِ مَا نَصَصْنَاهُ إِلَّا قَوْلَهُمْ : « أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » « وَإِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ » فَرَدَّ اللهُ قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » ثُمَّ مَا قَالُوهُ مُكَابَرَةُ الْعِيَانِ فَإِنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِمَّا سَلْمَانُ أَوِ الْعَبْدُ الرُّومِيُّ ، وَسَلْمَانُ إِنَّمَا عَرَفَهُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَنُزُولِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ وَظُهُورِ مَالاَ يَنْعَدُّ مِنَ الآيَاتِ . وَأَمَّا الرُّومِيُّ فَكَانَ أَسْلَمَ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ وَقِيلَ بَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ عِنْدَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَكِلاَهُمَا أَعْجَمِيُّ اللِّسَانِ ، وَهُمُ الْفُصَحَاءُ اللُّدُّ وَالْخُطَبَاءُ اللُّسْنُ ، قَدْ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مَا أَتَى بِهِ وَالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ بَلْ عَنْ فَهْمِ وَصْفِهِ وَصُورَةِ تَأْلِيفِهِ

وَنَظْمِهِ ، فَكَيْفَ بِأَعْجَمِيٍّ أَلْكَنَ نَعَمْ . وَقَدْ كَانَ سَلْمَانُ أَوْ بَلْعَامُ الرُّومِيُّ أَوْ يَعِيشُ أَوْ جَبْرٌ أَوْ يَسَارٌ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي اسْمِهِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يُكَلِّمُونَهُمْ مَدَى أَعْمَارِهِمْ فَهَلْ حُكِيَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ مَا كَانَ يَجِيءُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ؟ وَهَلْ عُرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا مَنَعَ الْعَدُوَّ حِينَئِذٍ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِ وَدُؤُوبِ طَلَبِهِ وَقُوَّةِ حَسَدِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى هَذَا فَيَأْخُذَ عَنْهُ أَيْضًا مَا يُعَارِضُ بِهِ وَيَتَعَلَّمَ مِنْهُ مَا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى شِيعَتِهِ كَفِعْلِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بِمَا كَانَ يُمَخْرِقُ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ كُتُبِهِ ، وَلَا غَابَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْمِهِ ، وَلَا كَثُرَتْ اخْتِلَافَاتُهُ إِلَى بِلَادِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ اسْتَمَدَّ مِنْهُمْ بَلْ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَرْعَى فِي صِغَرِهِ وَشَبَابِهِ عَلَى عَادَةِ أَنْبِيَائِهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا فِي سَفْرَةٍ أَوْ سَفْرَتَيْنِ لَمْ يَطُلْ فِيهِمَا مُكْثُهُ مُدَّةً يَحْتَمِلُ فِيهَا تَعْلِيمُ الْقَلِيلِ فَكَيْفَ الْكَثِيرُ بَلْ كَانَ فِي سَفَرِهِ فِي صُحْبَةِ قَوْمِهِ وَرِفَاقَةِ عَشِيرَتِهِ لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ ، وَلَا خَالَفَ حَالُهُ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ ، مِنْ تَعْلِيمٍ وَاخْتِلَافٍ إِلَى حَبْرٍ أَوْ قَسٍّ أَوْ مُنَجِّمٍ أَوْ كَاهِنٍ ، بَلْ لَوْ كَانَ هَذَا بَعْدُ كُلُّهُ لَكَانَ مَجِيءُ مَا أَتَى بِهِ فِي مُعْجِزِ الْقُرْآنِ قَاطِعًا لِكُلِّ عُذْرٍ ، وَمُدْحِضًا لِكُلِّ حُجَّةٍ وَمُجَلِّيًا لِكُلِّ أَمْرٍ .

(فَصل) وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ وَكَرَامَاتِهِ وَبَاهِرِ آيَاتِهِ أَنْبَاؤُهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَإِمْدَادُ اللَّهِ لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ وَطَاعَةُ الْجِنِّ لَهُ، وَرُؤْيَةُ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ» الآيَةَ. وَقَالَ: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا» وَقَالَ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ» الآيَتَيْنِ. وَقَالَ: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» الآيَةَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِ الْفَقِيهُ بِسَمَاعِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حدثنا مُسْلِمٌ حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حدثنا أَبِي حدثنا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» قَالَ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ وَالْخَبَرُ فِي مُحَادَثَتِهِ مَعَ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَا شَاهَدَهُ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُوَرِ بَعْضِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مَشْهُورٌ، وَقَدْ رَآهُمْ بِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ، فَرَأَى أَصْحَابُهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. وَرَأَى ابْنُ عَبَّاسٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا عِنْدَهُ جِبْرِيلَ فِي

صُورَةِ دِحْيَةَ ، وَرَأَى سَعْدٌ عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ وَمِثْلُهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ زَجْرَ الْمَلَائِكَةِ خَيْلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ وَبَعْضُهُمْ رَأَى تَطَايُرَ الرُّؤُسِ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَا يَرَوْنَ الضَّارِبَ : وَرَأَى أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَئِذٍ رِجَالًا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ ، وَقَدْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُصَافِحُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ . وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَمْزَةَ جِبْرِيلَ فِي الْكَعْبَةِ فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْجِنَّ لَيْلَةَ الْجِنِّ وَسَمِعَ كَلَامَهُمْ ، وَشَبَّهَهُمْ بِرِجَالِ الزُّطِّ . وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ لَمَّا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ الرَّايَةَ مَلَكٌ عَلَى صُورَتِهِ فَكَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : لَسْتُ بِمُصْعَبٍ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ مَلَكٌ . وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ بِيَدِهِ عَصًا فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ﷺ : نَغْمَةُ الْجِنِّ مَنْ أَنْتَ ، قَالَ أَنَا هَامَةُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ لَاقِسَ بْنِ إِبْلِيسَ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نُوحًا وَمَنْ بَعْدَهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ سُوَرًا مِنَ الْقُرْآنِ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ قَتْلَ خَالِدٍ عِنْدَ هَدْمِهِ الْعُزَّى لِلسَّوْدَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ

نَاشِرَةً شَعْرَهَا عُرْيَانَةً ، فَجَزَّلَهَا بِسَيْفِهِ ، وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ تِلْكَ الْعُزَّى . وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شَيْطَانًا تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ ، فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا وَهٰذَا بَابٌ وَاسِعٌ .

(فصل) وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ وَعَلَامَاتِ رِسَالَاتِهِ مَا تَرَادَفَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرُّهْبَانِ وَالْأَحْبَارِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُتُبِ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ وَاسْمِهِ وَعَلَامَاتِهِ ، وَذِكْرِ الْخَاتَمِ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَمَا وُجِدَ مِنْ ذٰلِكَ فِي أَشْعَارِ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ شِعْرِ تُبَّعٍ وَالْأَوْسِ بن حَارِثَةَ وَكَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ وَسُفْيَانَ بنِ مُجَاشِعٍ وَقُسِّ بنِ سَاعِدَةَ ، وَمَا ذُكِرَ عَنْ سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَا عَرَفَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ زَيْدُ ابنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَوَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ وَعَثْكَلَانُ الْحِمْيَرِيُّ وَعُلَمَاءُ يَهُودَ وَشَامُولُ عَالِمُهُمْ صَاحِبُ تُبَّعٍ مِنْ صِفَتِهِ وَخَبَرِهِ ، وَمَا أُلْقِيَ مِنْ ذٰلِكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِمَّا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَبَيَّنُوهُ . وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا ثِقَاتُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ، مِثْلُ ابنُ سَلَامٍ وَبَنِي سَعْيَةَ وَابنِ يَامِينَ وَمُخَيْرِقٍ وَكَعْبٍ وَأَشْبَاهِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودَ ، وَبَحِيرَاءَ وَنَسْطُورٍ

الْحَبَشَةِ وَصَاحِبِ بُصْرَى وَضَغَاطِرَ وَأُسْقُفِّ الشَّامِ وَالْجَارُودِ وَسَلْمَانَ وَالنَّجَاشِيِّ ، وَنَصَارَى الْحَبَشَةِ وَأَسَاقِفِ نَجْرَانَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى . وَقَدِ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ هِرَقْلُ وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمَا النَّصَارَى وَرَئِيسَاهُمْ ، وَمُقَوْقِسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّيْخُ صَاحِبُهُ ، وَابْنُ صُورِيَا وَابْنُ أَخْطَبَ وَأَخُوهُ وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَاطِيَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، مِمَّنْ حَمَلَهُ الْحَسَدُ وَالنَّفَاسَةُ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَى الشَّقَاءِ .

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ لَا تَنْحَصِرُ . وَقَدْ قَرَّعَ أَسْمَاعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أَصْحَابِهِ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ صُحُفُهُمْ وَذَمَّهُمْ بِتَحْرِيفِ ذَلِكَ وَكِتْمَانِهِ وَلَيِّهِمْ أَلْسِنَتَهُمْ بِبَيَانِ أَمْرِهِ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ عَلَى الْكَاذِبِ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ نَفَرَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَإِبْدَاءِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ كُتُبِهِمْ إِظْهَارَهُ وَلَوْ وَجَدُوا خِلَافَ قَوْلِهِ ، لَكَانَ إِظْهَارُهُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَذْلِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَتَخْرِيبِ الدِّيَارِ ، وَنَبْذِ الْقِتَالِ . وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : « قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » إِلَى مَا أَنْذَرَ بِهِ الْكُهَّانُ مِثْلُ شَافِعِ بْنِ كُلَيْبٍ وَشِقٍّ وَسَطِيحٍ وَسَوَادِ بْنِ قَارِبٍ وَخُنَافِرٍ وَأَفْعَى نَجْرَانَ وَجِذْلِ بْنِ جِذْلٍ الْكِنْدِيِّ وَابْنِ خَلَصَةَ الدَّوْسِيِّ وَسَعْدِ بْنِ بِنْتِ كُرَيْزٍ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ ، وَمَنْ لَا يَنْعَدُّ كَثْرَةً ،

إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَحُلُولِ وَقْتِ رِسَالَتِهِ ، وَسُمِعَ مِنْ هَوَاتِفِ الْجَانِّ ، وَمِنْ ذَبَائِحِ النُّصُبِ وَأَجْوَافِ الصُّوَرِ ، وَمَا وُجِدَ مِنَ اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ ، مَكْتُوبًا فِي الْحِجَارَةِ وَالْقُبُورِ بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ مَا أَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ وَإِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مَذْكُورٌ .

(فصلٌ) وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ، وَمَا حَكَتْهُ أُمُّهُ ، وَمَا حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَكَوْنُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَ مَا وَضَعَتْهُ شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ، وَمَا رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ وَظُهُورِ النُّورِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ، حَتَّى مَا تَنْظُرُ إِلَّا النُّورَ ، وَقَوْلِ الشِّفَاءِ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ لَمَّا سَقَطَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ عَلَى يَدَيَّ وَاسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : رَحِمَكَ اللهُ ، وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الرُّومِ وَمَا تَعَرَّفَتْ بِهِ حَلِيمَةُ وَزَوْجُهَا ظِئْرَاهُ مِنْ بَرَكَتِهِ وَدُرُورِ لَبَنِهَا لَهُ وَلَبَنِ شَارِفِهَا وَخِصْبِ غَنَمِهَا وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ وَحُسْنِ نَشْأَتِهِ وَمَا جَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ مِنَ ارْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ وَخُمُودِ نَارِ فَارِسَ وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمُدْ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ

أَبِى طَالِبٍ وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا وَرَوُوا فَإِذَا غَابَ فَأَكَلُوا فِى غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا ؛ وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبِى طَالِبٍ يُصْبِحُونَ شُعْثًا وَيُصَبِّحُ ﷺ صَقِيلًا دَهِينًا كَحِيلًا . قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَتُهُ : مَا رَأَيْتُهُ ﷺ شَكَى جُوعًا وَلَا عَطَشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا . وَمِنْ ذَلِكَ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ وَمَنْعُهُمْ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِ الْأَصْنَامِ وَالْعِفَّةِ عَنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَحَمَاهُ حَتَّى فِى سَتْرِهِ فِى الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَخَذَ إِزَارَهُ لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ ، وَتَعَرَّى فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ : مَا بَالُكَ ؟ فَقَالَ إِنِّى نُهِيتُ عَنِ التَّعَرِّى . وَمِنْ ذَلِكَ إِظْلَالُ اللَّهِ لَهُ بِالْغَمَامِ فِى سَفَرِهِ . وَفِى رِوَايَةٍ : أَنَّ خَدِيجَةَ وَنِسَاءَهَا رَأَيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ وَمَلَكَانِ يُظِلَّانِهِ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِمَيْسَرَةَ ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مُنْذُ خَرَجَ مَعَهُ فِى سَفَرِهِ . وَقَدْ رُوِىَ أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ وَهُوَ عِنْدَهَا ، وَرُوِىَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَاعْشَوْشَبَ مَا حَوْلَهَا وَأَيْنَعَتْ هِىَ فَأَشْرَقَتْ وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصَانُهَا بِمَحْضَرِ مَنْ رَآهُ وَمَيْلُ فَىْءِ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ فِى الْخَبَرِ الْآخَرِ حَتَّى أَظَلَّتْهُ . وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِى شَمْسٍ

وَلَا قَمَرٍ لِأَنَّهُ كَانَ نُورًا ، وَأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ وَمِنْ ذَلِكَ تَحْبِيبُ الْخَلْوَةِ إِلَيهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيهِ ثُمَّ إِعْلَامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُوِّ أَجَلِهِ وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ ؛ وَفِي بَيْتِهِ وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مِنْبَرِهِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَتَخْيِيرُ اللهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ وَتَشْرِيفِهِ وَصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا ، وَاسْتِئْذَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ ، وَنِدَائِهِمُ الَّذِي سَمِعُوهُ أَنْ لَا تَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ . وَمَا رُوِيَ مِنْ تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَاسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِعَمِّهِ ، وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ .

(فصلٌ) قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللهُ : قَدْ أَتَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى نُكَتٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَاضِحَةٍ ، وَجُمَلٍ مِنْ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ مُقْنِعَةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالْغُنْيَةُ ، وَتَرَكْنَا الْكَثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الطِّوَالِ عَلَى عَيْنِ الْغَرَضِ وَفَصِّ الْمَقْصِدِ وَمِنْ كَثِيرِ الْأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ إِلَّا يَسِيرًا مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الْأَئِمَّةِ ، وَحَذَفْنَا الْإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِنَا طَلَبًا لِلِاخْتِصَارِ . وَبِحَسْبِ هَذَا الْبَابِ لَوْ تُقُصِّيَ أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا

جَامِعًا يَشْتَمِلُ عَلَى مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ . وَمُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا صلى اللهُ عليه وسلم أَظْهَرُ مِنْ مُعْجِزَاتِ سَائِرِ الرُّسُلِ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا كَثْرَتُهَا وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ نَبِيٌّ مُعْجِزَةً إِلَّا وَعِنْدَ نَبِيِّنَا مِثْلُهَا أَوْ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا ، وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسُ عَلَى ذٰلِكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هٰذَا الْبَابِ وَمُعْجِزَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَقِفْ عَلَى ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَثِيرَةً فَهٰذَا الْقُرْآنُ وَكُلُّهُ مُعْجِزٌ ، وَأَقَلُّ مَا يَقَعُ الإِعْجَازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ سُورَةُ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ أَوْ آيَةٌ فِي قَدْرِهَا . وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ كَيْفَ كَانَتْ مُعْجِزَةٌ ، وَزَادَ آخَرُونَ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنْهُ مُعْجِزَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَالْحَقُّ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ » فَهُوَ أَقَلُّ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ مَعَ مَا يَنْصُرُ هٰذَا مِنْ نَظَرٍ وَتَحْقِيقٍ يَطُولُ بَسْطُهُ ، وَإِذَا كَانَ هٰذَا فَفِي الْقُرْآنِ مِنَ الْكَلِمَاتِ نَحْوٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَنَيِّفٍ عَلَى عَدَدِ بَعْضِهِمْ ، وَعَدَدُ كَلِمَاتِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ فَتَجْزِئُ الْقُرْآنَ عَلَى نِسْبَةِ عَدَدِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ أَزْيَدُ مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ جُزْءٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعْجِزٌ فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ إِعْجَازُهُ كَمَا تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ طَرِيقِ بَلَاغَتِهِ وَطَرِيقِ نَظْمِهِ فَصَارَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذَا الْعَدَدِ مُعْجِزَتَانِ فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ مِنْ

هٰذَا الْوَجْهِ ثُمَّ فِيهِ وُجُوهُ إِعْجَازٍ أُخَرُ مِنَ الْإِخْبَارِ بِعُلُومِ الْغَيْبِ ، فَقَدْ يَكُونُ فِى السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِن هَذِهِ التَّجْزِئَةِ الْخَبَرُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنَ الْغَيْبِ كُلُّ خَبَرٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ مُعْجِزٌ فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ كَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ وُجُوهُ الْإِعْجَازِ الْآخَرُ الَّتِى ذَكَرْنَاهَا تُوجِبُ التَّضْعِيفَ هَذَا فِى حَقِّ الْقُرْآنِ فَلَا يَكَادُ يَأْخُذُ الْعَدُّ مُعْجِزَاتِهِ وَلَا يَحْوِى الْحَصْرُ بَرَاهِينَهُ ، ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ ﷺ فِى هَذِهِ الْأَبْوَابِ وَعَمَّا دَلَّ عَلَى أَمْرِهِ مِمَّا أَشَرْنَا إِلَى جُمَلِهِ يَبْلُغُ نَحْوًا مِن هَذَا . الْوَجْهُ الثَّانِى وُضُوحُ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ ، فَإِنَّ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ كَانَتْ بِقَدْرِ هِمَمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَبِحَسَبِ الْفَنِّ الَّذِى سَمَا فِيهِ قَرْنُهُ ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ مُوسَى غَايَةَ عِلْمِ أَهْلِهِ السِّحْرُ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مُوسَى بِمُعْجِزَةٍ تُشْبِهُ مَا يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَيْهِ فَجَاءَهُمْ مِنْهَا مَا خَرَقَ عَادَتَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِى قُدْرَتِهِمْ ، وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ : وَكَذٰلِكَ زَمَنُ عِيسَى أَغْنَى مَا كَانَ الطِّبُّ وَأَوْفَرَ مَا كَانَ أَهْلُهُ فَجَاءَهُمْ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ دُونَ مُعَالَجَةٍ وَلَا طِبٍّ ، وَهٰكَذَا سَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ .

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَجُمْلَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا أَرْبَعَةٌ : الْبَلَاغَةُ وَالشِّعْرُ وَالْخَبَرُ وَالْكَهَانَةُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ

الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه، وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم. وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية، ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه، على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها، ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخرى التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة، بينة الحجة لكل أمة تأتي، لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه، وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر، فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان، والمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين، وإن كان كل عندها حقا وسائر معجزات

الرُّسُلِ أَنْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِهِمْ ، وَعُدِمَتْ بِعَدَمِ ذَوَاتِهَا وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقَطِعُ ، وَآيَاتُهُ تَتَجَدَّدُ وَلَا تَضْمَحِلُّ ، وَلِهٰذَا أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ فِيمَا حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ قَالُوا حَدَّثَنَا الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » هٰذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِ هٰذَا الْحَدِيثِ وَظُهُورِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ إِلَى مَعْنًى آخَرَ مِنْ ظُهُورِهَا بِكَوْنِهَا وَحْيًا وَكَلَامًا لَا يُمْكِنُ التَّخَيُّلُ فِيهِ وَلَا التَّحَيُّلُ عَلَيْهِ وَلَا التَّشْبِيهُ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ قَدْ رَامَ الْمُعَانِدُونَ لَهَا بِأَشْيَاءَ طَمِعُوا فِي التَّخْيِيلِ بِهَا عَلَى الضُّعَفَاءِ كَإِلْقَاءِ السَّحَرَةِ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَشِبْهُ هٰذَا مِمَّا يُخَيِّلُهُ السَّاحِرُ أَوْ يَتَحَيَّلُ فِيهِ وَالْقُرْآنُ كَلَامٌ لَيْسَ لِلْحِيلَةِ وَلَا لِلسِّحْرِ فِي التَّخْيِيلِ فِيهِ عَمَلٌ ، فَكَانَ مِنْ هٰذَا الْوَجْهِ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، كَمَا لَا يَتِمُّ لِشَاعِرٍ

وَلاَ خَطِيبٍ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا أَوْ خَطِيبًا بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيَلِ وَالتَّمْوِيهِ ، وَالتَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ أَخْلَصُ وَأَرْضَى ، وَفِي هَذَا التَّأْوِيلِ الثَّانِي مَا يُغَمَّضُ عَلَيْهِ الْجَفْنُ وَيُغْضَى . وَجْهٌ ثَالِثٌ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَالَ بِالصَّرْفَةِ وَأَنَّ الْمُعَارَضَةَ كَانَتْ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ فَصُرِفُوا عَنْهَا ، أَوْ عَلَى أَحَدِ مَذْهَبَيْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَبْلُ وَلَا يَكُونُ بَعْدُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُقْدِرْهُمْ عَلَيْهِ وَلَا يُقْدِرُهُمْ وَبَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ فَرْقٌ بَيِّنٌ ، وَعَلَيْهِمَا جَمِيعًا فَتَرْكُ الْعَرَبِ الْإِتْيَانَ بِمَا فِي مَقْدُورِهِمْ أَوْ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ وَرِضَاهُمْ بِالْبَلَاءِ وَالْجَلَاءِ وَالسِّبَاءِ وَالْإِذْلَالِ ، وَتَغْيِيرِ الْحَالِ ، وَسَلْبِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّعْجِيزِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ أَبْيَنُ آيَةٍ لِلْعَجْزِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، وَالنُّكُولُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ مُنِعُوا عَنْ شَيْءٍ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ . وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ وَغَيْرُهُ قَالَ : وَهَذَا عِنْدَنَا أَبْلَغُ فِي خَرْقِ الْعَادَةِ بِالْأَفْعَالِ الْبَدِيعَةِ فِي أَنْفُسِهَا كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَنَحْوِهَا ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى بَالِ النَّاظِرِ بِدَارًا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ ذَلِكَ بِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ ، وَفَضْلِ عِلْمٍ إِلَى أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ صَحِيحُ النَّظَرِ . وَأَمَّا التَّحَدِّي لِلْخَلَائِقِ الْمِئِينَ مِنَ السِّنِينَ بِكَلَامٍ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِمْ

لِيأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يأْتُوا فَلَمْ يبْقَ بعْدَ توَفُّرِ الدَّواعِي عَلَى الْمُعَارَضَةِ ثُمَّ عدَمِهَا إلاَّ أَنْ منعَ اللهُ الْخَلْقَ عنْهَا بِمثَابَةِ ما لوْقالَ نبِيٌّ آيَتِي أَنْ يمْنَعَ اللهُ الْقِيَامَ عَنِ النَّاسِ معَ مَقْدرَتِهِمْ عليْهِ وَارْتِفَاعِ الزِّمَانَةِ عنْهُمْ ، فَلَوْ كَانَ ذَٰلِكَ وَعَجَّزَهُمُ اللهُ تعَالَى عَنِ الْقِيَامِ لَكانَ ذَٰلِكَ مِنْ أَبْهَرِ آيَةٍ وَأَظْهَرِ دَلاَلَةٍ وَ بِاللهِ التَّوْفِيقِ .

وَقدْ غَابَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى احْتَاجَ لِلْعذْرِ عَنْ ذَٰلِكَ بِدِقَّةِ أَفْهَامِ الْعَرَبِ وَذَكَاءِ أَلْبَابِهَا وَوُفُورِ عُقُولِهَا ، وَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمُعْجِزَةَ فِيهِ بِفِطْنَتِهِمْ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ ذَٰلِكَ بِحَسَبِ إِدْرَاكِهِمْ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَٰذِهِ السَّبِيلِ ، بَلْ كَانُوا مِنَ الْغَبَاوَةِ وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِحَيْثُ جَوَّزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَجوَّزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ ذَٰلِكَ فِي الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، فَجَاءَتْهُمْ مِنَ الآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلأَبْصَارِ بِقَدْرِ غِلَظِ أَفْهَامِهِمْ مَالاَ يَشُكُّونَ فِيهِ ، وَمَعَ هَٰذَا فَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَاسْتَبْدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالأَصْنَامِ إِلَى اللهِ زُلْفَى، وَمِنْهُمْ

مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَحْدَهُ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ ﷺ بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ ، وَلَمَّا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِكِتَابِ اللهِ فَهِمُوا حِكْمَتَهُ ، وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعْجِزَاتِهِ ، فَآمَنُوا بِهِ وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَانًا ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي صُحْبَتِهِ ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ ، وَأَتَى فِي مَعْنَى هٰذَا بِمَا يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زِبْرِجٌ ، لَوِ احْتِيجَ إِلَيْهِ وَحُقِّقَ لَكِنَّا قَدَّمْنَا مِنْ بَيَانِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هٰذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا ، وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

تم الجزء الأول من الشفا بتعريف حقوق المصطفى

ويليه الجزء الثانى وأوله القسم الثانى

فيما يجب على الأنام

فهرست الجزء الأول من كتاب الشفا

تابع فهرست الجزء الأول من كتاب الشفا

(تمت الفهرست)